النفحات المسكية من الخطب المنبرية

الجزء الأول

بقلم: محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي
إمام وخطيب جامع الاستقامة بنزوى

النفحات المسكية من الخطب المنبرية

الجزء الأول

بقلم:
محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي
إمام وخطيب جامع الاستقامة بنزوى

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ/٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المصطفى، وعلى آلِهِ ومَن سارَ على نهجِ الحقِ واقتفى؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ الدعوةَ إلى اللّٰهِ تعالى على بصيرةٍ، وترسيخَ الإيمان في نفوسِ المسلمين، وإرشادَ الضالِ إلى طريقِ السدادِ لهي مِن أشرفِ المقاصدِ، وأحسنِ الأعمالِ .

وتأتي خطبةُ الجُمُعةِ في هذا الزمان لتكونَ أهمَّ مؤثرٍ وموجهٍ للجمهورِ الإسلاميِّ، وتقعُ على عاتقِها تغذيةُ المجتمعِ، وتبصيرُه بقضاياه المصيريةِ، ودعوتُه إلى طريقِ الخيرِ والهدى، بل هيَ روحُ الدعوةِ وركنُها المشيدُ الذي يطالُ أفئدةَ أكثرِ المسلمين .

ولما كانت خطبةُ الجُمُعةِ بهذهِ المقامةِ الساميةِ والمنزلةِ العاليةِ، صارَ لزامًا على الخطيبِ أن يحملَ في قلبِه وعقلِه هذا الحسَّ، وأن يَبذلَ جهدَه، ويستفرغَ وسعَه في تأديةِ هذه الأمانةِ العظيمةِ على وجهِها الصحيحِ، وأن يُهيأَ نفسَهُ وأحاسيسَهُ للقيامِ بهذه المهمةِ الحُسنى التي يقولُ فيها الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1] ولا سيما أننا نعيشُ في زمنٍ تلاطمت فيه الفتنُ، وكَثُرَت به المحنُ، وانتشرتِ المستجداتُ الحديثةُ، وتوغلتِ البدعُ والمفاسدُ، وأثخنتِ الأمةُ الإسلاميةُ بالجراحِ الغائرةِ، بل نحن في أَمَسِّ الحاجةِ إلى خُطَباءَ يكونون في أعلى درجاتِ الحرصِ والحذرِ من تضيعِ هذه الأمانةِ العظيمةِ والتفريطِ في أدائِها، مجتهدين في كشفِ عوارِ المفسدين، حريصين في لمِّ شملِ الأمةِ الإسلاميةِ، مشمرين في طرحِ كلِّ قضيةٍ تَحِلُّ على الساحةِ

(١) سورة فصلت الآية: ٣٣ .

الإسلاميةِ لتكونَ الخُطَبُ مقبولةً مؤثرةً على الجمهورِ، وهو ما يسعى إليه كلُّ خطيبٍ مخلصٍ .

هذا وكانت قد سنحت لي الفرصةُ لصعودِ منبرِ جامعِ طَوي سَلِيْم بولايةِ الحَمْرَاءِ لمدةِ سنتين وأشهر، ثم صعدتُ جامع الاستقامة بولايةِ نَزْوَى سنواتٍ من عُمُري، نشطت خلالَها نفسي في إعدادِ مجموعةٍ مِن الخُطَبِ، ألقيتُها على مسامعِ المسلمين، معتمدًا في إعدادِها على كثيرٍ من منابعِ المعرفةِ مِنَ الكتبِ، والمقالاتِ، والأشرطةِ، وأضفت في أغلبِها ما فتحَ اللّهُ تعالى عليَّ غيرَ أني لم أكن معتنيًا بجمعِها وترتيبِها مِن أجلِ ذلكَ فقدتُ جميعَ خُطَبي التي ألقيتُها بجامعِ طوي سليمٍ ومجموعةً من خُطبي التي ألقيتُها بجامعِ الاستقامةِ، فلمَّا رأيتُ تأثيرَها، وتفاعلَ النَّاسِ معها بينَ مؤيدٍ ومعارضٍ لخُطَبي ومضامِينِها – ولا سيما تلكَ التي تتحدثُ عن الواقعِ المعاصرِ – ثم رأيتُ إلحاحًا مِن بعضِ المهتمين وطلبةِ العلمِ مِن أجلِ الاستفادةِ منها، والانتفاعِ من علومِها عنَّ لي أن أجمعَها في موسوعةٍ بعنوانِ **النفحاتِ المسكيةِ مِنَ الخُطبِ المنبريةِ**، وسأسعى في نشرِها تِبَعًا طلبًا للأجرِ والثوابِ، ونفعًا للإسلامِ والمسلمين .

واللّهَ أسألُ أن ينفعَ بهذهِ الخطبِ الإسلامَ والمسلمين، وأن يثيبَني عليها الأجرَ والثوابَ آمين؛ والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين .

أفقرُ العبادِ إلى رحمةِ ربِّه

محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ سعيدٍ السيفيِّ

نَزْوَى – ضوت

الخطبةُ الأولى

خلقُ الحبيبِ (ﷺ) وواقعُ الأمةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه، لـه الأرضُ والسماءُ وما بينهما وما تحتَ الثرى، خلقَ الوجودَ فله الحمدُ على ما برى، ربَّى الكليمَ في حِجْرِ عدوِّه وما درى، وسلَّمَ الخليلَ مِن نارِ النَّمرودِ وما به طغى، وحمى يوسفَ الصديقَ من كيدِ النسوةِ وما قضى، واعتنى بالصادقِ الأمينِ حتى اليقينِ وما دعا.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ عبدِه وابنِ عبدِه وابنِ أمتِه، ومَن لا غنى له طرفةَ عينٍ عن كتائبِ رحمتِه، وأشهدُ أنَّ محمدًا ــ صلواتُ ربي وتسليماتُه عليه ـ البدرُ جبينُه، واليمُ يمينُه، والحنيفيةُ دينُه، نصرَ الحقَ، وأكثرَ عديدَه، وخذلَ الباطلَ وأبلى جديدَه، وتممَ مكارمَ الأخلاقِ بأقوالِه الحميدةِ وأفعالِه السديدةِ، فكانَ لبنةَ التمامِ ورويَّ القصيدةِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المؤمنون

لا يجادلُ عالمُكم وجاهلُكم غنيُّكم وفقيرُكم كبيرُكم وصغيرُكم ذَكَرُكم وأُنثاكم بأنَّ اللّٰهَ تعالى قد جعلَ الحياةَ الدنيا دارَ قُلعةٍ ومحلَ نُقلةٍ؛ فمن راحلٍ ليومِه، ومن مدعوٍ لغدِه. نصيبُك مما تجمعُه في دنياك ما قالَه الحكيمُ:

نَصيبُك مما تجمعُ الدهرَ كلَه ... ردآن تلوى فيهما وحنوطُ

فلما كانت هذه الحقيقةُ ثابتةً لديكم باقيةً نصبَ أعينكم، فأعدوا لمحلِ النُقلةِ زادًا كافيًا، وخففوا أحمالَ المعاصي، فالدهرُ كلُّه أمسِ، والحياةُ كلُّها

كنَفَسٍ عليكم بتقوى اللهِ لحلِ النُقلةِ، فإنَّ في تقوى اللهِ الخروجَ من المضايقِ والنجاةَ مِنَ المآزقِ والسلامةَ مِنَ المزالقِ، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾[2].

إخوةَ الإسلامِ

في عصرٍ أخلدَ فيه الناسُ إلى الأرضِ، وغُلّبتِ المادةُ وعُبدَ الدرهمُ والدينارُ مِن دون اللهِ الواحدِ القهارِ، في عصرٍ أصبحَ المنكرُ معروفًا والمعروفُ منكرًا، يشتدُّ النكيرُ على أهلِ الفضيلةِ، ويُشدُّ مِن أزرِ أهلِ الرذيلةِ، في عصرٍ تنادى على أمةِ محمدٍ (ﷺ) أعداءُ اللهِ أجمعين، تنادوا على أمتِنا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتدعوا مصطلحين، تعاووا من كلِّ حدبٍ، وتهاووا من كلِّ صبٍ، نصبوا لها في كلِّ حفرةٍ عاثوراً، ووضعوا لها في كلِّ فجٍ فخاً، وأجمعوا على ألاَّ تكونَ لها جاريةٌ في بحرٍ ولا ساريةٌ في برٍ.

في عصرٍ أصبحتِ الأمةُ نكرةً بل موغلةً في التنكيرِ، وليس لها محلٌّ من الإعرابِ، كانت قائدةً متبوعةً، فأصبحت تابعةً ذليلةً، تقتاتُ فتاتَ موائدِ الغربِ، وتتمسحُ بأعيابِهم، وتسيرُ في ركابِهم، وتعيشُ بنفسيةٍ مغلوبةٍ لا غالبةٍ.

والحالةُ هذه كما سمعتُم وتشاهدونه في واقعِكم تبرزُ بين الفينةِ والأُخرى فلولٌ من الآمالِ، وتبرقُ مع كرِّ الأيامِ والأعوامِ مناسباتٌ نعدُّها منتجعًا لجلي الأحزانِ ودوحةً لبثِ السُّلوانِ.

---

(١) سورة الطلاق الآية: ٢.

(٢) سورة الطلاق الآية: ٤.

إخوةَ العقيدةِ

يمرُّ مِن بينكم حدثٌ خطيرٌ مهمٌ، كانَ فاتحةً حميدةً لرفعةِ الإنسانيةِ وتحويلِها لفلكِ السعادةِ بعدَ حياةِ التيهِ والضياعِ، إنَّه حدثُ ولادةِ الحبيبِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ (ﷺ)، ومع اختلافِ العلماءِ في تحديدِ السنةِ والشهرِ واليومِ لولادةِ هذا الحدثِ؛ نقولُ: بأنَّ اختلافَهم هذا لا يعنينا في قليلٍ ولا كثيرٍ بقدرِ ما تنفعلُ لنا مضامينُ هذا الحدثِ، ونستوحي الدروسَ والعبرَ، ونراجعُ الصادرَ والواردَ، ونقومُ بجردٍ شاملٍ لمواضعِ الزللِ والعطبِ، التي جعلت أمةَ الحبيبِ في محلِها هذا، ومع كثرةِ الدروسِ والعِبرِ المستفادةِ من هذا الحدثِ نقتصرُ على وقفاتٍ لا بُدَّ منها:

الوقفةُ الأولى: طريقُ العيانِ أقربُ إلى اليقينِ، فلا ينقادُ الناسُ إلى الهدايةِ إلا بالصورةِ الحياةِ العمليةِ التطبيقيةِ لأخلاقِ خيرِ البريةِ؛ تشهدُ بذلك الحديبيةُ حين أمرَ رسولُ اللهِ (ﷺ) أصحابَه بالفعلِ مع علمِهم أنَّه لا ينطقُ عن الهوى، فترددوا ثم عملَ (ﷺ) فتتابعوا بالعملِ، اقتداءً بالحبيبِ، وكأنهم غيرُ مَن كانوا[1].

قد كانَ قرآنًا يسيرُ أمامَهم ... وبه اقتدوا فأضاءتِ الأفكارُ

وهكذا كانَ أصحابُه (ﷺ) يقلدونه حذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ والقُذَّةَ بالقُذَّةِ[2].

أمَّا واقعُنا فيشهدُ عليه طبيبٌ غربيٌّ درسَ الإسلامَ فأحبَّه، ودخلَ فيه ثم سافرَ إلى ديارِ المسلمين ليستفيدَ في مجالِ التطبيقِ، فجالَ في شِمالِ

---

(١) اغتمَّ الصحابةُ – رضوانُ اللهِ عليهم – مِن شروطِ صُلحِ الحُديبية، ونظروا إليها أنَّها مجحفةٌ في الظاهرِ ولا سيما بعدَ أن أمرَهم النبيُّ (ﷺ) بالتحللِ من عُمرتِهم، إذِ اعتراهم الوجومُ والذهولُ، ولم يبادروا إلى تنفيذِ ما أمرَهم بهِ (ﷺ) كعادتِهم، وقد أمَّلوا أن يذبحوا هديَهم، ويحلقوا رؤوسَهم في رحابِ الحرمِ، فلما رأوا رسولَ اللهِ(ﷺ) قامَ وذبحَ بَدَنَةً، وحلقَ رأسَه بعدَ مشورةِ أمِّ المؤمنينَ أمِّ سلمةَ هندِ بنتِ أبي أُميةَ المخزوميةِ قاموا فنحروا وحلقوا وآمنوا باللهِ وصدَّقوا وعدَه وأطاعوا نبيَه؛ وأُمضيَ الصلحُ، وكانَ في ذلك الخيرُ والفلاحُ للإسلامِ والمسلمينَ .

(٢) ريشةُ الطائرِ كالنسرِ والصقرِ بعدَ تسويتِها وإعدادِها لتركَّبَ في السَّهمِ؛ وهو مثلٌ يُضربُ للشيئينِ يستويان ولا يتفاوتان .

إفريقيا، فلم يجد بُغيتَه وعادَ إلى القاهرةِ، فلم يظفر إلا بخيبتِه، فقالَ لإمامِ الجامع ـ الذي يصلي فيه كلمةً أليمةً ثقيلةً، فحواها ـ: " الحمدُ للّه أنّي عرفتُ الإسلامَ في صورتِه الحيَّةِ الصحيحةِ قبلَ أن أتعرفَ على أهلِهِ البعيدين عن تطبيقِه، فلو كانَ اتصالي بهم قبلَ الإسلامِ لوقعتُ في الفتنةِ " ـ نعوذُ باللّه أن نكونَ فتنةً ـ نعم . أيُّها الإخوةُ. أين العنايةُ بأخلاقِ الحبيبِ وأوامرِ الحبيبِ (ﷺ)عبرَ وسائلِ الإعلامِ في بلادِ الإسلامِ، ولو على أقلِّ تقديرٍ بكفِّ كلِّ ما يخالفُها؟! أين تطبيقُ سنةِ المصطفى(ﷺ) في البيتِ والأسرةِ والشارعِ والمجتمعِ؟ ماذا جنتِ الأمةُ لما أهملت – أو كادت – أُمورَ السنةِ المحمديةِ – على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ – لقد اكتفينا بالمظاهرِ عن الحقائقِ، والدعاوى والزعومِ عن التطبيقِ الجادِ والتمسكِ الحقِ، وجعلنا يومًا من أيامِ السنةِ لقراءةِ تأريخِ محمدٍ أو النشأةِ المحمديةِ أو الشمائلِ المحمديةِ دونَ فقهٍ أو تطبيقٍ لِما نقرأُ، بل تجدُ أغلبَ المجتمعين مشغولين بالقيلِ والقالِ واللعبِ بالهاتفِ المحمولِ، وقد يأتي كثيرٌ منهم مجاملةً لتناولِ الطعامِ والشرابِ، ثم لا تسألُ عمَّا يحدثُ.

إنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيك، فإذا لم تكنِ الشمسُ فلا تنتظرِ الشعاعَ، وإذا لم يكنِ القمرُ فلا تنتظرِ النورَ، وإذا لم يكنِ البحرُ فلا تنتظرِ اللؤلؤَ، ومَن ظنَّ بخلافِ هذا فهو غِرٌّ أو مغرورٌ أو هما معًا.

ومـــردودٌ كلامُهـــم علـــيهم كمـــا رُدَّ النكـــاحُ بـــلا ولي

الوقفةُ الثانيةُ: كانَ الحبيبُ (ﷺ) قضيتُه الكُبرى الإسلامُ، فقد جرَّعَه أهلُ مكةَ الصعبَ والعلقمَ أخرجوه مِن بلدِه، حاربوه في البلدِ الذي استقرَّ فيه، آذوه في نفسه، طردَه أهلُ الطائفِ، سَبُّوه، وقالوا عنه: أنت مذممٌ ولستَ محمداً[1]. وإنَّما هو محمدٌ ـ صلواتُ ربي وسلامُه عليه ـ قاطعوه في

(١) كانَ الكفَّارُ مِن شدةِ كراهتِهم للنبيِّ (ﷺ) لا يسمونه باسمِه الدالِ على المدحِ، فيعدلون إلى ضدِّه، فيقولون: مذممٌ، وإذا ذكروه بسوءٍ، قالوا: فعلَ اللّهُ بمذممٍ . ومذممٌ ليسَ اسمَه، ولا يُعرفُ به، فكانَ الذي يقعُ منهم مصروفًا إلى غيرِه .

الشِّعبِ[1] وحبسوه، وضعوا الشَّوكَ في طريقِه، ألقوا سَلا الجزورِ[2] على ظهرِه ورأسِه، ائتمروا ليقتلوه، فيُسلِّي عن مِحنِه وبلائِه القرآنُ الكريمُ، فيقولُ له ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾[3] ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾[4] يا محمدُ، بل يلاحقُه السبُّ والشتمُ بعدَ انتقالِ روحِه الزكيةِ الطاهرةِ الراضيةِ المرضيةِ إلى الفردوسِ الأعلى، وإلى يومِنا هذا، بل وإلى أن يرثَ الأرضَ وارثُها، أما سمعتُم وتسمعون عن الخائبِ الذليلِ الذي جاءَ يَهذي ويَطبخُ القيحَ بشدقيه ويرمي، مَن نفخَ الشيطانُ في أنفِه، يَسعطُ سخفَه، فانبرى يسخرُ بسيدِ الورى في ضروبٍ من اللهوِ والفراءِ من أرحامٍ حنظليةٍ وأصلابٍ صليبيةٍ.

يا سخيفَ السخفاء ... في ابتداءٍ وانتهاء
إنَّما بابُك بابُ النفيِّ ... لا بابُ الجزاء

أين أديمُ الكلابِ ومسقطُ الذبابِ، تماري في الشَّفقِ، والليلِ وما وسقَ، والقمرِ إذا اتَّسقَ .

لذا كانَ على كلِّ مسلمٍ أسوةً بنبيه (ﷺ) أن يجعلَ الإسلامَ قضيتَه الكُبرى عليه يحيا، وفي سبيلِه يموتُ، يطبقُه كما جاءَ ويُدافعُ عنه بقوةٍ وحكمةٍ، ويجاهدُ في سبيلِه بجدٍ وإخلاصٍ، ونقولُ: للذين استقاموا ثم انقلبوا على أعقابِهم، إياكم ثم إياكم فإنَّ دونَ الاستقامةِ موضعَ العطبِ والهلاكِ .

ومَن يتباعد عن طريقِ محمدٍ ... يجرجرهُ شيطانُ الطريقِ البعيدةِ

الوقفةُ الثالثة: مِن الغيرةِ لأمةِ الإسلامِ أن نطبقَ نصوصَ الكتابِ، وما جاءَ عن نبيِّ الإسلامِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ ، ثم نوردُها للغربِ لا أن

(١) الشِّعب: الطريقُ في الجبلِ أو انفراجٌ بينَ جبلين .
(٢) سَلا الجَزور: مشيمةُ الناقةِ، وما يخرجُ معها مِن سوائلَ بعدَ الولادةِ .
(٣) سورة النحل الآية: ١٢٧.
(٤) سورة المدثر الآية: ٧ .

نصدِّرَ زَبَدَ أمةِ الغربِ، فالأمةُ تنكَّرت لمصدري عزتِها ورفعتِها، فطرقت دونهما كلَّ الأبوابِ، ومدَّت أيديَها إلى كلِّ الأممِ متجاهلةً قولَه (ﷺ): " تركتُ فيكم شئين ما إن تمسكتُم بهما لن تضلوا أبدًا كتابَ اللّه وسنتي"، فجاءت بالوشلِ[1]، وبائتَ بالفشلِ، كذبَ الرعدُ، وأُخلفَ الوعدُ، وأُحتلت الأرضُ، ووردَ الإبلَ سعدٌ[2]، وما رجعت أمتُنا إلا بالخَيبةِ، صِفرُ العَيبةِ معَ المهانةِ والصغارِ.

وعلى شبابِ الأمةِ وبناتِ المسلمين أن يفقهوا جيدًا أن عزتَهم في اتباعِ نبيِهم وتقليدِ أخلاقِه وسلوكِه، فقد نصبَ لهم بقرآنه وسيرتِه وأخلاقِه أعلامَ هدايةٍ في كل مصعدٍ ومنحدرٍ، في أخلاقِ القرآنِ الكريمِ ما يكفي، وفي هديِّ رسولِ اللّه (ﷺ)ما يَشفي، ولسنا بحاجةٍ إلى تصديرِ صديدِ أفكارِ الغربِ وقيحِ ثقافتِهم.

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البَرُّ الكريم.

★★★

أحمدُكَ اللهم على ما أسبغتَ مِنَ النِّعمِ، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلي وأسلمُ على محمدٍ أفضلِ من خَصصتُه بِروحِ قُدسِك، إلهي وخالقي إنا نعوذُ بك من فتنةِ القولِ والعملِ، ونعوذُ بك مِن التَّكلفِ لما لا نحسنُ، كما نعوذُ بك مِنَ العُجبِ بما نحسنُ، ونعوذُ بك مِن السَّلاطةِ والهَذَرِ، كما نعوذُ بكَ مِنَ العِيِّ والحَصرِ، وبعدُ:

فمَعَ **الوقفةِ الرابعةِ** - أيُّها المؤمنون - يروى أنَّ جنازةَ يهوديٍّ مرَّت بحضرةِ النبيِّ (ﷺ)، فدمعت عيناه لما رأها (ﷺ)، فقالَ له أحدُ الصحابةِ: ولكن يا رسولَ اللّهِ هذه جنازةُ يهوديٍّ، فقال(ﷺ)،" ولكنُّها نفسٌ خرجت

(١) الوشَل: الماءُ القليلُ يتجلبُ من جبلٍ أو صخرةٍ، ولا يتصلُ قطرُه .
(٢) مثلٌ يُضربُ في كلِّ من يعملُ عملاً بطريقةٍ غيرِ صائبةٍ ولا مناسبةٍ .

مني إلى نارِ جهنمَ"، وقالَ فاروقُ الأمةِ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللّٰهِ لقد دعا نوحٌ على قومِه، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[1] ولو دعوتَ علينا مثلَها لهلكنا عن آخرنا فقد وُطئَ ظهرُك وأُدمِي وجهُك وكُسرت رباعيتُك؛ فأبيت أن تقولَ إلا خيرًا " اللهم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون ".

سكت عنهم حتى عَفى عنهم ثم أَشفقَ عليهم ورحِمَهم ودعا وشَفع لهم. هكذا كانَ حرصُه (ﷺ) على هدايةِ الناسِ وشفقتِه بهم، كانَ شديدَ الحرصِ على تغييرِ المنكرِ والأمرِ بالمعروفِ وكانَ يقولُ لأصحابِه: " ليس وراءَ تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عنِ المنكرِ مثقالُ حبةٍ خردلٍ مِن الإيمان "، ويأتي في زماننا هذا مِن يمشي في منكرٍ ويسمعُ منكرًا، ويدخلُ في منكرٍ، ولا يغيِّرُ، ولو بأضعفِ الإيمان، ثم يزعمُ ويفتري أنَّه يحبُ المصطفى (ﷺ)، بل يأتي من يَدَّرعُ بالغلسِ ويقولُ: لِمَ التدخلُ في الأمورِ الشخصيةِ، ولو شربتُ خمرًا، وأكلتُ خنزيرًا، وعلقتُ صليبًا، فلا تزجَّ بنفسك ولا تتدخلْ فيما لا يعنيك، ويقولُ بعضُهم: اتركِ الناسَ تستمتعُ بحياتِها! فإن كان في أمةِ الإسلامِ مَن يفكرُ بهذا التفكيرِ العقيمِ، فقد وهى السقا، وأُهرقَ بالفلاةِ الماءُ، وأُتبع الدلوُ الرِشا، وهلكَ الناسُ مِنَ الظمأِ، ولم نبكِ على مفقودٍ، ولم نفرحْ بمولودٍ، وإنها لمصيبةٌ نشيعُها، بإنا للّٰه وإنا إليه راجعون، وصدقَ اللّٰهُ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2].

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

---

(١) سورة نوح الآية: ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٤ .

الخطبةُ الثانيةُ

نماذجُ من جيلِ الشبابِ المؤمنِ وجيلِ اليومِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي له العزةُ والجبروتُ، وبيدِه الملكُ والملكوتُ، وله الأسماءُ الحسنى والنعوتُ، العالمُ فلا يَعزبُ عنه ما تُظهرُه النجوى أو يخفيه السكوتُ، القادرُ فلا يعجزُه شيءٌ في السمواتِ والأرضِ ولا يفوتُ، أنشأنا مِنَ الأرضِ نَسَمًا، واستعمرَنا فيها أجيالًا وأممًا، ويسَّرَ لنا منها أرزاقًا وَقِسمًا، تكنفُنا الأرحامُ والبيوتُ، ويكفلُنا الرزقُ والقوتُ، وتبلينا الأيامُ والوقوتُ، وتعتَورُنا الآجالُ التي خطَّ علينا كتابُها الموقوتُ، وله البقاءُ والثبوتُ، وهو الحيُّ الذي لا يموتُ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ النبيِّ العربيِّ المكتوبِ في التوراةِ والإنجيلِ المنعوتُ، الذي تمحضَ لفصالِه الكونُ قبلَ أن تتعاقبَ الآحادُ[1] والسُّبوتُ[2]، ويتباينَ زحلُ واليَهْموتُ[3] وعلى آلِه وأصحابِه الذين لهم في صحبتِه واتِّباعِه الأثرُ البعيدُ والصيتُ، والشَّملُ الجميعُ في مظاهرتِه ولعدوِّهم الشملُ الشتيتُ، صلى اللّٰهُ عليه وعليهم ما اتصلَ بالإسلامِ جَدُّه المبخوتُ[4]، وانقطعَ بالكفرِ حبلُه المبتوتُ وسلَّمَ تسليماً كثيرًا؛

أمَّا بعدُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[5]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[6].

---

(١) الآحادُ: جمعٌ مفردُها الأحدُ.

(٢) السُّبوتُ: جمعٌ مفردُها السبتُ.

(٣) اليَهْموت: بفتحِ الياءِ وإسكان الهاءِ؛ اسمُ برجٍ يُسمَّى النونُ، بينَه وبينَ زُحلَ بونًا بعيدًا، ويُسمَّى لوتيا.

(٤) المبخوتُ: المحظوظُ.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٦) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ -٧١.

يا عبادَ اللهِ اتقوا اللهَ، وبادروا بالسعيِّ إلى مرضاتِه، وأطلقوا القلوبَ من مرادِ غلاتِها قبلَ هجومِ ما لا يُدفعُ، فاليومَ عملٌ ولا حسابٌ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ .

عبادَ اللهِ

لا يغيبُ عن ألبابِكم أنَّ مرحلةَ الشبابِ مِن عُمُرِ بني الإنسان مِن أخطرِ المراحلِ، ولذا كانَ لها حسابٌ خاصٌ عندَ اللهِ تعالى لِمَ ؟ لأنَّها مرحلةُ القوةِ والحيويةِ والنشاطِ، فإنَّ الإنسانَ يبدأُ ضَعيفَ القُوى الماديةِ والأدبيةِ، وينتهي وقواه الماديةُ تغورُ وتضعفُ، وإن كانَ واسعَ التجربةِ أو كثيرَ المعرفةِ، هذه القوةُ بين ضعفين جعلت لفترةِ الشبابِ حسابًا خاصًا، ولذا قالَ الحبيبُ ـ صلواتُ ربي وتسليماتُه عليه ـ: " لا تزولُ قدما ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ مِن عندِ ربِّه حتى يُسألَ عن خمسٍ عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه مِن أين اكتسبَه وفيما أنفقَه، وماذا عَمِلَ فيما علمَ "، فالشبابُ هي المرحلةُ التي تتفجرُ فيها الطاقاتُ، وهي أعمرُ الفتراتِ بالقوةِ، وأغناها بالطاقاتِ الماديةِ والأدبيةِ على سواءٍ، ولا ريبَ فإنَّ الإسلامَ بدأَ يؤدي رسالتَه تأديةً رائقةً جليلةً حينما ظهرَ الشبابُ المؤمنُ حولَ محمدٍ(ﷺ)، كما أنَّ النبيَّ(ﷺ) بُعثَ في شبابِه على رأسِ الأربعين، وعندما نذهبُ جولةً سياحيةً في كتابِ اللهِ نجدُ أهلَ الكهفِ فتيةً، يقولُ اللهُ تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[1] وإبراهيمُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ حطَّمَ الأصنامَ في شبابِه، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[2].

وإذا جئنا إلى الناحيةِ العسكريةِ نجدُ انتصاراتِ الإسلامِ، ورفعتَه عن طريقِ الشبابِ وأكتافِ الفتيةِ المؤمنين؛ فهذا جعفرُ الطيارُ، أتى إلى معركةِ

(١) سورة الكهف الآية: ١٣ .
(٢) سورة الأنبياء الآية: ٦٠ .

مؤتةَ بكلِ شجاعةٍ وقوةٍ مجاهدًا في سبيلِ اللهِ، فقُطعت يمناه، فأخذَ الرايةَ بيدِه اليسرى، فقُطعت فضمَّ الرايةَ بعضديه حتى تكسرتِ الرماحُ في صدرِه، وهو يبتسمُ، وأنسُ بنُ النضرِ يقولُ: " إليكم عني واللهِ إني لأجدُ ريحَ الجنةِ مِن دونِ أحدٍ "، فيُضرَبُ ثمانين ضربةً، فيموتُ في سبيلِ الواحدِ الأحدِ، وهذا عقبةُ بنُ نافعٍ شابٌ في الخامسةِ والعشرين من عُمُرِه يقفُ بشجاعةِ الشابِ المؤمنِ على المحيطِ الأطلنطيِّ موحدًا مصليًا يرفعُ سيفَه إلى السماءِ قائلًا: " واللهِ لو أعلمُ أن وراءَ هذا الماءِ أرضًا لخضتُه بفرسي هذا رافعًا رايةَ لا إلهَ إلا اللهُ " .

أمَّا مِنَ الناحيةِ العلميةِ فعندما ننظرُ إلى أعلمِ الأمةِ في الحلالِ والحرامِ ابنِ جبلٍ، فكانَ شابًا في سنِ الثلاثين وبحرِ الأمةِ ابنِ عباسٍ، كانَ شابًا يغارُ منه بعضُ كِبارِ السنِ لأنَّ عمرَ بنَ الخطابِ يجعلُه مع مشايخِ الأمةِ مِنَ الصحابةِ في استشارتِه والأخذِ برأيِه، كما وجدنا الإمامَ جابرَ بنَ زيدٍ يَرحلُ عن وطنِه الأم عُمانَ من أجلِ طلبِ العلمِ ببصرةِ العراقِ، ثم ما ظنُّك بمَن سجَّلَ القرآنُ الكريمُ فيهم أشرفَ المواقفِ في هذه الآيةِ العظيمةِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

ولندعِ – الآنَ – المجالَ لأبي حمزةَ المختارِ بنِ عوفٍ ليحدثَنا عنِ الشبابِ المؤمنِ الذي كانَ معَ الحبيبِ فيقولُ: " يا أهلَ مكةَ تعيروني بأصحابي تزعمون أنَّهم شبابٌ، وهل كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ(ﷺ) إلا شبابًا، نعْمَ الشبابُ، مكتهلين في شبابِهم عَميةً عن الشرِ أعينُهم بطيئةً عنِ الباطلِ أرجلُهم قد نظرَ اللهُ إليهم في آناءِ الليلِ منثنيةً أصلابُهم بمثاني القرآنِ، إذا مرَّ أحدُهم بآيةٍ فيها ذكرُ الجنةِ، بكى شوقًا إليها، وإذا مرَّ بآيةٍ في ذكرِ النارِ شهقَ شهقةً كأنَّ زفيرَ جهنمَ في أذنيه، قد وصلوا كلالَ ليلِهم

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.

بكلالِ نهارِهم، أنضاءَ عبادِه، وأطلاحَ سهرٍ قد أكلتِ الأرضُ جباهَهُم وأيديَهم وركبَهم، مصفرةً ألوانُهم، ناحلةً أجسامُهم مِن كثرةِ الصيامِ، قد واصلوا القيامَ، مستقلون لذلك في جنبِ اللّه، موفون بعهدِ اللّه، مستنجزون لوعدِ اللّه، إذا رأوا سِهامَ العدوِ، قد فوّقَت، ورماحُه قد أُشرعت، وسيوفُه قد انتضيت، وبرقتِ الكتيبةُ، ورعدت بصواعقِ الموتِ استهانوا بوعيدِ الكتيبةِ لوعدِ اللّه، فمضى الشابُ منهم قُدماً حتى تختلفَ رجلاه على عنقِ فرسِه قد رُمِّلت محاسنُ وجهِه بالدماءِ، وعُفّرَ جبينُه بالثرى، وأسرعَ إليه سِباعُ الأرضِ، وانحطَّت عليه طيرُ السماءِ، فكم من مُقلةٍ في مِنقارِ طائرٍ طالما بكى صاحبُها من خشيةِ اللّه، وكم من كفٍّ بانت عن معصمِها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها في سجودِه، وكم من خدٍ عتيقٍ وجبينٍ رقيقٍ قد فُلقَ بعُمُدِ الحديدِ رحمةُ اللّه على تلك الأبدانِ، وأدخلَ أرواحَها في الجنانِ .

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

تَعالوا معي لنطويَ هذه الصفحاتِ المشرقةَ مِن تلك الأجيالِ الشابةِ المثاليةِ في أخلاقِها وسلوكِها، وفي تمسكِها بعقيدتِها، والدفاعِ عن إسلامِها والذَّودِ عن حياضِها، تلك الأجيالُ التي عرفتِ الإسلامَ فعاشتُه واقعًا عمليًا حيًا، تلك الأجيالُ التي أعدتِ الزادَ والبُلغةَ لجنةٍ عاليةٍ قطوفُها دانيةٌ، وأشفقت مِن هولِ المطلعِ ونارٍ حاميةٍ تُسقى من عينٍ أنيةٍ، تعالوا معي لنطويَ تلك القرونَ ونقفَ على أحوالِ جيلِنا المعاصرِ من شبابِنا خاصةً، وللنساءِ حديثٌ غيرُه.

إنَّ السوادَ الهائلَ من شبابِ الأمةِ الإسلاميةِ، يعاني من أزمةٍ حادةٍ في التوجيهِ الفكريِّ والثقافيِّ، ويعاني من درنِ الواردِ التثقيفيةِ الهزيلةِ الفاشلةِ، ومِن تلوثِ المادةِ التعليميةِ واضطرابِها، أصبحتِ التربيةُ الإسلاميةُ التي تصنعُ شابًا يقدمُ الولاءَ للّه ولرسولِه (ﷺ) ولأمتِه، وتصون أخلاقَه وكرامتَه وعاداتِه وتقاليدَه في المؤسساتِ التعليميةِ، نصلي عليها صلاةَ الجنازةِ بعد أن غسلناها وحنطناها وحملناها على النَّعشِ، ولا أدري هل سنقومُ بدفنِها لغيرِ رجعةٍ أم أنَّ أذنابَ الغربِ سيراجعون

ظمائرَهم ويعودون إلى رشدِهم بعدَ أن ضلُّوا وأضلُّوا عن سواءِ السبيل. أصبحَ الشابُ يفتقرُ إلى التربيةِ التي أُدخلت قفصَ الاتهامِ، فظهرَ جيلٌ تافهٌ يسبحُ من غيرِ ماءٍ، ويطيرُ من غيرِ جَناحٍ، جاهلٌ بشؤونِ دينِه ودنياه معًا، يكتسحُه الفراغُ والبطالةُ، فكما تحتاجُ الصحراءُ الكُبرى إلى أنهارٍ لا حصرَ لها كي تحوِّلَ جدبَها خصبًا، فإنَّ شبابَنا بحاجةٍ إلى أنهارٍ من المعرفةِ بدينِها ودنياها، ترفعُ مستواها، وتبدلُ حالتَها، وتجعلُها أرقى مما هي الآن، فنحن بدينِنا جهالٌ، وبتأريخِنا جهالٌ، وبدنيانا جهالٌ حتى تندرَ قادةُ اليهودِ: بأنَّ العربَ آخرُ مَن يقرأُ، أصبحَ شبابُنا لا هويةَ لهم، ومما يغيظُ كلَّ غيورٍ أنَّ أهلَ الأرضِ يذهبون حيث يذهبون بما عندَهم من عقائدَ، الرجلُ الشيوعيُّ ما فكرَّ قطُّ أنني متنازلٌ عن الشيوعيةِ، أو سأخذُ بعضًا مِنَ الإسلامِ وعميدُ الصليبيةِ في العالمِ ما فكَّرَ قطُّ في أن يغيِّرَ من تدينه، ولا مِن مسلكِه إلا شبابُ المسلمين، يسلخون دينَهم جانبًا، ويحاولون التطفلَ والتسولَ من فتاتِ موائدِ الغربِ.

رأوا الجوَّ العامَ في أمةِ الغربِ اللهوَ والعبثَ واللعبَ، فقلدناهم حتى إنك لتجدُ الفلواتَ والأرصفةَ إلى أنصافِ الليالي، مليئةً بالشبابِ لا يعرفون إلا لعِبَ الورقِ والأغانيَ وحديثَ الفُحشِ والفجورِ، ورأوهم يأخذون من شعرِ الرأسِ ويتركون بعضَه وهو شأنُ حثالةِ الصهاينةِ، فتطفلنا وقلدناهم، وفي الحديثِ أنَّ النبيَّ (ﷺ) نهى عن القَزعِ في الشعرِ، أي: أخذُ البعضِ وتركُ الآخرِ، ظهرَ مِن شبابِ الجيلِ مَن يلبسون أسورةَ الفضةِ وخواتمَ الذهبِ، ولا يبالون في لبسِ الحريرِ وإتيانِ الحِرِّ؛ أصبحَ الشابُ لا يمشي على الأرضِ حتى تسمعَ مِن حِذاه صوتًا يتجلجلُ، وظنَ المسكينُ بأنَّ هذا الصنعَ شارةٌ على أنَّه يعرفُ الحياةَ جيدًا، وظهرَ منَ الشبابِ مَن يتفسخُ في المشيِّ، ويتغنجُ في الكلامِ، ويظهرُ عورتَه، وظهرَ مِنَ الشبابِ مَن يتقربون من الجنسِ اللطيفِ بألبسةٍ فرنساويةٍ تُبرزُ مفاتنَ الجسدِ وتجسمَ عورتَه.

وكثيرٌ مِن شبابِنا يضيّعُ نفيسَ وقتِه، فتمرُ الساعاتُ الطويلةُ والأعمارُ المديدةُ دونَ أيِّ فائدةٍ، بل فيما يجلبُ عليهم الخسرانَ والبوارَ يومَ القيامةِ. إنَّ بعضَ شبابِنا يبدأُ برنامجَه اليوميَّ مِنَ العصرِ إلى العشاءِ في اللهوِ والعبثِ والخروجِ مِنَ البيتِ لا عملَ ولا زراعةَ ولا تجارةَ ولا وظيفةَ ولا كسبَ؛ ثم يسهرُ إلى الواحدةِ أو الثانيةِ ليلًا، وبعضُهم عندما يسمعُ أذانَ الفجرِ، وقد شغلتْهُ الأفلامُ العاهرةُ يرمي بجسدِه في الفراشِ كالجُثةِ الهامدةِ بعد أن ألغى صلاةَ الفجرِ مِن قاموسِه، ثم يستيقظُ الساعةَ الثانيةَ عشرَ في أذانِ الظهرِ، فأيُّ حياةٍ هذه وأيُّ عيشةٍ تلك!

ظهرَ بعضُ شبابِنا مَن يلبسُ البنطالَ الضيقةَ، الذي لا يحسنُ المشيَ به من ضيقِه، وظهرَ مَن يستخدمُ الكُحلَ، ويصبغُ الشفةَ بالحُمرةِ، ومن يستخدمُ بُخارَ الوجهِ، فأنعم بالجيلِ إن كانَ كذلك، وأبشر بالفتحِ المبينِ بمثلِ أولئك !

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

***

الحمدُ للّه الذي ما شاءَ صنعَ، ومَن شاءَ أعطى ومَن شاءَ منعَ، ومَن شاءَ خفضَ ومَن شاءَ رفعَ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ وبعدُ:

فيا أيُّها الشبابُ

إنَّ نبيَّنا وأسوتَنا محمدًا(ﷺ) قد رسمَ لنا أعلامَ خيرٍ وهدايةٍ في كلِّ مصعدٍ ومنحدرٍ، ولسنا بحاجةٍ إلى التسولِ مِن موائدِ الغربِ، وقيحِ سلوكِهم وثقافتِهم، ففي هديِّ القرآنِ الكريمِ ما يكفي، وفي أخلاقِ الحبيبِ ما يَشفي، وفي الاقتداءِ بالصالحين ما يغني، الزموا صبغةَ اللّهِ، وتركوا ما سواها،

فهي أحسنُ صبغةٍ وأعزُّ صبغةٍ لكم: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1].

هذا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى، كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا .

(١) سورة البقرة الآية: ١٣٨.

الخطبةُ الثالثةُ

نماذجُ مِن جيلِ النساءِ المؤمناتِ وجيلِ اليومِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ خالقِ البشرِ، ومصوِّرِ الأشباحِ والصُّورِ، ومبدعِ أصنافِ الفطرِ، العالمِ بما خفي وظهرَ، الذي سبقَ له بكلِّ كائنٍ قدرٌ، ما شاءَ كانَ ولا يغني الحذرُ، رفعَ قيمةَ المرأةِ في مُحْكَمِ السُّورِ، أحمدُه، وله الحمدُ في الآصالِ والبكرِ، وأومنُ به وملائكتِه وكتبِه ورسلِه وبالقدرِ؛ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، فردٌّ صمدٌّ، لا ملجأَ مِن دونِه ولا وزرَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صاحبُ المجدِ الأطهرِ، والجبينِ الأزهرِ، والوجهِ الأقمرِ، غفرَ اللّٰهُ له ما تقدَّمَ مِن ذنبِه وما تأخرَ، فبلَّغَ ما أُرسلَ به حتى تبلَّجَ قمرُ الإيمانِ فأزهرَ، وغابَ نجمُ الطغيانِ فأدبرَ، (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه النجومِ الغررِ، ما هللَ مهللٌ وكبَّرَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الأماجدُ الموحدون

إنَّ الزمانَ يطوي بكم مسافةَ الأعمارِ، ولا شكَ أنتم راحلون عن هذه الدارِ، فيا معشرَ الآباءِ والشيوخِ ماذا تنتظرون بعدَ المشيبِ؟ وهل بعدُه إلا الموتُ؟ فإنَّ الموتَ قريبٌ، إنَّه ليسَ إلى البقاءِ مِن سبيلٍ، فماذا تزودتُم للرحيلِ؟ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1] ويا معشرَ الأحداثِ الشبابِ أنفقتُم غررَ الأعمارِ خسارًا، وضيعتُم قوةَ الشبابِ تماديًا وإصرارًا، لا بغنيمةٍ ظفرتُم، ولا بعزٍ مؤثلٍ للدينِ القويمِ الكسيرِ أحرزتُم، ولا بشرفِ الاستقامةِ فزتُم، فاتقوا اللّٰه

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨١.

ربكم، ويا معشرَ النساءِ، يقولُ ربُكنَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[1] فهل أنتن منها أو عنها إلى الأبواقِ الماكرةِ والأصواتِ الناعقةِ والدعاياتِ المضللةِ؟

عبادَ اللهِ

لا يغيبُ عن خلدِكم أن نبيَّنا محمدًا (ﷺ) أخرجَ أمةً نعتَها القرآنُ الكريمُ بقولهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] هذه الأمةُ كانت بشبابِها وشابتِها تمثلُ الطِّرازَ المثاليَّ في التطبيقِ العمليِّ الواقعيِّ لحروفِ الإسلامِ، هذه الأمةُ كانت تُعدُّ العالمَ الأولَ في العظمةِ ونفوذِ الكلمةِ، كانت هذه الأمةُ، وكان هذا الجيلُ الذي يُعدُّ العالمَ الأولَ، قد نشأَ في أحضانِ النبوةِ، وتربى على مثالياتِ الإسلامِ، وشبَّ على توجيهاتِه، ثم عاشَ تحتَ العنايةِ الإلهيةِ التي اقتضت ذلك بقولهِ تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[3] كانَ هذا الجيلُ يرضعُ في أخلاقِه وسلوكِه، وفي تمسكِه بعقيدتِه مِنَ الكتابِ والسنةِ، كانَ جيلًا مثاليًا في التضحيةِ والفداءِ في سبيلِ إيمانِه، وكانَ مضربَ المثلِ ومطمحَ الناظرين في الاهتداءِ بهديِ الإسلامِ والمحافظةِ على سننِه وتعاليمِه.

لقد كانَ أفرادُ العالمِ الأولِ يُفضِّلون أن تنقصَهم رقابُهم، وأن ينالَهم أسوأُ الأذى، وأشدُّ العذابِ مِن أن يلحقَ أدنى مكروهٍ بالإسلامِ أو نبيِّ الإسلامِ، كانَ أربابُ العالمِ الأولِ يحبذون فداءَ هذا الإسلامِ الذي اعتنقوه وآمنوا به، وفداءَ نبيِّه الذي اتبعوه بمهجِهم وأرواحِهم، وبالأموالِ والبنين، وبكل ما يملكون حتى أنَّ أحدَهم كانَ مستعدًا أن يخرجَ مِن الحياةِ بأسرِها

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ١١٠ .
(٣) سورة محمد الآية: ٧ .

في أيِّ لحظةٍ في سبيلِ الحفاظِ على دينه وعلى عقيدتِه، وفي سبيلِ الدِّفاعِ عنها، والذَّودِ عن حياضِها، وهناك أمثلةٌ رائعةٌ ومواقفُ عديدةٌ، وقفَها أفرادُ ذلك الجيلِ، ذلك العالمُ الأولُ أبانوا فيها عن جوهرِهم النفيس، وعن نفوسِهم الساميةِ، وتبيَّنَ من خلالِها للناسِ أجمعَ، أنَّهم قممٌ شامخةٌ، لا تُنالُ ولا تسامى في تطبيقِ تعاليمِ الإسلامِ.

أيُّها المؤمنون

إليكم هذا الموقفَ الرائعَ العظيمَ مِن إمرأةٍ مسلمةٍ، عاشت عصرَ العالم الأوَّلِ، وتربت في أكنافِ الدعوةِ الإسلاميةِ، وتغلغلَ حبُّ الإسلامِ ونبيِّ الإسلامِ في حنايا نفسها وشغافِ فؤادِها، يحدثُنا التأريخُ عن هذا الموقفِ العجيبِ الذي حدثَ يومَ أُحدٍ المعركةِ الإسلاميةِ الشهيرةِ، ففي هذه المعركةِ، وعندما كانَ النبيُّ (ﷺ) وصحبُه الكرامُ عائدين في طريقِهم إلى المدينةِ، جاءت امرأةٌ من بني دينارٍ، تسألُ عمَّن استُشهدَ مِنَ المسلمين، وكانتِ المفاجأةُ مؤلمةٌ ومفجعةٌ لها، إذ أخبرَها المخبرون أنَّ أباها وأخاها وزوجَها كانوا ـ جميعًا ـ ضمنَ شهداءِ المعركةِ، ولكن ماذا فعلت هذه المرأةُ المسلمةُ عندما تلقت هذا الخبرَ المرعبَ لها؟ هل صاحت وولولت؟ هل رفعت صوتَها بالثبورِ وعظائمِ الأمورِ؟ أو هل أسلمت نفسَها بالبكاءِ والعويلِ ؟ لا. إنَّه لم يحدث شيءٌ مِن هذا قطُّ، بل لم تُعر هذا الخبرَ أيَّ اهتمامٍ، لقد انبرت تسألُ عن حالِ رسولِ اللهِ (ﷺ) فقالَ لها الناسُ: إنَّه بخيرٍ، والحمدُ للهِ، فقالت: أريدُ أن أراه بعيني رأسي، فأخذوها إلى النبيِّ (ﷺ) وعندَما رأته صاحت قائلةً: كلُّ مصيبةٍ بعدك تهونُ يا رسولَ اللهِ، ثم أخذت بناحيةِ ثوبِه، وجعلت تقولُ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ لا أبالي إذا سَلِمت مِن عطبٍ – أي مِن هلاكٍ – فيا للهِ ويا لروعةِ هذا الموقفِ تُصابُ هذه المرأةُ في أعزِّ مَن تملكُ من قرابتِها – زوجِها وأبيها وأخيها – وفي غمرةِ هذه الفاجعةِ الأليمةِ لا يهمُّها إلا حالُ رسولِ اللهِ (ﷺ)، أمَّا المصائبُ الأخرى فما أهونَها في نظرِها، إذا كانَ النبيُّ(ﷺ) بخيرٍ.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

هكذا تكونُ البطولةُ والتضحيةُ، وهكذا يكونُ الصدقُ والوفاءُ لهذا الدينِ، ثم هكذا يتجلى الإيمانُ الحقُ باللّهِ ونبيِّه في هذه المواقفِ التي عَقُمتِ الأجيالُ اللاحقةُ أن تنجبَ مثلَها، هذا موقفٌ واحدٌ فقطٌ تقفُه امرأةٌ واحدةٌ من نساءِ العالمِ الأولِ، فما ظنُّك بمواقفِ رجالِه وأبطالِه؟ وما ظنُّك بمَن سجَّلَ القرآنُ فيهم أشرفَ المواقفِ في هذه الآيةِ الكريمةِ:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

ولكن أريدُ أن أسدلَ الستارَ عن تأريخِ العالمِ الأولِ لنفتحَ ستارَ العالمِ الثالثِ كما حلى لأمريكا ومحورِ شرِّها من دولِ الغربِ أن تطلقَه علينا ولو كانَ هناك عالمٌ تاسعٌ أو عاشرٌ لمُنحنا إياه بكلِّ جدارةٍ، ولحققنا درجةَ الفخريةِ بلا مجاملةٍ، ذلك أنَّ أعداءَ الإسلامِ أجمعين ولو اختفوا جميعًا من هذه الدنيا، وبقي المسلمون على الوضعِ الذي هم عليه الآن نظرياً ونفسيًا وخلقيًا، فإنَّ الأرضَ لا تصلحُ بهم ولا يستحقون التمكينَ فيها .

أمةٌ أهملت وتنكرت لمصدري عزتِها الكتابِ والسنةِ، أمةٌ اشتغلت ببهرجةِ الغربِ، وبتقليدِ الغربِ والأخذِ بثقافاتِه وموضاتِه، وبكلِّ ما فيه إسفافٌ وخُزعبلاتٌ تَردُ مِن هنالك، أمةٌ أصبحت في ذيلِ القافلةِ بعدَ أن كانت هي رأسُ القافلةِ، أمةٌ صبغَ الذُّلُ وجهَها تدارُ بالوكلاتِ، لا بالآياتِ ولذا ذلَّت وهانت ورخصت سلعتُها المزجاةُ؛ أريدُ أن أفتحَ الستارَ لنقفَ على نساءِ جيلِنا ونقارنُه بنساءِ الجيلِ الأولِ والعالمِ الأولِ الذي وقفنا على صفحةٍ من صفحاتِه الناصعةِ البياضِ، ولكنِ العباراتُ لا تسعفُني والألفاظُ تخونُني واللغةُ العربيةُ تبخلُ عليَّ بأدواتِ نفيِها ونهيِها وزجرِها؛ تضنُ عليَّ بأساليبِ استفهامِها وتعجبِها واستغاثتِها ونُدبتِها؛

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣ .

فالمجالُ لا يحتملُ المقارنةَ، وهناك بونٌ شاسعٌ وهوةٌ سحيقةٌ بينَ نساءِ ذلك الجيلِ المشتعلةِ المتأججةِ المضطرمةِ؛ وبينَ نساءِ هذا الجيلِ الذابلةِ التي تصلُ إلى ما تحتَ الصِفرِ إلى درجةِ البرودِ والتجمدِ، إنَّ نساءَ جيلِنا اليومَ قد يصبن بالذهولِ والدهشةِ عندما يستمعن لمثلِ هذه النماذجِ مِن نساءِ الصدرِ الأولِ لأنَّه لا شأنَ لهن بذلكَ الواقعِ .

نساءُ جيلِنا وما أدراكَ ما نساءُ جيلِنا – نساءُ العالمِ الثالثِ وقل إن شئت الرابعَ والخامسَ ـ فهن اليومَ لا يفقهن قشورًا عن أحوالِ الجيلِ الأولِ، وهن اليومَ في شُغلٍ شاغلٍ، وهناك مَن ينفخُ في الكيرِ ويعالجُ العيونَ بالرمدِ، المرأةُ في زماننا أصبحت مترجلةً، فهي لا تريدُ أن تبنيَ أسرةً وتلزمُ خِدرَها وتُنشِّئُ الأجيالَ وتعطفُ وتَحِنُّ، لا تريدُ أن تقتصرَ على مجالاتِ عملِها التي تكونُ مصونةً فيها بستارِ العفةِ والحشمةِ، أصبحتِ المرأةُ في زماننا تأخذُ بحُجزةِ الأسواقِ، تبيعُ في المطاعمِ والمكتباتِ والنوادي، وكأنَّ وليَّ أمرِها لا يستطيعُ أن يوفِّرَ لها ما يسدُّ جوعتَها، ويروي ظمأَها، ويسترُ جسدَها بحيث يجعلُ هذه المراهقةَ سلعةً رخيصةً في محلٍ يدخلُ عليها فيه البارُ والفاجرُ والسفيهُ والوضيعُ بحجة أنَّ المجتمعَ شفافٌ، وواقعَ الغلاءِ يفرضُ ذلك، فأنعم بشفافيتِه وفرضِه.

أصبحتِ المرأةُ في زماننا تداومُ في مكتبٍ مع رجلٍ أجنبيٍّ، تبادلُه صباحَ الفُلِ ومساءَ الياسمينِ، وتمَّ فرضُ الاختلاطِ بين الجنسين في المدارسِ والمؤسساتِ التعليميةِ في معظمِ أقطارِ العالمِ الإسلاميِّ ليفاقمَ الكارثةَ، وقولُه (ﷺ): " ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجالِ مِن النساءِ"، لا تساوي شيئًا لأنَّ القلوبَ سليمةٌ! ولا داعيَ للتشددِ ورهبنةِ المرأةِ، ثم لماذا المعاكسةُ في عصرِ الانفتاحِ والحريةِ ؟

أصبحت أسواقُنا تَعِجُّ وتَثِجُّ وتَضِجُّ بمحلاتِ الأزياءِ والتجميلِ وتصفيفِ الشعرِ والمرأةِ الحسناءِ وزهرةِ الخليجِ وكذا وكذا، وقد بينت دراسةٌ خليجيةٌ أنَّ نساءَ الخليجِ ينفقن مِن مصروفِهن الشهريِّ ما نسبتُه

٨٠% لمساحيقِ التجميلِ، أصبحت امرأةُ العالمِ الثالثِ لديها فريقُ كرةِ قدمٍ وطائرةٍ وتنسٍ، وأحرزت لقبَ ملكةِ البحرِ في السباحةِ، ومجلاتُنا وجرائدُنا تعطيهنَ الثناءَ الطافحَ والتحياتِ المباركاتِ ليتمَ إغراءُ البقيةِ الباقيةِ من نساءِ المسلمين.

وحدِّث ولا حرجَ عن دورِها الفاعلِ في وسائلِ الإعلامِ من عارضةِ دعاياتٍ إلى مطربةٍ إلى ممثلةٍ إلى مروجةٍ للانحلالِ والمجونِ؛ وإذا تكلَّمَ رجلٌ رشيدٌ صرخَ أهلُ الذّلةِ والمسكنةِ، قائلين: المرأةُ مظلومةٌ ومهدرةُ الحقوقِ، ويقولون عن المجتمعِ المحافظِ: أنَّ نصفَه معطلٌ ولا يتنفسُ إلا برئةٍ واحدةٍ، وكيف تُحرَمُ المرأةُ؟

نعم. إنَّهم بهذا الكلامِ يهدفون إلى تحريرِ المرأةِ من أخلاقِها وآدابِها وسلخِها من مُثلِها وقيمِها ومبادئِها وإيقاعِها في الشرِ والفسادِ، يريدونها عارضةً للأزياءِ وسلعةً للسذجِ والبسطاءِ، فيا أيُّها المؤمن والمؤمناتُ خبروني بربِكم مَن لصلاحِ البيتِ وسعادةِ الأهلِ وتربيةِ الأجيالِ.

ـ رضيَ اللّهُ عن المرأةِ الدنياريةِ وأرضاها ـ وباركَ اللّهُ لي ولكم في كتابِه العظيمِ وهديِّ سيدِ المرسلين ، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للّه ربِّ العالمين وليِّ الصالحين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين وإمامِ المتقين وقدوةِ الناسِ أجمعين، وعلى آلِه وصحبِه وسلّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعدُ:

فيا أيتُها الجمعياتُ النسائيةُ

في كلِّ مكانٍ حذارِ حذارِ من مغبةِ مخالفةِ هديِّ الإسلامِ والانسياقِ وراءَ الشعاراتِ البرَّاقةِ والدعاياتِ المسمومةِ المضللةِ ضدَ أخلاقِ المرأةِ

وقيمِها ومُثلِها، واقتصري على الحريةِ الشرعيةِ والأعمالِ الإسلاميةِ التي تتفقُ مع طبيعتكِ وأنوثتكِ، فيما لا يخالفُ نصًا من كتابٍ أو سنةٍ.

فالعزُّ كلُّ العزِّ في تعاليمِ الإسلامِ والخيرُ كلُّ الخيرِ في مطالبِ ونواهي الشرعِ الحكيمِ، ولَكُنَّ في أزواجِ المصطفى والصحابياتِ أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو منكنَّ اللَّهَ واليومَ الآخرَ، إلى المسؤولين عن الفتاةِ تعليمًا ورعايةً قِوامةً وعنايةً ركزوا على الجوانبِ الإيمانيةِ، ولا بُدَّ من وضعِ حدٍ فاصلٍ وسدٍّ منيعٍ أمامَ السيولِ المتدفقةِ مِنَ المظاهرِ الفاضحةِ والمناظرِ الماجنةِ والأفلامِ الخليعةِ والصورِ العاريةِ وشبهِ العاريةِ التي تُردي الغيرةَ والأخلاقَ قتيلةً؛ وتورثُ الدَّياثةَ والرذيلةَ. إلى أولياءِ الأمورِ من أزواجٍ وآباءٍ تذكروا قولَ الحقِ جلَّ وعلا: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾[1].

إلى السادةِ العقلاءِ

اعلموا أنَّ نكبةَ الأمةِ الإسلاميةِ في أخلاقِها لم تكن إلا بعدَما نُكبت في نظامِ أسرتِها، وفسدَ اهتمامُها بنسائِها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[2].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ الزاهدين وقدوةِ العارفين.

(١) سورة النساء الآية: ٣٤.
(٢) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

الخطبةُ الرابعة

صورةٌ مِن ذلكَ الجيلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي خلقَ الخليقةَ وأعمالَها، وردَّها بنورِ الهدايةِ عنِ الغوايةِ وأمالِها وأمدَّها بالعنايةِ الرَّبانيةِ فقصَّرَ أمالَها، أحمدُه حمدَ مَنِ احتسى مِنَ النعمِ زلالَها واكتسى سربالَها، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تثبِّتُ الأقدامَ، إذا زُلزلتِ الأرضُ زلزالَها، وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها، وقالَ الإنسانُ مالَها، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه والجاهليةُ تَشْرعُ ظلالَها، فلم يزل (ﷺ) يكثِّرُ جدالَها، ويضيِّقُ مجالَها، ويعرفُ خليلَها ورجالَها حتى عرفت حرامَها، وعافتِ الدنيا إذ عرفت زوالَها، اللهم فصلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه ما خالفتِ الجَنُوبُ في الهُبُوبِ شمالَها، وما تغردَ قُمريٌّ[1] على الوردِ والبانِ وأشباهِها، وما ناحَ عندليبٌ[2] على نورِ الأُقْحُوانِ[3] وأمثالِها؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ما لأمواهِ العيونِ غائضةً ؟ وما لأفواهِ الذنوبِ فائضةً ؟ وما للهممِ عن طلبِ النجاةِ رابضةً؟ وما للنفوسِ في ميدانِ الشهواتِ راكضةً؟ وما للأهواءِ في مجاري الزلاتِ خائضةً؟ وما للعزائمِ إلى مقابلِ التوبةِ ناهضةً؟ أذهبَ الصوابُ عن السُّلاكِ؟ ألا يا اسرحوا ـ رحِمَكم اللّٰهُ ـ بثواقبِ الأسماعِ والأبصارِ في نواحي الجهاتِ والأقطارِ، فما ترون في جمعِكم هذا إلا

---

(١) قُمري: نوعٌ مِن أنواعِ الحمامِ حَسنُ الصوتِ .

(٢) عندليب: طائرٌ صغيرُ الجُثَّةِ سريعُ الحركةِ كثيرُ الألحانِ؛ يَسكنُ البساتينَ، ويظهرُ في أيامِ الربيعِ، والجمعُ: عنادلُ .

(٣) الأُقْحُوان: مِن أجملِ أزهارِ الحدائقِ بألوانِه وأشكالِه المتعددةِ .

الشتاتَ أو تسمعون في ربوعِكم أنَّ فلانًا ماتَ، أين الأباءُ الأكابرُ؟ وأين الأبناءُ الأصاغرُ؟ وأين المعينُ المناصرُ الخليطُ المعاشرُ؟ عثرت - واللهِ - بهم العواثرُ وأبادتهم السَّنون الغوابرُ، وبترت أعمارَهم الحادثاتُ البواترُ، واحتفظتهم عقباتٌ كواسرُ، وخلت مِن شيوخِهم المشاهدُ والمحاضرُ، وعَدِمَت من أجسامِهم تلك الجواهرُ، وطُفئت من وجوهِهم الأنوارُ الزواهرُ، وابتلعتهم الحفرُ والمقابرُ إلى يومِ تُبلى السرائرُ، فلو كشفت عنهم أغطيةَ الأجداثِ بعدَ ليلتين أو بعدَ ثلاثٍ لرأيتُم الأحداقَ على الخدودِ سائلةً، والألوانَ من ضيقِ اللحودِ حائلةً[1]، وديدانَ الأرضِ في نواعمِ الأبدانِ جائلةً والرؤوسَ المؤسدةَ على الأيمانِ زائلةً، ينكرُها مَن كان بها عارفًا وينفرُ عنها من لم يزل بها ألفًا.

مَن كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتَه ... أوِ الغبارَ يخافُ الشَّينَ والشَّعثا
ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتُه ... فسوفَ يسكنُ يومًا راغمًا جَدَثا
في قعرِ مظلمةٍ غبراءَ موحشةٍ ... يُطيلُ في قعرِها تحتَ الثرى اللبثا

فرحِمَ اللهُ امرءًا تداركَ نفسَه قبلَ الفوتِ، ولَبِسَ التقوى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[3] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾[4].

أيُّها الأخيارُ البررةُ

بعد أن انتهى العددُ الذي قضيناه سويًا في موعظةٍ تَرِقُّ لها قلوبُ طائفةٍ يصدقُ عليها قولُ الحقِّ جلَّ وعلا ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾[5] أُقلعُ الآنَ بأرواحِكم إلى زيارةِ أعظمِ جامعةٍ وأرقى جامعةٍ، تتقاطرُ جامعاتُ اليومِ

(١) حائلة: متغيرة.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦.
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.
(٤) سورة الطلاق الآية: ٥.
(٥) سورة الأعلى الآية: ١٠.

خجلًا واستحياءً أن تساويَ مِعْشَارَ عُشرِها، هذه الجامعةُ عميدُها وإمامُها محمدُ بنُ عبدِ الله - صلواتُ ربي وتسليماتُه عليه - هذه الجامعةُ خرَّجت علماءَ الأمةِ وأبطالَها وقادةَ الجحافلِ ورجالَها، مِن رَحِمِ هذه الجامعةِ خرجَ الخيرُ كلُّه، والعزُّ كلُّه، والمجدُ كلُّه، ولما كانتِ الأممُ والشعوبُ والدولُ تفتخرُ بعظمائِها، وتبني بهم أمجادَها، وتجعلُهم سيرةً عطرةً لأجيالِها، لم نجد بُدًّا مِن زيارةِ هذه الجامعةِ المحمديةِ لنأخذَ تلميذًا من تلاميذِها الذين ربَّاهم خيرُ الخلقِ طرًا محمدُ بنُ عبدِ الله (ﷺ) نتحدثُ عن هذا التلميذِ بل البطلِ الذَّمرِ والأسدِ في براثنِه لأننا في عصرٍ نحتاجُ فيه إلى الأبطالِ فلا نجدُهم، وفي عصرٍ نبحثُ فيه عن أهلِ القدوةِ، فلا نجدُ لهم أثرًا، فقدَ الجيلُ القدوةَ الصالحةَ، فكانَ قزمًا مائعًا باردًا خائرًا، فكانَ الرجوعُ بهم إلى الأصلِ وقراءةِ سيرةِ المصطفى(ﷺ) وأصحابِه من الأهميةِ بمكانٍ، ولا سيما في هذا الزمان.

أيُّها المؤمنون

شامةٌ في جبينِ التأريخِ وغرةٌ في ثباتِ المؤمنين، روى أهلُ السيرِ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ - رضيَ اللهُ عنه - وجَّهَ في السنةِ التاسعةَ عشرَ للهجرةِ جيشًا لحربِ الرومِ وفتحِ بلادِهم للإسلامِ، وقد علمَ قيصرُ الرومِ مِن أخبارِ جندِ المسلمين، وما يتحلون به من صدقِ إيمانٍ ورسوخِ عقيدةٍ واسترخاصٍ للنفوسِ في سبيلِ اللهِ وصبرٍ وبذلٍ للمهجِ والأرواحِ في سبيلِ اللهِ ما عَلِمَ؛ عَلِمَ ما أذهلَه وما أدهشَه وما أشدَه؛ فأمرَ رجالاتِه أن إذا ظفروا بأسيرٍ من المسلمين أن يُبقوا عليه حيًا، ويأتوه به، وشاءَ اللهُ جلَّ وعلا أن يقعَ في الأسرِ عددٌ مِن المسلمين من بينهم صحابيٌّ جليلٌ قد أدركَ معنى العبوديةِ للهِ - عزَّ وجلَّ -، وهو ممن قالَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾[1] رأه جنودُ قيصرَ، وهو في الأسرِ يصومُ النهارَ، ويتلو القرآنَ في جنحِ الليلِ، فقليلًا ما يَهجعُ راقبوه، فرأوا مِن

(١) سورة الذاريات الآيات: ١٧ - ١٨.

تقاه وصلاحِه وصلابتِه ورجولتِه وعقلِه ورزانتِه ما أدهشَهم، ورأوا إن كسبوه لدينهم أنهم حققوا نصرًا عظيمًا، ذكروه لقيصرهم، فقال: أُتوني به، فكان الخَبرُ[1] أعظمَ من الخُبرِ[2]، وجاوزت المعاينةُ الخبرَ، وما راءٍ كمن سمعا - كما قيلَ - نظر إليه قيصرُهم، فرأى فيه عزةً واستعلاَ المؤمنين، ونجابةَ الأبطالِ، فبادره قائلًا: أراني أعرضُ عليك أمرًا، قالَ: ما هو؟ قالَ: أن تتنصرَ، فإن فعلت خليتُ سبيلَك وأكرمت مثواكَ، فقال الأسيرُ - في أنفةٍ وحزمٍ - هيهاتَ هيهاتَ، إنَّ الموتَ لأحبُّ إليَّ ألفَ مرةٍ مما تدعونني إليه .

أيُّها الصالحون الموحدون

أنَّى لقلوبٍ خالطتها بشاشةُ الإيمان أن تعودَ إلى ظلماتِ الكفرِ والضلالِ، مهما كانتِ الإغراءاتُ؟ أنَّى لقلوبٍ عرفتِ النورَ حقًا أن تتدثرَ بالظلامِ مرةً أُخرى؟ يفشلُ العرضُ الأولُ من هذا القيصرِ، ويتحطمُ على صخرةِ الإيمان لأنَّ هذا الرجلَ امتلأَ قلبُه إيمانًا، فلم يبقَ في قلبِه متسعٌ لغيرِه، فقالَ قيصرُهم: لو تنصرت شاطرتُك ملكي، وقاسمتُك سلطاني، يريدونه أن يبيعَ دينَه بعَرَضٍ من الدنيا إلى رقِّ المركزِ الذي طالما سالَ له لُعابُ كثيرٍ مِنَ الناس فضيعوا حقوقَ اللّه في سبيلِ نيلِه، فقالَ له: إخسَ عدوَ اللّه، والذي لا إلهَ إلا هو لو أعطيتني جميعَ ما تملكُ وما تملكُه العربُ والعجمُ على أن أرجعَ عن دينِ محمدٍ (ﷺ) طرفتَ عينٍ ما قبلت.

اللّهُ أكبرُ - أيُّها الإخوةُ المؤمنون - يتحطمُ الإغراءُ إلى شظايا وفُتاتٍ على صخورِ الإيمان الشمِّ في نفسِ ذلك الصحابيِّ لماذا؟ لأنَّه طالبُ جنةٍ، ولا يمكن أن يُغرى بما هو دونَ الجنةِ، وليسَ بأيدهم ما هو أعلى مِنَ الجنةِ ليغروه به، إنَّها سلعةُ اللّه غاليةٌ جدًا، مهرُها بذلُ النفسِ والنفيسِ لمالكِها الذي اشتراها مِنَ المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم

(١) الخَبر: - بفتحِ الخاءِ - معناها: السؤالُ .
(٢) الخُبر: - بضمِ الخاءِ - معناها: العلمُ .

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾[1] وآيمُ اللهِ ما هزلت حتى يستامَها[2] المفلسون المعرضون الجبناءُ.

عندها قالَ قيصرُهم: ردوه إلى الأسرِ، فردوه، وبعد الاجتماعِ مع حاشيتِه وبطانتِه الدهماء، استقرَ الرأيُّ بعرضٍ وإغراءٍ ثالثٍ، وقال: إنَّ الشهوةَ طريقٌ مجربٌ ناجعٌ أُصيبَ به الكثيرُ، نعم . أيُّها الإخوةُ فكم رأينا من أناسٍ يعبدون الشهواتِ وينفقون أموالَهم من أجلِ الشهواتِ، وسينفقونها ثم تكونُ عليهم حسرةً والذين كفروا إلى جهنمَ يحشرون، وبئسَ الإنفاقُ، يسافرون وراءَ الشهوةِ المحرمةِ، وبئسَ السفرُ والركبُ، عُبَّادُ شهوةٍ وبئسَ العبيدُ، قالَ قيصرُهم: أتوني بأجملِ فتاةٍ في بلادي، فجيءَ بملكةِ جمالِ البلادِ كما يقولون، وأغراها بالأموالِ العظيمةِ إن استطاعت أن توقعَه في الفاحشةِ، فدخلت عليه بصورةٍ عاهرةٍ فاجرةٍ ماجنةٍ متجردةٍ من سترِها وعفتِها بعد تجردِها من الحياءِ المترتبِ على التجردِ من الإيمان؛ ولا ذنبَ بعدَ كُفرٍ .

ولكم أن تتصوروا ـ أيُّها الأحبةُ ـ هذا الرجلُ شابٌ في كاملِ فتوتِه ورجولتِه وفوقَ ذلك غائبٌ عن أهلِه منذُ شهورٍ، وهذا عاملٌ يجعلُهم يتفائلون، أدخلوها عليه، فحاولت بشتى الوسائلِ وطرقِ الإغراءِ، فقالَ: معاذَ اللهِ، ولسانُ حالِه وقالِه: ربِّ القتلُ أحبُّ إليَّ مما تدعوني إليه، فما استطاعت، ولم تجد له من سبيلٍ حتى يأست منه، بينما نقلةُ الأخبارِ على البابِ من شياطينِ الإنسِ ينتظرون خبرَ ذلك الصحابيِّ ووقوعِه في الفاحشةِ ليطيروا بالخبرِ شماتةً بالإسلامِ وإعلانًا لانتصارِهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ

(١) سورة التوبة الآية: ١١١.

(٢) يستامها: يتفاوضُ في بيعِها، إذِ المفلسون لا يساومون إلا في الأمورِ الرخيصةِ .

﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾[1] وإذا بهذه المرأةِ تصيحُ وتصرخُ: أخرجوني أخرجوني؛ فأخرجوها، وهي تقولُ: واللهِ ما يدري أأنثى أنا أم ذكرٌ؟ واللهِ ما أدري أأدخلتموني على حجرٍ أم على بشرٍ؟

أيُّها المؤمنون

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[2] كيف يَرضى طالبُ الحورِ العينِ بعاهرةٍ فاجرةٍ، ولذةٍ قد تعقبُها الخسارةُ؟ كيف يَرضى وقد وُعدَ بمَن لو اطلعت إحداهُن إلى أهلِ الأرضِ لملأت ما بينَ السماءِ والأرضِ ريحًا، ولأضاءت ما بينهما، كيف وقد وُعِد بمَن يكونُ عليها سبعون ثوبًا ينفذُ البصرُ حتى يَرى مخَّ ساقِها مِن وراءِ اللحمِ والدمِ والعصبِ والعظمِ، كيف وقد وُعِدَ بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سَمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، خابَ مَن باعَ باقيًا بفانٍ، خابَ مَن باعَ كلَّ شيءٍ بلا شيءٍ، واشترى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ، وهنا يقولُ قيصرُهم إذًا أقتلُك.

انتقلَ الأمرُ إلى التهديدِ، وأنَّى لمؤمنٍ امتلأَ قلبُه بعبوديةِ اللهِ أن يخشى تهديدًا دونَ نارِ جهنمَ، قالَ – رضيَ اللهُ عنه – أنت وما تريدُ، افعل ما بدا لك، فأمر بصلبِه ثم أمرَ برميهِ بالسهامِ قربَ يديه ورجليه، ويُعرضُ عليه أثناءَ ذلك أن يرتدَّ فيأبى، فيطلبُ قيصرُهم أن ينزلوه مِن خشبةِ الصَّلبِ ليُنوِّعَ عليه التهديدَ لعلَه أن يلينَ، فيدعو بقِدرٍ عظيمٍ، ويصبُّ فيه الزيتُ، وتُوقدُ النارُ الحاميةُ حتى أصبحَ الزيتُ يغلي، ثم يأمرُ بأسرين من أسرى المسلمين، فيلقيهما في القِدرِ حتى تفتتَ عظامُهما، واحترقَ لحمُهما، منظرٌ فظيعٌ ووحشيةٌ متناهيةٌ، وظنوا أنَّهم بذلك وصلوا إلى قلبِ هذا الصحابيِّ، فكان أشدَّ إباءً مِن ذي قبلٍ.

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٧.
(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠.

فلمَّا يئسَ القيصرُ أمرَ أن يُلقى في القِدرِ مع صاحبيه، فلما ذُهِبَ به، دمعت عيناه، فظنوا أنَّه جَزِعَ، فقالوا له: ويحَك، ما أبكاك؟ فقالَ: إنَّما هي نفسٌ واحدةٌ، وقد كنتُ أشتهي أن يكونَ لي بعددِ ما في جسدي من شعرٍ أَنْفُسٌ تُلقى كلُّها في هذا القِدرِ في سبيلِ اللّه، عندها ردُّوه إلى الأسرِ، ووضعوا معه خمرًا ولحمَ خنزيرٍ، ومنعوا عنه الطعامَ والشرابَ، وبقيَ ثلاثةَ أيامٍ يُراقَبُ علَّه يأكلُ، فلم يفعل ونثنت عنقُه مِن شدةِ الجوعِ والعطشِ، وأشرفَ على الهلاكِ فأخرجوه، وقالوا له: ما منعَك أن تأكلَ أو تشربَ قال: أمَا إنَّ الضرورةَ قد أحلت لي ذلك، ولكن والذي لا إلهَ إلا هو لقد كرهت أن يشمت أمثالُكم بالإسلامِ وأهلِه، يالها من كلماتٍ نهديها إلى أحبائِنا الذين يخجلون من مواجهةِ الناسِ بالتزامِهم، تجدون الواحدَ منهم يومَ تلاحقُه أعينُ السفهاءِ بالهمزِ واللمزِ والغمزِ يمشي على خجلٍ وعلى استحياءٍ يتوارى مِن القومِ، إنَّ حاملَ الحقِ يجبرُ غيرَه أن يخجلَ منه أو يموتَ بغيضِه، فليتنبه لذلك.

فقالَ له القيصرُ معجبًا بثباتِه ورشدِه وقوةِ صبرِه وعقلِه؛ هل لك أن تُقبِّلَ رأسي فأخلي عنك، وكانوا لا يعيشون لأنفسهم قالَ: وعن جميعِ أسرى المسلمين، قال القيصرُ: وعن جميعِهم . فقالَ - يسائلُ نفسَه -: عدوٌ مِن أعداءِ اللّه أقبل رأسَه ليخليَ عن أسرى المسلمين لئلا يُفتنوا، لا ضيرَ في ذلك. فقبَّله فأطلقَه وأطلقَ له الأسرى؛ وأجازه بثلاثين ألفَ دينارٍ وثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفةً[1]، وقَدِمَ على عمرَ كالطَّودِ الشامخِ، وأخبرَ عمرَ الخبرَ فسُرَّ أعظمَ السرورِ، وقبَّلَ رأسَه، وقالَ: حقٌ على كلِّ مسلمٍ أن يقبلَ رأسَك. رأسُ مَن؟

لا أظنُ أحدًا يجهلُ مثلَ هذا الرجلِ البطلِ المغوارِ، إنَّه عبدُ اللّه بنُ حُذافةَ السهميُّ - رضيَ اللّهُ عنه وأرضاه - .

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّهَ العظيمَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ. وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

---

(١) الوصيف والوصيفة: هما الخادمُ والخادمةُ .

★★★

الحمدُ للّٰه حمدًا كثيرًا يبلغُنا رضاه، ويوجبُ مزيدَه، ويجيرُ مِن سَخَطِه، وصلى اللّٰهُ على محمدٍ خاتمِ النبيين ورسولِ ربِّ العالمين، صلاةً تامةً زاكيةً تُؤدي حقَه وتُزلفُه عندَ ربِه وعلى آلِه وأصحابِه؛ وبعدُ:

فيا أيُّها الذين أمنوا

لا يملكُ الإنسانُ أمامَ هذه المواقفِ التي تقفُ لها الهامُ إلا أن يقولَ: إنَّها النفوسُ المؤمنةُ يومَ تجاهدُ بأرواحِها في سبيلِ اللّٰه لا في سبيلِ قومٍ، ولا في سبيلِ نفسٍ، ولا في سبيلِ وطنٍ بل في سبيلِ اللّٰه لتحقيقِ منهجِ للّٰه في أرضِ اللّٰه لتنفيذِ شرعِ اللّٰه على عبادِ اللّٰه، ليس لها لنفسها حظٌ بل كلُّها للّٰه حظٌ، لا يخافون لومةَ لائمٍ وَلِمَ الخوف؟ وقد ضمنوا حبَّ اللّٰه وعبوديةَ ربِّ الناسِ، إنَّ مَن يخشى الناسَ هو مَن يستمدُّ حركاتِه وسكناتِه ومقاييسَه مِن أهواءِ الناسِ، فهو أرضيٌّ طينيٌّ دونيٌّ؛ أمَّا مَن يعودُ إلى موازينِ اللّٰه ليجعلَها فوقَ كلِّ الموازينِ، فما يبالي بأهواءِ البشرِ وشهواتِهم وقيمِهم؛ ولا يتنازلُ عن شيءٍ من قيمِ إسلامِه وعقيدتِه، لا يبالي بما يقولون، ولا بما يفعلون، ولا بما يتوعدون، إنَّها سمةُ المؤمنين المحبين للّٰه ورسولِه (ﷺ).

فهلاَّ أعددت نفسَك لتكونَ من أمثالِ هؤلاءِ، فإنَّ الينبوعَ واحدٌ، وإنَّ الوردَ واحدٌ، وإنَّ النهرَ واحدٌ، ما أخذوا منه أنت تأخذُ منه، ثباتٌ على المبادئِ، وصدقٌ مع الباريءِ، وإخلاصٌ في الظاهرِ والخافي، سماويون لا أرضيون لا طينيون لا دونيون ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[1] ورضيَ اللّٰهُ عن عبدِ اللّٰه بنِ حُذافةَ السهميِّ وأرضاه.

ألا وصلوا وسلموا على سيدِ ولدِ آدمَ ولا فخرَ.

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢١.

الخطبةُ الخامسةُ

موتُ العلماءِ وهضمُ حقِّهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي هدمَ بالموتِ مشيدَ الأعمارِ، وحكمَ بالفناءِ على أهلِ هذه الدارِ، فجعلَهم أغراضًا لسهامِ الأقدارِ، ووكَّلَ بهم أمراضًا تزعجُهم عن القرارِ، ولم يخصَّ بها الفقراءَ دونَ ذوي اليسارِ، ولم تصبْ سهامُها الأشرارَ دون السادةِ الأخيارِ، بل هي آياتُ اللّٰهِ عدلٌ بالبادين والحُضَّارِ أحمدُه على نعمِه، وأعوذُ به من العتوِ والإصرارِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً منجيةً من عذابِ النارِ، مُبوِّأةَ مَن شَهدَ بها دارَ القرارِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه بأيمنِ شعارٍ وأنورِ منارٍ، وأظهرِ إعلانٍ وإسرارٍ، مؤيدًا بالمهاجرين والأنصارِ منصورًا بالملائكةِ المقربين الأبرارِ، اللهم فصلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وآلِه وأصحابِه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

بينما المرءُ يغترُّ في دنياه بلذيذِ الشهواتِ، غَرِقٌ في بحارِ الغفلاتِ، إذ أتاه الموتُ فجرَّعَه مِن مُرِّه كاساتٍ، وألقى عليه مِن غمِّه غمراتٍ، فغشيتهُ مِن كَرْبِه سكراتٌ، وأرتـه من شدتِه حسراتٍ، فرحلَ عمَّا كانَ فيه مِنَ اللذاتِ، وأبكى الآباءَ والأمهاتَ، وأيتمَ البنين والبناتِ، وجرت على مصابِه العبراتُ، وحُمِلَ على الأعناقِ إلى بطونِ الفلواتِ، وصارَ في قبرِه مِن جملةِ الرُّفاتِ، وخلا بعملِه مِنَ الحسناتِ والسيئاتِ، ولم ينفعه في لحدِه غيرُ التقوى والطاعاتِ، وما قدَّمَ مِن برٍ وصدقاتٍ، وأسلفَ مِن صلواتٍ ودعواتٍ، أفلا يعتبرُ العاقلُ بمصرعِ مَن قد ماتَ، وقد حوته القبورُ الدارساتُ، أين

العبيدُ والساداتُ؟ فكيف يطمعُ في البقاءِ، وقد قالَ صاحبُ الدلائلِ والمعجزاتِ: " إنَّ للموتِ سكراتٍ" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

إنَّ اللّهَ جعلَ الموتَ محتومًا على جميعِ العبادِ مِن إنسٍ وجانٍ وجميعِ الحيوان، فلا مفرَّ لأحدٍ مِنَ الموتِ ولا أمانَ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] ساوى فيه بينَ العبدِ والحرِّ والصغيرِ والكبيرِ والذكرِ والأنثى والغنيِّ والفقيرِ والعالمِ والجاهلِ؛ وكلٌّ ذلك بتقديرِ العزيزِ العليمِ، فالكيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعملَ لما بعدَ الموتِ، والحازمُ مَن بادرَ بالعملِ قبلَ حلولِ الفوتِ، والمسلمُ مَنِ استسلمَ للقضاءِ والقدرِ، والمؤمنُ مَن تيقنَ بصدرِه الثوابَ على المصيبةِ والضررِ.

إخوةَ الإسلامِ

لو استخبرتُم العقلَ والنقلَ عن حقيقةِ الدنيا لأجابا بلسانٍ واحدٍ ، دارُ مصائبَ وشرورٍ، ليس فيها لذةٌ على الحقيقةِ إلا وهي مشوبةٌ بكدرٍ، فما يُظنُ في الدنيا أنَّه شرابٌ فهو سرابٌ، وعمارتُها وإن حَسُنت صورتُها خرابٌ، والعجبُ كلّ العجبِ ممن يدُه في سلةِ الأفاعي، كيف يُنكرُ اللدغَ واللسعَ! وأعجبُ منه ممن يطلبُ ممن طُبعِ على الضرِ النفعَ.

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدُها ... صفوًا مِنَ الأقذارِ والأكدارِ

إنَّها على ذا وُضعت لا تخلو مِن بليةٍ، ولا تصفو من محنةٍ ورزيةٍ لا ينتظرُ الصحيحُ فيها إلا سقمًا، والكبيرُ إلا هرمًا، والموجودُ إلا عدمًا.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .
(٢) سورة المائدة الآية: ٣٥ .
(٣) سورة الرحمن الآية: ٢٦.

فيا صاحِ أسألُك ـ فأجبني ـ: هل رأيتَ بل هل سمعتَ بإنسانٍ على وجهِ هذه الأرضِ لم يصب بمصيبةٍ دقَّت أو جلَّت حتى في قطعِ شِسعِ نَعلِه؟!

أيُّها الموحدون

كُربُ الزمانِ وفقدُ الأحبةِ ـ عمومًا ـ خطبٌ مؤلمٌ وحدثٌ موجعٌ وأمرٌ مهولٌ مزعجٌ؛ بل هو مِن أثقلِ الأنكادِ التي تمرُّ على الإنسان، وفي هذه السنةِ التي نعيشُها رُزئت الأمةُ الإسلاميةُ بفقدِ كوكبةٍ مِن علمائِها وفضلائِها ووفاةِ نخبةٍ من فقهائِها ونبلائِها؛ وأفولِ نجمِ إمامٍ مِن أئمتِها[1] فما إن كفكفت الأمةُ دموعَها ولملمت ضلوعَها على فقدِ طَودٍ منها حتى رُزئت بفقدِ آخرَ في انفراطٍ لعِقدٍ متلألىءٍ وضَّاءٍ وتناثرِ لحباتِها المتناسقةِ، وبموتِ هؤلاءِ الجهابذةِ تُطوى صفحاتٌ لامعةٌ وسجلاتٌ ناصعةٌ.

إنَّ فقدَ العلماءِ الربانيين والأئمةِ المصلحين مِن أعظمِ أنواعِ الفقدِ على النفوسِ وقعًا، وأشدِّها على الأمةِ لوعةً وأثرًا لماذا؟ لأنَّ للعلماءِ مكانةً عظمى ومنزلةً كبرى، فهم ورثةُ الأنبياءِ وخلفاءُ الرسلِ والأمناءُ على ميراثِ النبوةِ.

لماذا؟ لأنَّهم للناسِ شموسٌ ساطعةٌ وكواكبُ لامعةٌ، وللأمةِ مصابيحُ دجاها وأنوارُ هداها؛ بهم حُفظَ الدينُ، وبه حُفظوا وبهم رُفعت منارات الملةِ، وبها رُفعوا، قالَ أصدقُ القائلين: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2] لماذا؟ لأنَّ العلماءَ يُحيون بكتابِ اللهِ الموتى، ويُبصِّرون به أهلَ العمى، ويهدون مَن ضلَّ إلى الهدى لماذا؟ لأنَّ بالعلماءِ عزَّتِ الأممُ، وبلغت سامقَ القممِ، وأُشيدت صروحُ الحضاراتِ، وقامتِ الأمجادُ، وتحققتِ الانتصاراتُ، فهم أهلُ خشيةِ اللهِ قالَ سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

---

(١) إشارةٌ إلى وفاةِ الإمامِ غالبِ بنِ عليٍّ بنِ هلالِ الهنائيِّ، وذلكَ في يومِ الأحدِ بتاريخ ١٢ مِن شهرِ ذي الحجةِ سنة ١٤٣٠ هـ.

(٢) سورة المجادلة الآية: ١١.

(٣) سورة فاطر الآية: ٢٨.

وحسبُكم يا عبادَ اللهِ في بيانِ فادحةِ هذا الخطبِ وعظيمِ مقدارِ هذه النازلةِ قولُ المصطفى (ﷺ): " إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا مِنَ الناسِ ولكن يُقبضُ العلمُ بقبضِ العلماءِ حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذَ الناسُ رؤوساءَ جهالًا، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ علمٍ فضلوا وأضلوا"، ولقد أخبرَ حَبْرُ الأمةِ وتَرجمانُ القرآنِ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ في قولِه تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[1] قالَ: " تنقصُ بموتِ علمائِها وفضلائِها ".

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُ المبينُ منَّ على المسلمين بأئمةٍ هداةٍ مهتدين وعلماءَ صادقين عاملين، وأشهدُ أنَّ نبينَا محمداً (ﷺ) وعلى آلِه وصحبِه والتابعين؛ أمَّا بعدُ:

فيا معاشرَ المسلمين

هناك تنبيهان مهمان:

التنبيهُ الأولُ: مِنَ المخازي في هذا الزمانِ أنَّ العلماءَ والمصلحين ورجالَ الفكرِ ليس لهم وزنٌ ولا قدرٌ عندَ الناسِ، بل أصبحَ موتُ شاةٍ أو بعيرٍ أعظمُ وقعًا من موتِ عالمٍ أو مصلحٍ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ جدًا في زماننا لأنَّ الساحةَ تموجُ بالفوضى والأطروحاتِ العرجاءِ والمدلولاتِ الموجةِ، وإذا كانت وسائلُ الإعلامِ مرئيةً ومسموعةً ومقروءةً تمجدُ اللاعبين واللاعباتِ والمطربين والمطرباتِ، وتصدرُ الملاحقَ العمياءَ عن هؤلاءِ مع عباراتِ التمجيدِ والنجوميةِ، وفي الوقتِ ذاتِه لا تجدُ ذكرًا لعالمٍ ولا مصلحٍ ولا

(١) سورة الأنبياء الآية: ٤٤ .

لرجلِ فكرٍ، بل حتى إذا ماتَ العالمُ تستحي وسائلُ الإعلامِ مِن ذكرِه. فأيُّ جيلٍ تنتظرُ الأمةُ إنَّـه - بـلا شـكٍ - جيـلٌ يتخـبطُ كحاطـبِ ليـلٍ، جيـلٌ خائبٌ كخيبةِ القابضِ على الماءِ، جيلٌ يعيشُ في عالمِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ.

فيا أيُّها الجيلُ ويا شبابَ أمتي

احذروا فـخَ الانحطـاطِ والسـقوطِ الـذي تعـاني منـه معظـمُ وسـائلِ الإعلامِ ألسنةِ إبلـيسَ، فالمجـدُ كـلّ المجـدِ للعلمـاءِ الراسـخين، والنجوميـةُ والتألقُ لطلاّبِ العلمِ وأصحابِ الفكرِ والرأيِ والمنـتجين لأمـتِهم وأوطـانهم؛ فوقروا العلمَ وأهلَه، وحزنوا على وفاةِ العلماءِ، فموتُ العالمِ ثلمةٌ لا تُسـدُ (ولموتُ قبيلةٍ عندَ اللّهِ أيسرُ مِن موتِ عالمٍ).

التنبيهُ الثاني: تطالعُنـا بعـضُ مواقـعِ الشـبكةِ العنكبوتيـةِ والكتابـاتِ الحديثةِ والرسائلِ القصيرةِ عن قضيةٍ خطيرةٍ، وهي التطاولُ على العلماءِ والردُّ عليهم والتنقيصُ من قدرِهم وتتبعُ عثـراتِهم واتهـامُهم بغـيرِ واضـحِ سبيلٍ ولا هدىً ولا كتـابٍ مـنيرٍ؛ وهـذه القضـيةُ تحتـاجُ مِـن الغيـورين إلى وقفاتٍ حازمةٍ، فانتبهوا لهذه الكتاباتِ، وحَذروها وحذِّروا منها، فـإنَّ لحـومَ العلمـاءِ مسـمومةٌ، والتعـرضُ لهـم أمـرٌ عظـيمٌ عنـدَ اللّهِ تعـالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1].

أيُّها الأحبةُ في اللّهِ

وبيتُ القصيدِ مِن هذا التحريرِ.

دارت رحـــــــى الأيـــــــامِ ... واسـتلقت علـى القـاعِ القمـمِ

وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٨ .

الخطبةُ السادسةُ

انتصارًا لرسولِ اللّهِ (ﷺ) من حُثالةِ الزَّيغِ والعنادِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ بارئِ النَّسمِ، وخَالقِ الخلقِ مِن عدمٍ، نجَّى نوحًا في السفينةِ مِنَ الغَرقِ الذي عمَّ، وسلَّمَ موسى مِن طُغيانِ فرعونَ ونجَّاه مِن اليَمِّ، وحمى يوسفَ حينَ توالى عليه الابتلاءُ والهمُّ، لا يخيبُ مَن قَصَدَ بابَه وأمَّ، ولا يَندمُ مَن رجا ثوابَهُ ولا يَهتمُ، إلهٌ لهُ الفضلُ إذا أنعمَ تمَّ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةَ مَن أمنَ بهِ وأسلمَ، وانقادَ واستسلمَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه النبيُّ الهادي، خيرُ مَن حضرَ النوادي، وأكرمُ مِنَ الدِّيمِ الغوادي، وأبرُّ مَن رَكبَ الخوادي[1]، وفاقَ الليوثَ العوادي، قرنَ اللّهُ ذكرَه بذكرِه على لسانِ كلِّ ذاكرٍ، وشَرُفَت برسالتِه المنائرُ والمنابرُ، بعثَه اللّهُ ومَعلمُ الإيمانِ قد عفى، ونورُه خبى، فأنارَ ما خبى، وشيَّدَ منه ما عفى، وشفى بكلمةِ التوحيدِ مَن كانَ على شَفا، اللهم صلِ وسلم على محمدٍ وآلهِ الأطهارِ الأبرارِ وصحبِه المصطفين الأخيارِ، ومَن نهلَ مِن معينِه الثّرِ المدرارِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

اتقوا اللّهَ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[2] وتزودوا مِنَ المراحلِ المعدودةِ إلى الوجهةِ المقصودةِ، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾[3]، وتَعاونوا فيما بينَكم على البِّرِ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان .

---

(١) الخوادي: جمعُ خاديةٍ، وهي الإبلُ المسرعةُ .

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .

أيُّها المؤمنون

أُبحرُ بحضراتِكُم بباخرةِ الأُمةِ الإسلاميةِ، فأرجو أن تأخذوا حِذْرَكُم فإنَّ الباخرةَ تَمرُّ هذه الأعوامَ على أضيقِ المَسالكِ وأوعرِ المناصب[1]، ويحيطُ بها الموجُ المتلاطمُ والجوُّ الصاخبُ، والربابنةُ لا يُحسنونَ إدارتَها، والطاقمُ قد نفدَ زادُه، وفنى عتادُه، وذهبت عِدتُه وبَطلت أُهبتُه، مِن أجلِ هذه الحالةِ الطارئةِ التي تَعصفُ بباخرةِ الأمةِ الإسلاميةِ مِن تمزُّقِ جسدِها، وثخانةِ جراحِها، وغفلةِ حُكَّامِها ومحكومِها، وانحرافِ شبيبتِها. غفلةٌ، وعجزٌ، وخورٌ، وذِلةٌ، وتوافهُ ومهازلُ، والحالةُ هذه.

فمِنَ الطبيعيِّ والحتميِّ أن يَسيلَ لُعابُ قراصنةِ البَّحرِ لهذه الباخرةِ فتكونَ لهم غنيمةً يوجهونها كيفما شاؤا؟

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

هل أتاكُم حديثُ الفَجَرةِ أصحابِ الوجوهِ القَترةِ، اللائمِ النَّكرةِ، الحُمُرِ المستنفرةِ، المُكَذِّبةِ المزورةِ، مَن لا يخشون تِرةً، ولا يَرعون مأثرةً، ولا تَنفعُهم تذكرةٌ .

آهٍ مِنَ الكلماتِ حينَ أَسوقُها سوقًا فتنكرُني الحُروفُ وتحجمُ

الجُرحُ غائرٌ، والدمُ فائرٌ، حينَ جُرِحَت أفئدةُ المؤمنين، وكُلِمَت مشاعرُ المُوحدين حينما نُشِرَت رُسومُ السُّخريةِ والاستخفافِ بسيدِ المرسلين ـ عليه صلاةُ وسلامُ ربِّ العالمين ـ عبرَ الإعلامِ الدِّنماركيِّ والنَّرويجيِّ مِن حُثَالةِ الزَّيغِ والإلحادِ والزَّندقةِ في حَملةٍ صَليبيةٍ حاقدةٍ تحتَ شِعاراتِ حُريةِ التَّعبيرِ والرأيِّ والفكرِ؛ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[2] كانَ هذا الحدثُ العامَ المنصرمَ[3]، ثم يُؤكدُ أهلُ الزيغِ والدناءةِ

---

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(١) المناصبُ: المقاماتُ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١١٨.

الأسبوعَ الذي نَعيشُه مرةً أُخرى هذه الرسومَ عبرَ عشراتِ الصحفِ والمجلاتِ، وكأننا نَلعبُ ونَتسلى، وكأنَّ المسألةَ مسألةُ القطِّ والفأرِ والأسدِ والحملِ، ثم على الذين اجتمعوا هذا الأسبوعَ للنظرِ في الإعلامِ العربيِّ بحجةِ أنَّه يَنشرُ الكراهيةَ بينَ الأديانِ، ويبثُ صورَ الإرهابِ والتشددِ، عليهم أن يَعودوا لصوابِهم، فاليهودُ أشدُّ الناسِ عداوةً، وهم الذين يبثون العداوةَ، ثم مَن يَنشرُ الصورَ المارقةَ الآنَ استخفافًا واستهتارًا بالإسلامِ على وزراءِ الإعلامِ أن يُفكروا قبلَ أن يتكلموا، وعلى أيِّ حالٍ فلنا مع هذا الحدثِ الأليمِ، والجُرمِ العظيمِ، والذَّنبِ الكبيرِ، أعني رسومَ السُّخريةِ بخيرِ البريةِ (ﷺ) وقفاتٍ، فألقوا إليَّ أسماعَكم.

أيُّها الموحدون

الوقفةُ الأولى: علينا أن نعلمَ علمَ يقينٍ أنَّه (ﷺ) مِن أشرفِ العناصرِ فخرًا ونبلًا فهو خيارٌ مِن خيارٍ مِن خيارٍ، قالَ عن نفسه: " أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ"، وأنَّ السخريةَ برسولِ اللهِ (ﷺ) لا تضيرُه في قليلٍ ولا كثيرٍ ولا قبيلٍ ولا دبيرٍ؛ لأنَّ اللهَ رفعَ قدْرَه وأعلا ذِكرَه وكفى؛ زكى استقامتَه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (١)، ونطقَه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢)، وعلمَه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٣) وفؤادَه ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (٤)، وبصرَه ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (٥)، وصدرَه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٦)، وذكرَه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٧)، وخلقَه ﴿يَغْشَى

---

(٣) أي: سنة ١٤٣١هجرية .
(١) سورة النجم الآية: ٢.
(٢) سورة النجم الآية: ٢.
(٣) سورة النجم الآية: ٥.
(٤) سورة النجم الآية: ١١.
(٥) سورة النجم الآية: ١٧.
(٦) سورة الشرح الآية: ١.
(٧) سورة الشرح الآية: ٤ .

﴿ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾[1]، وزكّاه كلّها ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، فأينَ دويُّ الذُّبابِ والزنبورِ مع نغمِ الفرقان والزبور.

والشمسُ لا تخفى محاسُنها ... وإن غطَّى عليها بَرْقعُ الأنواءِ

الوقفةُ الثانيةُ: لا عذرَ لمؤمنٍ يُسخَرُ مِن رسولِ اللّه (ﷺ) ويُحجِمُ ويُطرِقُ، وفيه عينُ تَطرفُ، إذ أمةٌ يُستهانُ بنبيها ويُسخرُ منه جهرًا علانيةً في وقاحةٍ وسفاهةٍ وحماقةٍ، وتدافعُ على استحياءٍ وخورٍ وضعفٍ وكسلٍ؛ أمةٌ لا تستحقُ الحياةَ فلا يُؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ رسولُ اللّه (ﷺ) أحبَ إليه مِن نفسه ووالدِه والناسِ أجمعين، إنَّ التخاذلَ والجبنَ عن نصرةِ نبيِّنا طمعًا في دنيا وخوفًا من مخلوقٍ ذنبٌ عظيمٌ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3]، وقالَ سبحانه: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[4].

الوقفةُ الثالثةُ: خطورةُ السكوتِ على المنتقصين لرسولِ الإسلامِ (ﷺ)، إذ السكوتُ عنِ السَّابِ لرسولِ اللّه (ﷺ)ومنتقصِه هو سببٌ لضياعِ الدينِ، وسببٌ لسقوطِه مِن أعينِ المُسلمين وغيرِ المسلمين، لذا فإنَّ الأمرَ المستقرَ في عهدِ النبي (ﷺ)، وعهدِ صحابتِه هو قتلُ السابِ للّه ولرسولِه (ﷺ)، فالنبيُّ (ﷺ)قتلَ رجلًا سبَّه، وكان متعلقًا بأستارِ الكعبةِ، ولم يقبل فيه الشفاعةَ، وأقرَّ الذي قتلَ جاريتَه التي كانت تسبُّ النبيَّ (ﷺ).

الوقفةُ الرابعةُ: قبلَ أن نستغيثَ باللّه من أفعالِ وصنائعِ هؤلاءِ المرتزقةِ المارقين من حُثالةِ الدنمركِ والنرويجِ، وقبل أن نُقيمَ المظاهراتِ

---

(١) سورة القلم الآية: ٤ .
(٢) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٥٧ .
(٤) سورة الفتح الآية: ٩ .

المنـددةَ والصـراخَ والعويـلَ السـاخطَ والخُطَـبَ والنـدواتِ؛علينا أن نسـألَ أنفسَنا ألم نضيِّع أوقاتَنا في قنواتِ التحللِ والشهواتِ؟ وسقينا أبنائَنا كأسَ البُعدِ عـن رسـولِ ربِّ الأرضِ والسـمواتِ؟ لم نعلمْهـم سـيرتَه، ولم نخلقْهـم بأخلاقِـه ولم نـربِهم علـى منهجِـه، ولم نـبينْ لهـم السـيرةَ الجميلـةَ، بـل تركناهم فريسةً سهلةً لرفقةِ السوءِ والقدوةِ الفاسدةِ، يَغرقـون في أمـواجِ الظَّلامِ تائهين في صحراءِ القنواتِ القاحلةِ، والتسـالي الزائفـةِ والموضـاتِ التافهة، ثم – أيُّها الأحبةُ المؤمنون – ما مظاهرُ حبِّنا للنبيِّ (ﷺ)في أفعالِنا وسلوكِنا؟ هل نقرأُ القرآنَ ؟ وهل نحافظُ على الصلواتِ في الجماعةِ ؟ وهل امتنعنا عن سائرِ المحرماتِ ؟ وهل وهل؟

أحبتي في الله

المحبةُ للّه ورسولِه (ﷺ)ليسـت عواطـفَ شـكليةً ومظـاهراتٍ تَشـتعلُ تـارةً وتضطرمُ ثم تَكبو أُخرى وتَخبو، بل المحبةُ الحقيقيةُ تطبيقٌ عمليٌّ نعيشُـه لِما كانَ عليه (ﷺ)، وكلٌّ يراجعُ نفسَه، ما نوعُ محبتِه للّهِ ورسولِه (ﷺ)؟

أمَّا الوقفةُ الخامسةُ: فلا يَغيبُ علـى الغيـورين أنَّ أعظـمَ الأسـلحةِ ضـدَّ أعـدائِنا أكلـةِ الخنزيـر،والربـا،وعُبَّـادِ الصـليبِ والأوثـان المقاطعـةُ الاقتصاديةُ، ولا يقل أحدُنا: ماذا سوف أؤثرُ؟ وبضاعةُ الدنمركِ رخيصةٌ وما الفائدةُ مِنَ المقاطعةِ؟ وهلمَّ جرًّا. ثَكلتكَ أمُّك يا هـذا أتريـدُ أن تكـونَ أذلَ ممن بالت عليه الثعالبُ، فأنت تريدُ أن تُبرئَ ذمَّتَـك، وأن تنـالَ شـرفَ الدفاعِ عن نبيِّكَ، وقد أثبت التأريخُ عظيمَ تأثيرِ المقاطعةِ على العدوِ أثناءَ الحروبِ والعداوةِ بينَ أيِّ خَصمين، فهؤلاءِ المارقةُ يَعـدُّون المقاطعـةَ نكسـةً فيهم، فهم عبَّادُ درهمٍ ودينارٍ، فهي رسالةٌ فصيحةٌ، تقولُ لهـم: (إلا رسـولَ اللّه). أقـولُ مـا تسـمعون، وأسـتغفرُ اللّهَ لي ولكـم فاسـتغفروه، إنَّـه هـو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّهِ حمـدًا لا انقطـاعَ لراتبِـه، ولا إقـلاعَ لسـحائبِه، والصـلاةُ

والسلامُ على محمدٍ نبيِّ اللهِ وصفوتِه وخيرتِه مِن خلقِه، نقلَ الناسَ مِن طاعةِ الشيطان الرجيم إلى طاعةِ الرحمنِ الرحيم، أرسلَه اللهُ للإسلامِ قمرًا منيرًا وقدرًا على أهلِ الضلالِ مبيرًا، وعلى آله الذين عظَّمهم توقيرًا، وطهرَهم تطهيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فمن أخطرِ المخاطرِ أنَّ الخُنفساءَ إذا مُست تَتَّنت، وما أكثرَ الخنافسَ في أُمةِ الإسلامِ، فقد ظهرَ مَن يَلبسُ لُبوسَ الإسلامِ، ويتكلمُ بلغتِنا، مَن يقولُ: يجبُ أن نترفقَ بهؤلاءِ الرَّسامين، ومَن يساندُهم لأنَّهم يقولون ذلك عن جهلٍ وغيرِ قصدٍ منهم، ومنهم مَن يقولُ: السكوتُ أسلمُ، وهذا كلامٌ في غايةٍ مِنَ السقوطِ والانهزاميةِ، فيا هذا ويا ذاك، أَيُترفقُ بقومٍ لعنَهم اللهُ في الدنيا والآخرةِ، فقالَ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1]، أيُترفقُ بقومٍ قالَ اللهُ لنبيه، وقد أذوه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]، أيُترفقُ بقومٍ قد أهانَهم مَن خلقَهم وشبَّههم بالحميرِ، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، أمَّا قولُهم: هالةٌ وفوقَ حقِّه فأيُّ حقٍ بقيَ؟ وأيُّ عزةٍ بعدَ سبِّ النبيِّ (ﷺ)ووصفِه بالمتخلفِ والرجعيِّ والإرهابيِّ ومحبِ النساءِ والغرامِ؛ وهلمَّ جرًّا، (ولكنَّها شِنشنةٌ أعرفُها مِن أخزمِ)[4]، والنصرةُ بالقلمِ واللسانِ، والسِّنانِ، والمقاطعةِ حلولٌ أسلمُ، لنبيِّنَ مكانةَ نبيِّنا في قلوبِنا وعزةَ إسلامِنا وقوةَ أمتِنا؛ ودعوا العالمَ

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية: ٧٣، وسورة التحريم الآية: ٩ .

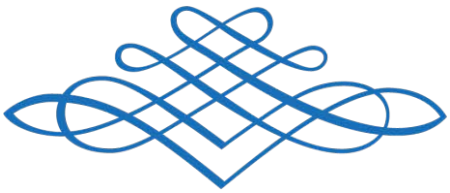
(٣) سورة الجمعة الآية: ٥ .

(٤) عجزُ بيتٍ صدرُه: إنَّ بنيَّ ضربوني بالدمي؛ وسببُه: أنَّ أخزمَ الطائيَّ كانَ عاقًّا لأبيه، فلمَّا ماتَ ضربَ الأحفادُ جدَّهم حتى سالَ دمُه، فقالَ هذا البيت، وهو يُضربُ للسجيةِ والعادةِ .

يسمعُ الطلقاتِ المدويةَ: (إلا رسولَ اللهِ)، وحذروا هذه العباراتِ المضللةَ والأقلامَ الملغومةَ المأزورةَ غيرَ المأجورةِ، ودافعوا عن إسلامِكم ونبيِّكم بالغالي والنفيسِ تسعدوا في دنياكم وأخراكم.

أيُّها الأحبةُ

أسمعوني الصلاةَ والسلامَ على الحبيبِ .



الخطبةُ السابعةُ

القنواتُ الفضائيةُ ومسلسلُ نورٍ التركيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُ ربُّنا ويرضى، الحمدُ للّٰهِ خلقَ فسوَّى، وقدَّر فهدَى، وأخرجَ المرعى فجعلَهُ غثاءً أحوى، أضحكَ وأبكَى وأماتَ وأحيا، وأغنى وأقنى، ووعدَ فوفَّى وأوعد فوفَّى، فلهُ الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، لهُ الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العلا، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا (ﷺ) أرسلَه ببالغِ الحِكَمِ وجللَه بسوابغِ النِّعمِ وأوطأَه رِقابَ الأممِ، فلم يزل بزنادِ الإيمانِ قادحًا، وفي عُمرانِ الأهواءِ سابحًا، وللّٰهِ في كلِّ الأحوالِ مناصحًا حتى أصبحَ مِنهاجُ الحقِ واضحًا، وعادَ الفسادُ صالحًا، فصلواتُ اللّٰهِ وتسليماتُه عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِه وأتباعِه، ما دامَ نجمٌ لائحاً وطيبٌ فائحًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا معشرَ الإخوةِ الموحدين

اتقوا اللّٰهَ ـ رحِمَكم اللّٰهُ ـ قبلَ المماتِ، وتداركوا الهفواتِ قبلَ الفواتِ، وبادروا، فإنَّ أجلَ اللّٰهِ لآتٍ، وإنَّكم لا تدرون أفي العشيَّةِ يأتي أم في البَياتِ، ألا وإنَّ الأعمالَ تُطوى وأنتم على فُرُشِ الغفلةِ عاكفون، وإنَّ مطايا الأيامِ تَقطعُ بكم مسافةَ الأعمارِ وأنتم واقفون، ألا تَرون شهرَ شعبانَ، كيفَ بانَ عليه المَحاقُ، وعمَّا قريبٍ يُؤذنُ بالرحيلِ عنكم والفراقِ، فانظروا شهرَ شعبانَ كيفَ ذهبَ! كأنَّه ساعةٌ مِن نهارٍ، وتصرَّمت أيامُه ولياليهِ كلمحٍ مِن لمحاتِ الأبصارِ.

هذه مواعظُه تُتلى عليكم ليلًا ونهارًا، وحوادثُه تَجولُ فيما بينَكم يمينًا ويسارًا، ألا وإنَّه قد حانَ من شهرِ شعبانَ الارتحالُ، وآنَ مِن شهرِ اللهِ الكريمِ الإقبالُ، فالغنيمةَ الغنيمةَ والبِدارَ البِدارَ قبلَ هجومِ ما لا يُدفعُ إذا نَزلَ وحلولِ ما ليسَ لأحدٍ به قدرةٌ ولا قِبَلٌ.

أمَا آنَ لأهلِ الغفلةِ أن يتعظوا بزواجرِ الكلامِ؟

أمَا آنَ لأهلِ الفكرةِ أن يتذكروا مصارعَ الحِمَامِ؟

أمَا آنَ لأهلِ العجزِ أن ينهضوا للعملِ لدارِ السلامِ؟

أمَا آنَ لخونةِ الأمةِ والدينِ الحنيفِ أن يصطلحوا معَ الملكِ العلاَّمِ؟

أمَا آنَ لبني الأيامِ أن يَكفوا عن اقترافِ الجرائمِ والآثامِ؟

بلى قد آنَ قد آنَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

لم يعدْ خافيًا على ذي عينين أنَّ أعداءَ اللهِ أجمعين في القديمِ والحديثِ، وسيظلونَ كذلك في المستقبلِ يؤلبون جيوشَ الغزوِ الفكريِّ، ويَجمعون شَتاتَ قواهم ليسددوا ضرباتِهم على هذا الدينِ الحنيفِ لتنتقلَ البشريةُ من عبادةِ ربِّ العالمين إلى عبادةِ الشيطانِ الرجيمِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ ﴾[3]، فجنودُ الشهواتِ وإغراقُ الجيلِ عن اليمينِ والشِّمالِ تَفتكُ بعقيدةِ المسلمين وتفتنُهم عن إسلامِهم بطرائقَ بالكيدِ والمكرِ تكادُ تَعجزُ الشيطانُ أن تأتيَ بمثلِها، ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣٥.

(٣) سورة التوبة الآية: ٣٢.

عقـــودٌ علـــى حربِهـــا تُوثـــقُ ومـــالٌ علـــى ضـــربِها يُنفـــقُ

يسوقُها لهذه الهاويةِ عدوٌ قريبٌ وخصمٌ ألدُّ، أَهدى بِطُرُقِ المخزياتِ مِن القَطا[1]، ولعمري أضلُّ ممن آمنوا بسجاح، يسعى في هدمِ الملةِ بجمعِ القِلةِ ويَحذفُ الأصليَّ والزائدَ والصِّلةَ والعائدَ، لا يَعرفُ معنىً للعيبِ إذا متلأَ الجيبُ، ولا يأبُه للعارِ وإن دخلَ النارَ.

وكـــلٌّ يَميـــلُ إلى شـــكلِه كميـــلِ الخنـــافسِ للعقـــربِ

بسطَ يدَه ولسانَه وقلمَه بالسوءِ والعداوةِ، ومِن ورائِهِ يَتوارى به كما يتوارى سائقُ الحميرِ في الحميرِ، ثم يخزُه لينـدفعَ على غيرِ غريزتِه، وحالُه وقالُه: ارمِ بهذا فإنَّما أعددتُكَ وغذيتُكَ ورفعتُ ذكرَكَ لمثل هذا، ارمِ دينَكَ باسمِ دينِكَ، واخدع أُمتَك باسمِ أمتِّك، وكذبْ على تأريخِك باسمِ تأريخِك، أجهزْ على البقيةِ الباقيةِ، ولك الجُنةُ الواقيةُ والمنزلةُ الراقيةُ، وفي خدمتِكَ الصحيفةُ والشبكةُ والمذياعُ؛ وفي نصرتِك الأشياعُ والأتباعُ؛ ارمِ باسمِك لتغطيَ به اسمي، وقل بلسانك ومِن ورائِه لساني، وحسبُنا أننا رُوحان في جسدٍ، وشعرتان في حبلٍ مِن مسدٍ، على مذهبِ الإتحادِ مع شيوعِ الإلحادِ، فينطلقُ يَسقي السُّمَ، ويُقسمُ أنَّه ماءُ الحياةِ، ثم تأتي شبكةُ الاتصالِ لتدعمَ هذا الإنحرافَ الفكريَّ بنشرِ آلافِ الرسائلِ، وتحتَ تلك المطارقِ أصبحتِ الأمةُ المسلمةُ تَستعينُ على الحياةِ بالقاتلِ، وتستعيذُ من الفخِّ بالصائدِ.

عبادَ اللّه

إني أشعرُ بشيءٍ مِنَ الخجلِ والحياءِ، وأنا أطرحُ هذا الموضوعَ الذي ما كان يومًا مِن الأيامِ أن يَتصورَ مسلمٌ أن تصلَ بيوتاتُ المسلمين إلى هذا الحدِ من الشُّرودِ والبُعدِ عن المنهجِ القويمِ وسنةِ سيدِ المرسلين ـ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسلمِ ـ والمنبرُ لا يستخدمُ التورياتِ والكِناياتِ في هذا

(١) القَطا: جنسُ طيرٍ صحراويٍّ.

المقام فكما أنَّ الشرَ ظاهرٌ عيانًا، ويهرولُ بين أظهرِ المسلمين، فلا يليقُ بكلمةِ الحقِ أن تتوارى، أو تتوكأَ على عصا، أو تستترَ بالتورياتِ والكناياتِ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1] ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2] .

أتدرون ما هو هذا الموضوعُ، إنّه موضوعٌ مهمٌ خطيرٌ جدًا، يُؤرقُ ملايين المسلمين، ويشعرون بالحسرةِ والألمِ إذا فاتَهم يومًا مِنَ الأيامِ، ما هذا الموضوعُ ـ أيُّها السادةُ الموحدون ـ ؟ هل تلاوةُ سورةِ البقرةِ وآلِ عِمرانَ؟ لا. هل تحريرُ أوَّلِ القبلتين وثالثِ المسجدين ؟ لا. هل تَطويرُ قدراتِ الدولةِ الإسلاميةِ علميًا وعسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا؟ لا . أتدرون ما هو هذا الموضوعُ الذي يَشغلُهم ـ أيُّها الأحبةُ في اللهِ ـ.

إنَّ المنبرَ يشعرُ بالخزيِّ والذِّلةِ والدنائةِ أن يتطرقَ لهذا الموضوعِ الذي طفى على جسدِ المجتمعِ الإسلاميِّ، هذا الموضوعُ لا علاقةَ لهُ بما ذكرنا، هذا الموضوعُ هو مسلسلُ نورِ التركيُّ، الذى تبثهُ قناةُ أم بي سي السعوديةُ مِن دُبيٍّ، إنَّ هذا المسلسلَ واحدٌ مِن آلافِ المسلسلاتِ التي جنت على الأمةِ الإسلاميةِ الويلَ والبوارَ والذِّلةَ والمهانةَ وتَميَّعَ بسببِه الشبابُ والشاباتُ والصغارُ والكبارُ والآباءُ والأمهاتُ؛ مسلسلٌ يَحظى بالانحلالِ الخبيثِ الضارِ، وهو عبارةٌ عن تمثيلٍ إجراميٍّ خبيثٍ ضالٍ ضارٍ مؤذٍ مفسدٍ؛ فهو فيه مِنَ الشرِ والبلاءِ وهدمِ الأخلاقِ ومحاربةِ الفضائلِ؛ هذا المسلسلُ منحطٌّ منحلٌ، وفيه مِنَ المفاسدِ ما اللَّهُ بهِ عليمٌ . وأيُّ محطةٍ تنشرُه أعلنتِ الحربَ على اللهِ ورسولِهِ (ﷺ) .

وقد أفتى العلماءُ بتحريمِ مسلسلاتِ المجونِ والخلاعةِ كافةً بما فيها هذا المسلسلُ التركيُّ؛ وقد جاءَ على لسانِ أحدِ العلماءِ عن هذا المسلسلِ التركيِّ ما نصُّه: (يدعو إلى الرذيلةِ، ويحبذُها، وينصرُها، ويؤيدُها،

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٨ .
(٢) سورة الإسراء الآية: ٨١ .

وينشرُ أسبابَها، ويصورُ الجريمةَ كمادةٍ تُرى حيةً - والعياذُ باللهِ - بدليلِ انتزاعِ الحياءِ)، هو فيلمٌ خبيثٌ انحلاليٌّ انحطاطيٌّ؛ وتقوم عليه فئةٌ مجرمةٌ من نساءٍ ورجالٍ، فهو في الحقيقةِ مِن أسوءِ الأفلامِ، يدعو لإشاعةِ الفاحشةِ والنذالةِ في بلادِ الإسلامِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

أيُّها المسلمون

لماذا مسلسلُ نورٍ على القائمةِ الأولى؟ ومسلسلُ أيامِ الضَّياعِ تصنيفُه في المرتبةِ الثانيةِ؟ وهل وسائلُ الإعلامِ صافيةٌ زلالٌ بعد هذين؟ كلا. فالمسلسلاتُ ماجنةٌ فاسدةٌ كافةً، ليس فيها خيرٌ فيحمدُ، كما أنَّ وسائلَ الإعلامِ هابطةٌ هبوطَ النسرِ إلى الأرضِ، فهي لا ترقى لأن تحملَ رسالةً أو توجهَ المجتمعَ المسلمَ إلا ما شذَّ ولا عبرةَ بالشاذِ، فمساحةُ الأغاني الهابطةِ والمسلسلاتِ التافهةِ تهيمنُ على الساحةِ الإسلاميةِ والثقافيةِ .

إنَّ وسائلَ الإعلامِ في الدُّولِ الإسلاميةِ هزيلةٌ هشةٌ ميتةٌ خائرةٌ، تُخدِّرُ شعوبَها، ولا تقومُ بأدنى مسؤوليةٍ في الحفاظِ على هويةِ الأمةِ الإسلاميةِ والمحافظةِ على العاداتِ والتقاليدِ والأعارفِ في أيِّ بلادٍ منها؛ إنَّ هذه القنواتِ في أيامِنا تسعى لهدمِ أركانِ الإسلامِ ركنًا ركنًا، وتحطيمِ المعتقداتِ، ونتيجةً لهذا السيلِ مِن هذه المسلسلاتِ انتحرت الأمةُ المسلمةُ فأصبحت همزةَ وصلٍ في درجِ الكلامِ.

إنَّ هذه المسلسلاتِ جعلت أبناءَ المسلمين ينغمسون في شهواتِهم، وتظهرُ عليهم بصماتُ الإنحلالِ والتفسخِ الدينيِّ، وذلك عبرَ وسائلَ شيطانيةٍ تسلكُ مسلكَ التدرجِ ليتمَّ لها ما خططت له، ونتيجةً لهذا ظهرت آثارٌ خطيرةٌ مِن المفسديون[2]، والفضائياتُ في واقعِ المسلمين، ومن تلك الآثارِ.

---

(١) سورة النور الآية: ١٩ .

(٢) نحتٌ لكلمتين هما: المفسدُ التلفازُ .

أولًا: البرنامجُ اليوميُّ في حياةِ المسلمِ نفسه تغيَّرَ كثيرًا، فأصبحَ يأكلُ عندَ المسلسلِ الفلانيِّ، وينامُ عقبَ التمثيلِ الفلانيِّ، ويكونُ في البيتِ وقتَ البرنامجِ الغنائيِّ، وهكذا، وهذه حياةٌ بهيميةٌ لا تَرقى لمصافِ مجانينِ الإنسانيةِ.

ثانيًا: تعطيلُ كثيرٍ مِنَ الهوياتِ والمواهبِ كالقراءةِ والمطالعةِ والكتابةِ والخياطةِ والحرفِ وغيرِ ذلك؛ فالتلفازُ يطوِّرُ لدى الإنسانِ الخمولَ والجلوسَ لإعمى البصرِ والسمعِ والمشاعرِ دونَ أيِّ حركةٍ.

ثالثًا: تغيَّرتِ الهويةُ الدينيةُ، وتزورتِ الحقيقةُ الإسلاميةُ، وتشوهت معالمُ التأريخِ، وتميَّعَ الجيلُ، وذلك عبرَ البرامجِ التي تخلو عن الفكرةِ الصادقةِ، والمشهدِ الهادفِ، والحقيقةِ المؤكدةِ حيثُ تكثرُ المسرحياتُ والتمثيلياتُ والأفلامُ الهابطةُ الخياليةُ والمختَرعةُ، وقد تتدفقُ بعضُ العاداتِ السيئةِ في المجتمعِ من خلالِ التلفازِ – المفسديون –، فنرى مَن يكررُ عباراتٍ اشتهرت في مسلسلٍ ما ، أو ممارسةِ سلوكٍ معينٍ ظهرَ به نجمُ التمثيلِ الممثلُ الفلانيُّ، وأيضًا تقومُ القنواتُ بطبعِ الهويةِ بطابعٍ مناسبٍ معَ الحضارةِ الغربيةِ بعيدًا عن تعاليمِ الإسلامِ الحنيفِ.

رابعًا: للأطفالِ والناشئةِ صارَ الأبُ المربي لهم، هو ذلك الجهازُ الإلكترونيُّ، الذي يتلقى منه الأخلاقَ والسلوكياتَ حسنَها – وهي قليلةٌ – وقبيحَها – ولا حصرَ –.

خامسًا: يعوِّدُ على المناكرِ ومِن ثَمَّ إيلافُها والتغاضي عنها، وحينَ تتعودُ الأمةُ على المناكرِ، وتتمرَّنُ عليها، ثم لا تنكرُها، ستتحطمُ قيمُها ويُخدَشُ حياؤُها، وتزدرى الفضائلَ، ويُفسحُ المجالُ للرذائلِ أن تتغولَ وتتوغلَ في صدورِ العالمين. وها هي مشاهدُ من خلالِ التطبيقاتِ العمليةِ في الشارعِ المسلمِ عبرَ آلافِ التقاليدِ العمياءِ لكثيرٍ مِن مشاهدِ الهبوطِ والتدحرجِ، وهناك أخطارٌ تُزعزعُ بيوتَ المسلمين من خلالِ هذا الصندوقِ الذي يُديرُ

برامجَه حثالةُ القومِ وأراذلُ الناسِ الذين تشبعت قلوبُهم وعقولُهم بحبِ الزيغِ والهوى، وهاموا بحبِ الشيطان ومكائدِ إبليسَ، وانظروا ـ عافاكم اللهُ ـ ما أكثرَ الترويجَ لها في موسمِ العبادةِ والصيامِ، وما ذلك إلا لهدمِ هذا الدينِ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(١).

ولكن لماذا التركيزُ على مسلسلِ نورٍ ومهندٍ ـ أيُّها السادة المؤمنون ـ أتدرون أنَّ هذا المسلسلَ يشتملُ على لقطاتٍ غيرِ شرعيةٍ وغيرِ أخلاقيةٍ؛ تدعو دعوةً صريحةً للتلذذِ الشهويِّ وتلويثِ الأخلاقِ، أتدرون أن مئاتِ حالاتِ الطلاقِ حدثت بسببِ هذا المسلسلِ التافهِ؟! أتدرون أنَّ هناك حالاتٍ من الانتحارِ حدثت بسببِ هذا المسلسلِ؟! أتدرون أنَّ آلافَ الأطفالِ أُطلقَ عليهم مهندٌ في دولةِ الإسلامِ منذُ بدايةِ بثِّ هذا المسلسلِ اقتداءً به؟ أتدرون أنَّ نغماتِ الهواتفِ للصغارِ والكبارِ والشبابِ والشاباتِ تحملُ نغماتِ نورٍ، وشركةُ الاتصالِ تزيدُ الطينَ بَلةً، فتنشرُ آلافَ الرسائلِ للحصولِ على نغماتِ: نورٍ اضغط على الرقمِ: كذا وكذا! أتدرون أنَّ أحدَ الأتراكِ كانَ يقولُ: مِنَ المخزي أننا نحن الأتراكُ الذين نعيشُ في دولةٍ تقدسُ العلمانيةَ نَعدُّ هذا المسلسلَ على المستوى الرسميِّ تافهًا ينشرُ الشذوذَ والجريمةَ، ولا يرقى للنشرِ في القناةِ الأولى عندنا على حينِ أنَّ شعوبَكم الإسلاميةَ والعربيةَ تلقفتهُ بكلِّ رحبٍ وسعةٍ للنشرِ وهيامِ المتابعةِ.

فيا عبادَ اللهِ

لماذا هذا السباتُ العميقُ لمتابعةِ هذه التفاهاتِ، ولِمَ هذا التخبطُ في الظلامِ الدامسِ كالبومِ، أبى أكثرُنا أن يخرجَ إلى النورِ إلا مَن رحِمَ اللهُ، وأمتُنا في هوانٍ دائمٍ من حينِ أضعنا شعائرَ الإسلامِ ومبادئَ الدينِ؛ والأممُ تعبثُ فينا بالفسادِ، وتسلبُ أراضيَنا وأرواحَنا، وتسفكُ دمائَنا، وتصنعُ السلاحَ ضدَنا، ونحن في غفلةٍ معرضون تحتَ مسلسلِ نورٍ ومسلسلاتِ المجون، لماذا كلُّ هذا؟ ثم أين الوازعُ الإسلاميُّ الذي يَردعُ النفوسَ عن هذه

(١) سورة الصف الآية: ٨ .

السخافاتِ؟ وأين تقوى اللهِ ربكم في قلوبكم؟ أين محبةُ النبيِّ(ﷺ) في سويداءِ قلوبكم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] أين الاستعدادُ لِما يقربُكم لجنةِ ربِّكم؟ أين تلاوةُ القرآن الكريمِ وسنةِ سيدِ المرسلين وقراءةِ سيرةِ الصحابةِ والصالحين؟ تابعوا ـ رحِمَكم اللهُ ـ ما ينقذُكم من دارِ الشقاءِ وما ينفعُكم في الدينِ والدنيا والآخرةِ، فخابَ وخَسِرَ مَن أتبع نفسَه هواها، ولم يستجب لنصحِ الناصحين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي إمامِ الثقلين، أقولُ: ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ، وصلى اللهُ وسلمَ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِهِ وصحبِه ومن والاه، أمَّا بعدُ: فهذه رسائلُ سريعةٌ:

الأولى: إنَّه مِنَ المؤسفِ حقًا عندَ حدوثِ المناسباتِ أو الأعيادِ أو الخريفِ أن يتمَ الشطبُ على برنامجِ سؤالِ أهلِ الذكرِ كالعادةِ ودونَ أيِّ خجلٍ وحياءٍ مِن قبلِ القائمين مع أهميتِه القُصوى لتبصيرِ الناسِ بأمورِ دينِهم، ثم تَحِلُّ الدندناتُ والمهاتراتُ محلَ هذا البرنامجِ الذي يتابعُه ملايينُ العبادِ في السلطنةِ وخارجِها، فعلى القائمين أن يتقوا اللهَ، وأن يعودوا لرشدِهم، وعلى الناسِ أن يطالبوا برفعِ مستوى هذا البثِّ الذي أصبحَ هشيمًا تذرُوه الرياحُ.

---

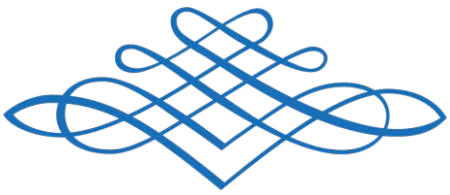
(١) سورة الأحزاب الآية: ٢١ .

(٢) سورة ق الآية: ٣٧ .

أمَّا الرسالةُ الثانيةُ: فإلى كلِّ مصلحٍ أو أبٍ أو امرأةٍ أو غيورٍ على أمتِه، لا يمكنُ أن نقاومَ وسائلَ الإعلامِ الماجنةِ وما تبثُه من ويلاتٍ ودمارٍ وسفاسفَ مِن مسلسلِ نورٍ، وأيامِ الضياعِ، والحاجِ متولي، وراجلٍ، وستِ ستاتٍ، وهلمَّ جرًّا مِن مثلِ هذه السخافاتِ، ثم نقابلُ ذلك بالسبابِ، والإنفعالِ، فلكلِّ فعلٍ ردُّ فعلٍ مساوٍ له في المقدارِ ومكافئٌ له في القوةِ، فالفكرُ لا يقاومُ إلا بالفكرِ، فلا بُدَّ من هيمنةِ المصلحين والمحبين لأمتِهم على وسائلِ الإعلامِ، ونزعِ الغوغاءِ الذين تبلَّدت عقولُهم وأفهامُهم فاستحسنوا الشيءَ القبيحَ واستقبحوا الحسنَ المليحَ.

أمَّا الرسالةُ الثالثةُ: فيا أولياءَ الأمورِ، أنتم المسؤلون أولًا وأخيرًا عن أولادِكم، وأنتم مَن بيدِه تسهيلُ دخولِ هذه الفضائياتِ إلى منازلِكم ، أنتم الذين لو شئتم لأخرجتموها أو أدخلتموها، فواللهِ ثم واللهِ إنَّكم مسؤولون عن فلذاتِ أكبادِكم، وستتحملون كلَّ عقباتِ هذه التربيةِ الفاسدةِ وستجنون ثمارَها أنتم ، بل أنتم الذين زرعتُم الشوكَ فأنتم أولُّ مَن يُشاكُ.

هذا وصلوا وسلموا على صاحبِ الشفعةِ والحوضِ .



الخطبةُ الثامنة

معَ الإجازةِ الصيفيةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ المرتفعِ عن رؤيةِ الأبصارِ الناظرةِ، المنزهِ عنِ التخيلاتِ والأوهامِ الخاطرةِ، العالمِ تحتَ أمواجِ البحارِ الزاخرةِ كعلمِه بحركاتِ خلقِه الظاهرةِ، الذي أحيا القلوبَ بالأوقاتِ العامرةِ وتلاوةِ السُّورِ البينةِ الظاهرةِ، فأقامَ بها النفوسَ الحائرةَ، أحمدُه على نعمِه وآلائِه المتواترةِ وآياتِه الباهرةِ المتظاهرةِ، حمدًا أدفعُ به حلولَ كلِّ فاقرةٍ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً صادرةً عن طويةٍ غيرِ مرتابةٍ ولا فاترةٍ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالآياتِ الظاهرةِ والمفضلِ بالمقاماتِ الفاخرةِ، اللهم فصلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وعِترتِه الطاهرةِ، وعلى أصحابِه الأنجمِ الزاهرةِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إنَّ سبيلَ العافيةِ عافيةٌ لقلةِ سُلاكِها، وإنَّ عِللَ القلوبِ القاسيةِ مؤذنةٌ بهلاكِها، وإنَّ حللَ الذنوبِ والمعاصي باديةٌ على سُوقةِ الأمةِ وأملاكِها، وإنَّ رُسلَ الفناءِ قانصةٌ لا تُفلتُ أحدًا من شباكِها، فكأن قد سلكت بكم الآمالُ في عرصاتِ الدنيا سبيلَ الخَيبةِ، وهتكت منكم المنونُ سُتورَ الهيبةِ، فصيرتِ المنازلَ خاليةً والحلائلَ باليةً والمتحركَ ساكنًا والمقيمَ ظاعنًا؛ فأحيلوا ـ رحمكم اللهُ ـ النظرَ، ما صنعَ الدهرُ بالأممِ الماضيةِ؟ أين المعاقلُ المنيعةُ والمنازلُ الرفيعةُ؟ وأين مَن أطالَ الأملَ؟ أين نوحٌ وقومُه؟ وأين عادٌ وثمودُ؟ أين فرعونُ وهامانُ؟ بل أين أجدادُكم؟ أمطرتهُم ـ واللهِ ـ مِنَ الشتاتِ سُحُبٌ همعٌ، وأحامت عليهم من الأوقاتِ طيرٌ وُقعٌ، وعصفت عليهم من المماتِ ريحٌ زعزعٌ، وابتلعتهُم الفلاةُ البَلقعُ، فهم تحتَ كلاكلِ الدهرِ همودٌ

خشَّعٌ، فأعدوا الزادَ ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] فطُوبى ثم طُوبى لَمن لبسَ التقوى، وتداركَ الهفواتِ قبلَ الفواتِ، وهنيئاً لَمن أذهبَ السيئاتِ بالحسناتِ، وخيبةً لَمن شغلَه الملهى عن طاعةِ مولاه، وخسراناً لَمن باعَ نفيسَ آخرتِه بخسيسِ دنياه، وحسرةً له حينَ تقولُ كلُّ نفسٍ ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[3]، وتعساً له ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[4].

أيُّها الإخوةُ المسلمون

وبعدَ هذه الوقفةِ التذكيريةِ أنتقلُ بحضراتِكُم وبحضراتِ الإخوةِ الذين يُسمُّون دعوةَ الحق نزاعًا وسجالًا[5] نقلةً لا ريثَ فيها ولا عجلَ، فبعدَ أن بدأَ الصيفُ يتسربُ شيئًا فشيئًا معلنًا هزيمةَ جندِ الشتاءِ والفتكَ بعساكره ليعلنَ عن بدايةِ الإمتحاناتِ النهايةِ بمختلفِ المراحلِ الدراسيةِ، نسألُ اللّٰهُ التوفيقَ والتفوقَ لأولادِنا وبناتِنا ليكونوا نافعين لوطنهم وأمتِهم، آمينَ، ومع إطلالِ الإجازةِ الصيفيةِ واقترابِها، أبعثُ برسائلَ ثلاثٍ عبرَ البريدِ السريعِ خشيةَ أن يَنفلِتَ الصيفُ عنا بدون أيِّ ثمرةٍ وفائدةٍ، فليستلم كلٌّ منكم رسالتَه التي تخصُه، ولا يستجيبُ لهذه الرسائلِ إلا مَن قالَ اللّٰهُ جلَّ وعلا فيهم: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٢.
(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠.
(٣) سورة الزمر الآية: ٥٦.
(٤) سورة النبأ الآية: ٤٠.
(٥) هذه العبارةُ إشارةٌ إلى ثلةٍ – لا بُدَّ منها – وصمت خُطبي بأنَّها نزاعٌ ونَعيقٌ، ولا يهمُّني ما يقولُه زيدٌ وعمروٌ، فعلى اللّٰه قصدُ السبيلِ.
(٦) سورة الشورى الآية: ٢٦.

أيُّها الموحدون

لا يجادلُ أحدٌ مع بدايةِ كلِّ صيفٍ يرتفعُ ستارُ الإجازةِ الصيفيةِ، ويكشفُ مسرحُ الأحداثِ عن حالِ البنينَ والبناتِ، فما أكثرَ أوقاتِ الفراغِ التي تجتاحُ الناشئةَ أيامَ الشتاءِ والمدارسِ، فما بالُكم بأيامِ الإجازةِ الصيفيةِ، إنَّ هذه الإجازةَ تحتاجُ إلى ترشيدٍ، فإنَّها إن لم تُستغل في الصالحِ أُستغلت في الطالحِ، وإذا لم يُشغل الناشئةُ بالخيرِ اشتغلوا بالشرِ، وإن لم تُصرف الطاقاتُ انفجرت وانصرفت إلى حيثُ تريدُ، إن لم نجد لها وظائفَ روحيةً، تردَّت إلى الوظائفِ البهيميةِ، إن لم نوفر وظائفَ إيمانيةً لأولادِنا صرعتهُم الوظائفُ الشيطانيةُ، إن لم تُرسم لهم الأهدافُ استغرقوا في الإباحيةِ والشهواتِ، وانغمسوا في الماديات والمُلهياتِ، بحيثُ يُصبحُ أولادُنا بلا هدفٍ ولا غايةٍ يصبحون ويمسون إلى غاياتٍ ثلاثٍ إلى المأكلِ والمشربِ واللهو واللعبِ ثم الارتخاءِ والنومِ؛ فكانوا بذلك أقربَ إلى فصيلِ الحيوان، وأشبهَ ما يكونون بوحوشٍ كاسرةٍ وسباعٍ ضاريةٍ، بل ألحقَ اللهُ تعالى هذه الغاياتِ والطموحاتِ بمصافِ الكفارِ، فقالَ العزيزُ الحكيمُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1]، وهذا الفراغُ مسؤولٌ عنه الإنسانُ قالَ(ﷺ): "نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ الناسِ الصحةُ والفراغُ".

إنَّ كلَّ عامٍ تدقُّ فيه ساعةُ الإجازةِ معلنةً عن فراغٍ طويلٍ يَحملُ في طياتِه أسبابَ الفسادِ، وخاصةً عندَ المراهقين مِنَ الجنسين، فكانتِ الرسالةُ الأولى – أيُّها المؤمنون – إلى الأساتذةِ، وأعني كلَّ مَن له قدرةٌ ويجيدُ تعليمَ الناشئةِ ولو بشيءٍ يسيرٍ، ففي الحديثِ " بلغوا عني ولو آيةً "، على هؤلاءِ الأساتذةِ مِنَ الجنسين أن يساهموا في تعليمِ الجيلِ بفتحِ المراكزِ الصيفيةِ واستقطابِ الفتيانِ والفتياتِ والعنايةِ بتعليمِ القرآنِ الكريمِ، وتدريسِه الذي فيه الخيرُ بحذافيرِه فعنه (ﷺ): " خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ

(١) سورة محمد الآية: ١٢ .

وعلمَه "، وعن جابرِ بنِ زيدٍ قالَ بلغني عن رسولِ اللّه (ﷺ): أنه قالَ: " علموا أولادَكم القرآنَ فإنَّه أوَّلُ ما ينبغي أن يُتعلمَ مِن علمِ اللّه هو "، ثم بالسنةِ النبويةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، فهي مع القرآن الكريمِ قالَ (ﷺ): " لن تضلوا أبدًا ما عملتم بكتابِ اللّه عزَّ وجلَّ فما لم تجدوه في كتابِ اللّه، ففي سنتي، فما لم تجدوه في سنتي فإلى أولي الأمرِ منكم"، ثم عليهم أن يدرسوهم ما يحتاجونه من شؤون دينهم ودنياهم، على الأساتذةِ أن يبذلوا ما بوسعِهم في سبيلِ الارتقاءِ بهذه المراكزِ وإدخالِ الأنشطةِ الترويحيةِ والمهنيةِ والعلميةِ والرياضيةِ، عليهم أن يبتعدوا عن الجمودِ، وليحرضوا الناشئةَ على فعلِ الخيرِ والمسابقةِ إليه؛ عليهم أن يبهجوا نفوسَ الطلبةِ بالرحلاتِ والأنشطةِ الرياضيةِ مِن رميٍّ وسباحةٍ وجريٍ وكرةٍ مع المحافظةِ عليهم والرأفةِ بهم، عليهم أن يشجعوهم على سماعِ القرآن الكريمِ وتلاوتِه وتجويدِه وحفظِه، وعلى سماعِ النشيدِ الإسلاميِّ، والأشرطةِ الهادفةِ، عليهم أن يحببوا لهم القراءةَ الهادفةَ وارتيادَ المكتباتِ والأخلاقَ الطيبةَ الفاضلةَ التي عليها رسولُ اللّه (ﷺ) وأصحابُه، ومَن سارَ على نهجِهم، وحذروهم من نافخي الكيرِ جلساءِ السوءِ، وجزى اللّهُ أساتذةً يبذلون أوقاتَهم مقابلَ الثوابِ الذي يرجونه مِنَ اللّهِ تعالى حيث أظهروا جدَّهم وصبرَهم على الناشئةِ، فهنيئًا لهم الأجرُ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[1].

إخوةَ العقيدةِ

ومع هذا كلِّه فإنَّه مِن المؤسفِ حقًا أن يظهرَ في وقتِنا شبابٌ تواروا عنِ الساحةِ، وأحجموا عن النزولِ إلى الميدان، كأني بهم يعيشون على رمالِ الدهناء، أمواتٌ إذا اشتدَّ الوغى، همهمٌ هزيلةٌ خائرةٌ .

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٥.

إنَّ المراكزَ الصيفيةَ من سنةٍ إلى سنةٍ تعاني من الموتِ البطيءِ والتشنجاتِ العصبيةِ المزمنةِ، وهذه الحالةُ الطارئةُ أوجدَها قبلَ كلِّ شيءٍ مَن ذكرنا، يعتذرُ الواحدُ منهم بأعذارٍ صماءَ بكماءَ عوراءَ مفلسةِ الرصيدِ؛ ولا تقنعُ الضميرَ، ولا تقي الجمعَ مِنَ التكسيرِ، فمن قائلٍ: لا أريدُ تصديعَ نفسي وضغطَ أعصابي في الإجازةِ، ومن متكلمٍ: لا أعرفُ التدريسَ في الصيفِ، ومن موافقٍ على التدريسِ، ثم ينسلخُ عن الطلبةِ بعدَ فترةٍ وجيزةٍ .

أمـــا للهِ والإســـلامِ حـــقٌ يـــدافعُ عنـــه شـــبانٌ وشـــيبُ

(فيا أنت. يا أنت) فجمهورُ النحويين لا يجيزونه وجوَّزَه قلةٌ تمسكًا بقول القائل:(يا أبْجَر بنَ أبْجرٍ يا أنتا)، فالمقامُ عندي يقتضي اللجوَ إلى المستخدمِ القليل لتلتفَ حولي الأذهانُ، وتلتفتَ إليَّ الأسماعُ والأبصارُ، فيا أنت إنَّ المسؤوليةَ عظيمةٌ في تربيةِ الأجيالِ، وإنَّ العزوفَ عن العنايةِ بالمراكزِ الصيفيةِ جريمةٌ كُبرى مِن ثمراتِها فتحُ البابِ أمامَ كلِّ مَن يريدُ الاصطيادَ في الماءِ العكرِ مِن أصحابِ الاتجاهاتِ المنحرفةِ والمسالكِ الضالةِ والمشاربِ المشبوهةِ؛ فيا أيُّها الشبابُ : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المصطفى، ومَن سارَ على نهجِ الحقِ واقتفى، وبعدُ:

(١) سورة المائدة الآية: ٢.

فيا أيُّها الإخوةُ المسلمون

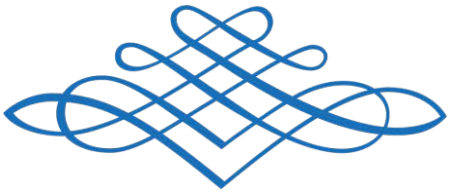
أنتقلُ بكم إلى الرسالةِ الثانيةِ التي تخصُّ أولياءَ الأمورِ فيا أيُّها الأباءُ والأمهاتُ، اتقوا اللّهَ في أولادِكم، تابعوهم فإنَّهم أمانةٌ في أعناقِكم، شجعوهم على حضورِ المراكزِ الصيفيةِ، واستغلالِ نفائسِ أوقاتِهم، احملوهم على حفظِ شيءٍ من كتابِ اللّهِ وسنةِ رسولهِ (ﷺ)، انظروهم مَن يصاحبون؟ وأين يذهبون؟ اغرسوا في نفوسِهم حبَّ الإيمانِ وحبَّ الصالحين وحبَّ العلمِ والأخلاقِ الفاضلةِ، فإنَّهم لكم أو عليكم، إنَّه من المحزنِ - أيُّها الأباءُ والأمهاتُ - أن نسمعَ بعضَ أولياءِ الأمورِ وعدَ أولادَه بأنَّه سيسجلُه في بعضِ الأنديةِ من أجلِ العبثِ واللعبِ الزائدِ؛ وقالَ بعضُ الناشئةِ بأنَّ والدَه سيحضرُ له في الإجازةِ الصيفيةِ رواياتٍ بوليسيةً وأفلامَ الوحشيةِ والجريمةِ، وبعضَ الأقراصِ المدمجةِ، بل نجدُ بعضَ أولياءِ الأمورِ مَن يُعَمِّقُ في نفوسِ أولادِه القصصَ المشبوهةَ التي تتاجرُ بالغرائزِ، وتشجعُ على الإنحرافِ والإجرامِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

أمَّا الرسالةُ الثالثةُ: فهي إلى فلذاتِ الأكبادِ نقولُ لهم: ها هي الإجازةُ الصيفيةُ حاولوا فيها جاهدين في سبيلِ الاستفادةِ والانتفاعِ، اجتهدوا لتخرجوا بمكاسبَ ونتائجَ طيبةٍ، ترددوا إلى المراكزِ الصيفيةِ والمكتباتِ وحلقِ العلمِ؛ شمروا وجدوا واجتهدوا نموا مهاراتِكم وإبداعاتِكم، تصوروا جدولًا مناسبًا يعينُكم في اغتنامِ ساعاتِ الإجازةِ وأيامِها، فشتان شتان بينَ شابٍ ذي مواهبَ متعددةٍ يعرفُ الكثيرَ ويتقنُ الكثيرَ، فهو ذو علمٍ وثقافةٍ، يحفظُ القرآنَ الكريمَ أو شطرًا منه والحديثَ الشريفَ والأدبَ، يترددُ على حلقِ العلمِ، ويحضرُ المراكزَ الصيفيةَ، ويجيدُ اللغةَ الفصحى، ويتعاملُ مع الحاسبِ الآليِّ، وله قوةُ شخصيةٍ ولباقةٌ متناميةٌ، وبينَ شابٍ خاملٍ كسولٍ يجرُّ أذيالَ الخيبةِ لا نفعَ له للمجتمعِ سوى إثارةِ الشغبِ واللعبِ

(١) سورة التحريم الآية: ٦.

بالدرجاتِ الناريةِ والجلساتِ الليليةِ إلى أنصافِ الليـالي؛ والنتيجـةُ صِـفرٌ زائدُ صِفرٍ زائدُ صِفرٍ يساوي: مجموعةُ أصفارٍ .

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين وقدوةِ الزاهدين .



الخطبةُ التاسعةُ

النوادي المَرَضيةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه أصبحت له الوجوهُ ذليلةً عانيةً، وحذِرته النفوسُ مجدةً ومتوانيةً ذمَّ الدنيا، إذ هي حقيرةٌ فانيةٌ، وشوَّقَ لجنةٍ قطوفُها دانيةٌ، وخوَّفَ صرعى الهوى أن يُسقوا من عينٍ أنيةٍ، أحمدُه على تقومِ شانيهْ، وأستعينُه وأستعيذُه من شرِّ كلِّ شانٍ وشانيةٍ، وأحصلُ بتحقيقِ التوحيدِ إيمانيه، هو العالمُ العليمُ بالسرِ والعلانيةِ، فالسرُّ عندَه علانيةٌ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ شهادةً خالصةً تصحبُني حينَ يتركُني أهلي وماليه، وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللّٰه أقولُها حتى تنقضي أياميه، اللهم صلِ وسلم على محمدٍ كلَّ دقيقةٍ وثانيةٍ وعلى آلِه ذي النفوسِ العالية. أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدمَ

تذكر واعتبر، وكن على حذرٍ، واعلم بأنَّ مَلَكَ الموتِ يشرفُ عليك ليلًا وضحى، والمنونُ يطلبُك حثًا وحضًا، فالموتُ أقربُ إليك مِن شِراكِ نَعْلِكِ، يتلقفُك خببًا وركضًا، ابنَ آدمَ خف ربَّك، وكن على وجلٍ فعن قريبٍ تصبحُ جُثةً هامدةً، تبردُ منك القدمان، وتُلبسُ الأكفانُ وتنقطعُ عنك الأنسامُ، ابنَ آدمَ غدًا ينقطعُ رسمُك، وينسى اسمُك، وينطوي ذكرُك في بطون الثرى، ومراتعِ الدودِ، وظلمةِ اللحودِ إلى يومٍ يُنفخُ في الصورِ، فاجعل لهذه العرصاتِ زادًا كافيًا، وليكن زادُك التقوى، فإنَّها خيرُ ذخرٍ يدخرُ اتقِ اللّٰهَ حيثما كنتَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (١)

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1].

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

لا يخفى على أيِّ شخصٍ له مسحةٌ من فهمٍ، وقلةٌ مِن إدراكٍ بأنَّ الأمةَ الإسلامية، لقد نُكبت بكوارثَ ونكباتٍ، وأحاطت بها تحدياتٌ ومؤامراتٌ، أصابتها عبرَ تأريخِها محنٌ وفتنٌ، وتوالت عليها بلايا ورزايا، حلَّت مصائبُ وكروبٌ، وحدثت جراحاتٌ وخطوبٌ، ولا تزالُ الأمةُ تَنزفُ طوفانًا مِنَ الدماءِ؛ مآسيً في إهمالِ تطبيقِ الشريعةِ الغراءِ، وسهامٌ في انحرافِ الناشئةِ مِنَ المراهقين والمراهقاتِ والشبابِ، وطعناتٌ شتى في التخلي عن واجبِ الحسبةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكرِ، وقذائفُ مِن تصديرِ الرذيلةِ ونشرِ الإباحيةِ بدعاوى مضللةٍ، وحدث ولا حرجَ عن محنِ الخارجِ والتحدياتِ السافرةِ التي تخططُ لافتراسِ ما بَقِيَ مِن شرفٍ وعزةٍ لهذه الأمةِ الإسلاميةِ المكلومةِ.

ولو كانَ سهمًا واحدًا لاتقيته ... ولكنَّه سهمٌ وثانٍ وثالثُ

أيُّها الأحبةُ في اللهِ

إنَّ من أخطرِ التحدياتِ والمؤامراتِ التي تعاني منها أمتُنا الإسلاميةُ، تلك التي يتولى كبرَها أناسٌ سذَّجٌ أقزامٌ؛ يتظاهرون بالإسلامِ، ويتزينون أزياءَ الإيمان يخفون السُّمَ في الدسمِ، يداوون الأمةَ بالداءِ، ويعالجون حماها بالطاعون، يرفعون الشعاراتِ البرَّاقةَ، والمظاهرَ الزائفةَ، يدافعون عن الرذيلةِ، ويتعرضون للفضيلةِ، يخدعون العامةَ بالكلماتِ المعسولةِ والألفاظِ الرنانةِ والعباراتِ الموشمةِ المنمنمةِ، أولئك الناسُ يُنسبون إلى الإسلام، ويزعمون أنهم يدافعون عن حياضِه، وفي الحقيقةِ هم صادون عنه، معرضون عن أمرِه ونهيه، وإن كانوا يحملون اسمَه .

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

فلا يخفى الحضيضُ مِنَ الذرى شتَّان ما بينَ الثريا والثرى

وللأمورِ دلائلُ وللحقائقِ مخايلُ، وما يخفى المريبُ والأمينُ، ولا يشتبهُ الصحيحُ الصريحُ بالمتهمِ الظانين.

لا يخلبنَّكَ بارقٌ متلمعٌ إنَّ البروقَ تخونُ في تلماعِها

عبادَ اللهِ

إنَّه مِنَ المؤسفِ حقًا أن تظهرَ كلُّ يومٍ في أسواقِ المسلمين محرماتٌ لقيطةٌ وبدعٌ هجينةٌ؛ تُصدَّرُ لنا مِنَ الغربِ فتبيضُ وتفرَّخُ وتظهرُ لهذه البدعِ والمحرماتِ المهجنةِ أبواقُ الدِّعايةِ الكاذبةِ؛ ويَظهرُ مِن أبناءِ الأمةِ الإسلاميةِ قومٌ مستعارون، يُشجعون لتعزيزها وتمكينها في المجتمعِ المسلمِ، إنَّها - واللهِ - رزيةٌ حقًا - يا أهلَ القرآن - أن يصبحَ اللهوُ في أمةِ الإسلامِ دينًا، والدينُ فيها لهوًا، ثم لا تتبعُ ناصحًا ولا مرشدًا. ومع غفلةِ الغيورين من أبناءِ هذه الأمةِ الإسلاميةِ وغيابِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكرِ، تسللت في ليلٍ حالكٍ بهيمٍ حتى تمكنت أو كادت ما يُعرفُ عندهم بمحلاتِ النوادي الصحيةِ، ولخطورةِ هذه المحلاتِ أضعُ بين أيديكم هذه اللفتاتِ، وقبلها أرفعُ هذا الاحتجاجَ .

كُتِبَ على لوافتِ هذه المحلاتِالنوادي الصحية، وهذه دعوى، والحقُ لا يَثبتُ بالدعوى، ولكن بالدليلِ، وإنَّ العبرةَ بالمسمياتِ لا بالأسماءِ، ولو أنَّ كلَّ مَن سمَّتْه أمُّه صالحًا كانَ صالحًا على الحقيقةِ، وكلُّ مَن سُمِيَ عادلًا كانَ عادلًا على الحقيقةِ، لكنا سعداءَ بكثرةِ الصالحين، والعدولِ، ولو أنَّ كلَّ مَن تَسمَّى حَسنًا لا يأتي إلا الفعلَ الحسنَ لعَظُمَ وطغى الحسنُ، ولو أنَّ هذه النواديَ صحيةٌ على مسمَّاها لفتحنا محلات لتكثُرَ الصحةُ، ويتلاشى المرضُ ولكن وراءَ هذه الأسماءِ والألقابِ الجميلةِ أُفُقُ الواقعِ، تتهاوى فيه كثيرٌ من هذه الأسماءِ والألقابِ واتنفلقُ فلا تجدُ إلا الحقيقةَ مِن فعلٍ يصدقُ ذلك أو يكذبُه.

لا تعظـمُ الأشـياءُ بالأسمـاءِ ولا يُقـاسُ النـورُ بالظلمـاءِ
إنَّ سـرابَ البيـدِ غيرُ المـاءِ وإن دعـوت النـهرَ بالـدأماءِ

فهذا اسمٌ موهومٌ متسترٌ بعباتِ الرذيلةِ والباطلِ فهيَ نوادي مرضيةٌ على اليقينِ والحقيقةِ.

إخوانَ الصفاءِ

إنَّ لهذه النوادي آثارًا خطيرةً وشروراً مستطيرةً على الفردِ والمجتمعِ؛ فمِن تلك الآثارِ:

أولًا: يُقصدُ مِن هذه النوادي المرضيةِ التي يُمارسُ فيها التدليكُ الذي يُسمُّونه مساجًا، ـ وما خَفيَ أعظمُ، وأندى للجبينِ ـ إغراقُ شبابِ الأمةِ وبناتِ المسلمين في وحلِ الفاحشةِ، ومستنقعِ الرذيلةِ بينَ الفتيان والفتياتِ، وإغرائِهم بالتميِّعِ والإنحلالِ السلوكيِّ، وقتلِ أخلاقِ العزةِ والشهامةِ والنشامةِ، يقلبونهم من شدقِ الأفعى إلى نابِ الأُفعون لينسوا ما لهم وما عليهم من واجباتِ أمتِهم ومجتمعِهم .

ثانيًا: تُعدُّ النوادي المرضيةُ مِنَ الأنشطةِ المحرمةِ شرعًا لما فيها من المخالفاتِ الشرعيةِ والشبهاتِ، وأصحابُ هذه المحلاتِ يكسبون سحتًا، كما أنَّ المؤجرين يشاطرونهم الإثمَ على السواءِ قالَ(ﷺ): " كلُّ لحمٍ نبت من سُحتٍ، فالنارُ أولى به" .

ثالثًا: تمَّ ضبطُ حالاتٍ مِنَ الشذوذِ في هذه النوادي تَعرَّضَ أصحابُها[1] إلى أمراضِ الإيدزِ والزهريِّ والسيلان وغيرِها من الأمراضِ الوبائيةِ؛

---

(١) بعدَ تمامِ هذهِ الخُطبةِ اتَّصلَ بي شابٌ في ريعان شبابِه، وطلبَ مني الالتقاءَ بهِ، والتقيتُ بهِ بعدَ يومين وقالَ لي – والدمعُ ينحدرُ على خديه –: إن ما ذكرتَه في خُطْبةِ الجُمُعةِ حقٌّ كلُّهُ، وأنا واحدٌ مِن ضحايا هذه النوادي، وقد أُصبتُ بمرضِ الإيدزِ، وقد فرَّت لذَّةُ حياتي مِن دنيايَ، وغادرَ النَّومُ جفنايَ، ولا تزالُ الهمومُ والأحزانُ جبالًا في صدري، إذ خسرتُ في متعةٍ قليلةٍ دنيايَ وأخرايَ .
وقد نصحتُه في اللهِ وحرضتُه أن يتوبَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، وأن يُكثرَ مِنَ الاستغفارِ والعملِ الصالحِ، وبعدَ معاناةٍ معَ المرضِ، تُوفي هذا الشابُ، وكان ذلكَ في سنة ١٤٣٢ هجرية .

وقد حذَّرَ الحقُ جلَّ وعلا مِن قتلِ النفسِ والتعدي عليها، فقالَ عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1]، وقالَ عن الحـزبِ المـؤمنِ ﴿وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[2].

رابعًا: لا يخفى بأنَّ أيَّ دولـةٍ تُـرخصُ وتسـمحُ بفـتحِ مثـلِ هـذه النـوادي تتحملُ تبعةَ ذلك بخسائرَ ماديةٍ فادحةٍ لعلاجِ الأمراضِ المعديةِ الفتاكـةِ والتي هي من ثمراتِ هذه النوادي.

خامسًا: تَكثرُ عنـدَ مرتـادي هـذه النـوادي الأمـراضُ النفسـيةُ والشـعورُ بالذنبِ والأرقِ ووساوسِ الشيطان والأوهامِ وشغلِ البالِ[3].

ولما كانت هذه النوادي بحجمِ هـذه الفضـاعةِ والأخطـارِ علـى الفـردِ والمجتمعِ، فإنا نطلبُ الجهاتِ المسؤولةِ بعدمِ غضِّ الطرفِ عن هـذه المحـلاتِ الدخيلةِ على إسلامِنا وعقيدتِنا وعادتِنا وتقاليدِنا، علـى أصـحابِ القـرارِ أن يتحركوا في سبيلِ القضاءِ على هذه الأنديةِ، وإغلاقِها في أقربِ فرصـةٍ ممكنةٍ حفاظًا على شرفِ الأمةِ وكرامةِ المجتمعِ، وصونًا لشبابِ الجيـلِ، ولا معنى للتحايـلِ والتـهربِ وإلقـاءِ المسـؤوليةِ علـى مبـهمٍ، فالكـلُّ في خدمـةِ الصالحِ العامِ الذي يَخدمُ المجتمعَ، ويرقى بشبابِه وبناتِه .

وعلى أولياءِ الأمورِ أن يراقبوا ويحذِّروا أولادَهـم مـن هـذه الأنديـةِ، فلا تتركوا الحبلَ لهم على الغاربِ - يـا أوليـاءَ الأمـورِ - تـابعوا أبنـائكم فإنهم أمانةٌ في أعناقِكم، وهم لكم أو عليكم .

---

(١) سورة النساء الآية: ٢٩.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٨.

(٣) ذكر لي طبيبٌ أن شابًا جاءَهُ متوتراً مهمومًا، وطلبَ منهُ أن يجريَ لهُ فحصًا، هـل بـهِ الإيـدزُ؟ فتعجـب منهُ؟ وقالَ لهُ: ماذا جرى؟! ماذا بكَ؟! وبعدَ مصارحاتٍ اعترفَ لهُ بارتكابِ الفاحشةِ في شيءٍ مِـنَ النَّـوادي، إلا أنَّ فحصَ الشابَ ظهرَ سليمًا، وأنَّه لم يصب بمرضٍ، فنصحَه وحذَّرَه الطبيبُ، وخوَّفَهُ بأنَّ العودةَ لمثلِ هذه القذاراتِ تؤدي لانتقالِ الأمراضِ الخبيثةِ، وأن مَن سَلِم في الأُولى لن يسلمَ في الأخرى .

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّٰهَ العظيمَ لي ولكم، فاستغفروه .

★★★

الحمدُ للّٰهِ ربِّ الأربابِ، ومسببِ الأسبابِ، وخالقِ الخلقِ مِن ترابٍ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ أفضلِ مَن قامَ بالدعوةِ والاحتسابِ وعلى آلِهِ والتابعين بإحسانٍ، وبعدُ:

فيا إخوةَ العقيدةِ

بعد هذه اللفتاتِ السريعةِ ظهرت لديكم خطورةُ النوادي المرضية، وما تجرُّه من العواقبِ الوخيمةِ على الفردِ والمجتمعِ، فلم يبق إلا العملُ الجادُ المخلصُ المبنيُّ على أُسسٍ سليمةٍ وقواعدَ محكمةٍ حكيمةٍ مع تركِ التواني والتواكلِ والتلاومِ وإلقاءِ التبعةِ على الآخرين؛ فلو قامَ كلٌّ منا بواجبِه، وعرفَ دورَه ورسالتَه، وتعاونَ مع إخوانه في سبيلِ القضاءِ على بؤرِ الفسادِ لم يجد الباطلُ سبيلاً، ولم يلق الفسادُ سُوقًا رائجًا، ولكم في رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) أسوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرجو اللّٰهَ واليومَ الآخرَ، فقد كانَ أشدَّ الناسِ غيرةً على دينِ اللّٰهِ، وحرصًا على تبليغِ رسالةِ اللّٰهِ، وكانَ أشدَّ الناسِ غضبًا إذا انتهكت حرماتُ اللّٰهِ، فتأسوا به (ﷺ) وقمعوا الفسادَ بالقولِ والعملِ، فقد مضى زمنُ التواني والكسلِ فحققوا - رحِمَكم اللّٰهُ - الشرطَ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾ يحقق لكم الجزاءَ ﴿... يَنصُرْكُمْ﴾[1].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

(١) سورة محمد الآية: ٧.

الخطبةُ العاشرة

انحباسُ القطرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ منزلِ القطرِ بعدَ الإياسِ، ومخرجِ الناسِ مِنَ الشدةِ والبأسِ المحمودِ على السراءِ والضراءِ، المدعوِ لكشفِ نزولِ الغماءِ، المأمولِ عندَ انقطاعِ الرجاءِ، الذي خشعت له الجبالُ الراسياتُ، والصخورُ القاسياتُ، فاتفجَّرت بأمرِه عيونًا، وتصدَّعت بطاعتِه شجونًا، أحمدُه على نعمِه الغزارِ، وأشكرُه على سيبِه المدرارِ، وأستغفرُه للذنوبِ الثقالِ، وأستوهبُه مُحبطاتِ الأعمالِ، وأستشفي به من الداءِ العضالِ، وأسألُه عميمَ الفضلِ وجزيلَ النوالِ؛ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً متصلةً بالغدوِ والأصالِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه المختارُ مِن الخلائقِ ورسولُه المبعوثُ بأحمدِ المذاهبِ وطرائقِ اللسَّنِ والشقاشقِ والإلحادِ في أسماءِ الخالقِ؛ فهدَّ اللّٰهُ به مِنَ الكفرِ كلَّ شاهقٍ، واستأصلَ بسيفِه شأفةَ كلِّ فاسقٍ وأمكنَه مِن ناصيةِ كلِّ منافقٍ حتى اتسقَ الحقُّ في المغاربِ والمشارقِ، صلى اللّٰهُ عليه وعلى آلهِ ما لاحَ وميضُ بارقٍ، ونطقَ لسانٌ بنطقٍ ناطقٍ، أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ العقيدةِ

إني أحذِّرُكم الدنيا، فإنَّها حلوةٌ خضرةٌ، حُفَّت بالشهواتِ، وراقت بالقليلِ، وتحببت بالعاجلةِ، وحُليت بالآمالِ، وتزينت بالغرورِ، لا تدومُ حَبْرتُها، ولا تؤمنُ فجعتُها، لا خيرَ في شيءٍ مِن زادِها إلا التقوى، مَن أقلَّ منها استكثرَ مما يؤمِّنُه، ومَن استكثرَ منها استكثرَ مما يوبقُه، فلا تدينوا لها فبئستِ الدارُ لِمَن اتخذها من دونِ اللّٰه وثنًا، ولا حبذا عيشتُها لمَن كانت عليه وبالًا وندمًا، فاعملوا صالحًا، وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بُدَّ، فإنَّما هي

كما وصفَها اللّهُ باللعبِ واللهوِ، وقد قالَ: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[1].

أيُّها السادةُ المؤمنون

تعلمون ما حلَّ بكم من هذه الجوائحِ العظيمةِ، وأظلكم مِن الهلكةِ بهذه المصائبِ الأليمةِ، قلَّتِ الأمطارُ حتى كَشَّرَ عليكم القحطُ بنابِه، فغارتِ المياهُ، وانتشَر الجدبُ والقحطُ، وتفتشتِ الأوبئةُ في الزروعِ والثمارِ، حلَّت بشجرِ الليمون عواصفُ الثبورِ، فأردته مريضًا وقتيلًا، فهرولنا إلى وزارةِ الزراعةِ، فما صنعت لنا شيئًا حتى كادَ الليمونُ أن يختفيَ عن بكرةِ أبيه، وحلَّت بشجرةِ النخيلِ أفةُ المتقِ، فهزلَ العودُ، وقلَّ الطلعُ، فاستنجدنا بالزراعةِ للرشِ، فما أجدى رشُّها نفعًا، والمتقُ يومًا بعدَ يومٍ يُعلنُ عليكم حالةَ الاستنفارِ والتجيشِ للقضاءِ على ما بقيَ من نضارةِ نخيلِكم، والآنَ تغورُ المياهُ، والصيفُ يطلُ عليكم فتمسحتم واستغثتم بوزارةِ مواردِ المياهِ.

فيا عبادَ اللّهِ

أين عزبت أفهامُكم؟ وأين ذهبت عقولُكم وأحلامُكم؟ جفَّ اليَراعُ، وامتلأَ القِرطاسُ، ونادى الداعي لا عوجَ له لتقويمِ أمركم، فما قمتُم ولا قعدتُم إلا على ضلعٍ أعوجٍ، ما لكم تستنزلون الغيثَ مِن غيرِ مصبِّه، وتستروحون ريحَ الرحمةِ من غيرِ مهبِه! ما لكم تطلبون الخلاصَ لمن يحتاجُ إلى خلاصٍ، وترفعون أيديَ الضراعةِ لمن يحتاجُ إلى ضَراعةٍ.

أهذا مبالغُ فِطَنكم؟ أهذه هي الحلولُ التي ارتضيتموها لأنفسكم؟ أهذه هي العلاجاتُ التي أرشدتكُم إليها ظمائرُكم؟

فلا أدري ولستُ إخالَ أدري، هل أنتم في أمرٍ مريعٍ أم في شكٍ مريبٍ مِن قولِ العزيزِ الحكيمِ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

(١) سورة الشعراء الآية: ١٢٨، ١٢٩.

خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(١) ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢) رافعُ البلاءِ هو اللهُ، والمغيثُ هو اللهُ، النافعُ هو اللهُ، الضارُ هو اللهُ، لا شكَ ولا جدلَ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣) ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾(٤).

إخوةَ الإسلامِ

إنَّ لهذه الكوارثِ التي تلاحقُكم أسبابًا ما اعترفتُم بها، وأبعدتم النجعةَ عن تشخيصِها، فما أحراكم وأنتم تعانون أن تتلمسوا أسبابَها لتكونَ عونًا لكم على تشخيصِ الداءِ بمصداقيةِ، فإذا تشخَّصَ الداءُ عرفتُم الدواءَ، وإنَّ من أسبابِ منعِ القَطرِ والكوارثِ التي تَحِلُّ بساحتِكم غفلتَكم عن طاعةِ ربِكم وقسوةَ قلوبِكم بما رانَ عليها مِنَ الذنوبِ والمعاصي، وكذلك تساهلُكم في تحقيقِ الإيمانِ والتقوى، وتقصيرُكم في أداءِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٥)، فأنصفوا أنفسَكم فإنَّ اللهَ يقربُكم، ويفتحُ خزائنَه، ويرفعُ مقتَه وغضبَه بقدرِ طاعتِكم ويقصيكم ويبعدُكم بقدرِ ذنوبِكم ومعاصيكم.

ترجو مواهبَ نعمائِه ... وأنت في صفِّ أعدائِه

---

(١) سورة النمل الآية: ٦٢ .
(٢) سورة النمل الآية: ٦٤ .
(٣) سورة يونس الآية: ١٠٧ .
(٤) سورة الرعد الآية: ١١ .
(٥) سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

وإنَّ من أسبابِ منعِ القَطرِ إعراضَ كثيرٍ مِنَ الناسِ عن التوبةِ إلى ربِّهم واستغفارِهم له، وهما من أعظمِ أسبابِ نزولِ الغيثِ والمددِ في المالِ والبنينَ والجناتِ، قالَ سبحانه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[1] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[2] وقد خرجَ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ للاستسقاءِ، فلم يزد على الاستغفارِ، فقيلَ له في ذلك؟ فقال: لقد طلبتُ الغيثَ بمجاديحِ[3] السماءِ التي يُستنزلُ بها المطرُ.

معاشرَ المؤمنين

إنَّه ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبةٍ، وإنَّ ذنوبَنا ـ يا عبادَ اللهِ ـ كثيرةٌ وعظيمةٌ، أحجبت عنا الأمطارَ، واستنزلت علينا الأسقامَ والأمراضَ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[4]، فماذا كسبت أيديكم ـ يا عبادَ اللهِ ـ لتحدقَ بكم المصائبُ الكثيرةُ.

ألم نقصر في الإيمانِ والعبادةِ والإخلاصِ والتقوى؟أما تفشتِ المنكراتُ وعمَّتِ المحرماتُ وانتشرتِ الموبقاتُ؟ أما أعلنا حرباً مفتوحةً على اللهِ بالتعاملاتِ الربويةِ والمعاملاتِ المشبوهةِ؟ أما هذه الصلاةُ قد ذهبَ لبُّها وروحُها، فأصبحت حركاتٌ لا أثرَ لها في القلوبِ؟ أما هذه الزكاةُ قد

---

(١) سورة نوح من الآية: ١٠ إلى الآية ١٢ .

(٢) سورة هود الآية: ٥٢ .

(٣) مجاديح: جمعٌ مفردُها مجدحٌ: وهو كلُّ نجمٍ كانتِ العربُ تقولُ يُمْطَرُ به، فأخبرَ عمرُ – رضيَ اللهُ عنهُ – أنَّ الاستغفارَ هو المجاديحُ الحقيقيةُ التي يُستنزلُ بها القطرُ لا الأنواءُ، وإنَّما قصدَ التشبيهَ؛ وقيلَ: مجاديحُها: مفاتيحُها، وهي رواية .

(٤) سورة الشورى الآية: ٣٠ .

بَخِلَ بها كثيرٌ مِنَ الناسِ، وألهاهم التكاثرُ والتنافسُ في الأموالِ عن إخراجِ حقِّ اللهِ منها؟

أما تفشَّى القتلُ والزنا وتميَّعَ الشبابُ والشاباتُ فتخنثَ[1] الشبابُ وترجلتِ النساءُ؟ أما أصبحت الباراتُ والخمورُ مباحةً سهلةَ الوصولِ والمنالِ؟ أما حلَّت عنِ القرآنِ العظيمِ والسنةِ النبويةِ في قلوبِ الجيلِ الأغاني والطربُ والمجونُ؟ أما تفشت في بيوتِ المؤمنين سهراتُ الهبوطِ وحلقاتُ الإفلاسِ، يعكفُ الأولادُ والبناتُ إلى أنصافِ الليالي، فأصبحت أذكارُ صباحِهم ومسائِهم متابعةَ مغنيةٍ أو ممثلٍ أو تافهٍ رخيصٍ أو ساقطٍ أو ساقطةٍ؟ أما اختلطَ الرجالُ والنساءُ، فظهرَ التبرجُ والتهتكُ والمعاكساتُ والاختلاطُ، وهي مِن أكبرِ دواعي الفسادِ؟ أما غابَ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، فباضَ وفرَّخ وطارَ المنكرُ جذلانًا مسرورًا، أما أما أما ... وهلمَّ جرًّا.

حاسبوا أنفسَكم، فهذا ما كسبت أيديكم، فكانَ الجزاءُ من جنسِ العملِ حلَّ بكم ما تستحقونه بإنصافٍ بلا حيفٍ وعدلٍ بلا ظلمٍ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[2]، فإنَّ المعاصيَ تزيلُ النعمَ، فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ وأروا اللهَ من أنفسكم خيرًا، وخففوا مِن أحمالِ المعاصي، وعلموا أنَّ طلبَ الغيثِ ودفعَ الرزايا لا يكون بمجردِ القلوبِ الغارقةِ في وحلِ المعصيةِ، وإنما يتطلبُ تجديدَ العهدِ معَ اللهِ وفتحَ صفحةٍ جديدةٍ، ملؤها الطاعةِ بعيدًا عن المعاصي والمحرماتِ وإصلاحًا شاملًا في كلِّ مرافقِ الحياةِ، وإنَّه مع كلِّ هذا التقصيرِ فلا يأسَ ولا قنوطَ ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[3]، فعفوُ اللهِ واسعٌ ورحمتُه وسِعَت كلَّ شيءٍ وعفوُه عمَّ كلَّ تائبٍ

(١) تخنث: تليَّنَ وتكسَّرَ وتثنَّى .
(٢) سورة الكهف الآية: ٤٩ .
(٣) سورة الحجر الآية: ٥٦ .

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1]، فما ضاقَ أمرٌ إلا جعلَ اللّٰهُ منه مخرجًا، ولا عظمَ خطبٌ إلا جعلَ اللّٰهُ معه فرجًا، فأبشروا وأمِّلوا وسددوا وقاربوا وأكثروا من صلاةِ الاستسقاءِ كلَّ يومٍ وكلَّ حينٍ ولجُّوا في طلبِ الدعاءِ، فإن خزائنَ اللّٰهِ تدعوكم لفتحِها، باركَ اللّٰهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بهديِ المصطفى الأمينِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم، فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للّٰهِ مغيثِ المستغيثين، ومجيبِ دعوةِ المضطرين، وكاشفِ الكربِ عن المكروبين، والصلاةُ والسلامُ على إمامِ المرسلين وسيدِ ولدِ آدمَ أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّٰه

إنما يخوفُكم اللّٰهُ بالجفافِ والقحطِ وتفشي الأمراضِ والغلا، لئلا تستمروا في ذنوبِكم، وتصروا على غفلتِكم، وإن مواهبَ ربِنا لجليلةٌ، وإنَّ عطاياه لجزيلةٌ، بابُه مفتوحٌ، وعطاؤه ممنوحٌ، وفضلُه يغدو ويروحُ، اطلبوا كلَّ شيءٍ منه سبحانه، حاشاه عن بخيلٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[2] أخلصوا له العبادةَ، فهو القادرُ وحدَه على إنزالِ الغيثِ وتقديرِ الأرزاقِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[3] اللهم إن رجاءَنا واقفٌ عليك، ورجائَنا خوفًا وطمعًا فيما لديك، صاعدٌ إليك، وإقرارُنا بالتقصيرِ والتفريطِ بين يديك، نستغفرُ اللّٰهَ ونتوبُ إليه ونعوِّلُ في إجابةَ دعائِنا عليك . وصلوا وسلموا على إمام المرسلين .

---

(١) سورة طه الآية: ٨٢ .
(٢) سورة الذاريات الآية: ٥٨ .
(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٦ .

الخطبةُ الحاديةَ عشرَ

وداعُ شهرِ رمضانَ لسنةِ ١٤٢٩ هجريةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه مؤلفِ الأشياءِ بلا اقتداءٍ، ومصرفِ القضاءِ بلا اعتداءٍ، ورافعِ السماءِ بغيرِ عَمَدٍ في الهواءِ، وساطحِ الأرضِ على تيارِ الماءِ الذي زمَّ مَن خلقَ بالعدلِ والإحصاءِ، وعمَّ مَن رزقَ بالبذلِ والإعطاءِ، وعلِمَ دبيبَ النملةِ السوداءِ على صفاءِ الصخرةِ الصماءِ تحتَ جلابيبِ حَنْدِسِ الظلماءِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ عبدِه وابنِ عبدِه ومَن لا غنى له طرفةَ عينٍ عن رحمتِه. وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، الوفيُّ بعهدِه، الصادقُ في وعدِه، الموضحُ لسبيلِ قصدِه، الذي قدحَ اللّهُ به شِهابَ الإيمانِ بزندِه، وفلَّ حدَّ الشيطانِ بحدِه وأيدَه بحزبِه وجندِه، (ﷺ) وعلى آلِه مِن بعدِه ما قهقَه سحابٌ برعدِه، ودارَ فَلَكٌ بنحسِه وسعدِه، أرسلَه والكفرُ زاخرٌ تيارُه، متظاهرٌ منارُه متطايرٌ شرارُه عامرةٌ ديارُه متفقةٌ أنصارُه؛ فأخرسَ اللّهُ بمحمدٍ(ﷺ)شقاشقَها[1]، وأخنسَ به منافقَها، وبوأهَ مفالقَها، وأوطأهَ مفارقَها، وجذعَ بسلطانه معاطسَها، وقمعَ بأصحابِه أبالسَها، وكشفَ بغرتِه حنادسَها حتى أطلعَ الإسلامُ رأسَه، وأوقعَ بأعدائِه بأسَه، أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الحلالُ منازلَ الراحلين والورَّادُ مناهلَ الأولين

لقد هتفَ بكم هادمُ اللذاتِ فأسمعَ، وجادَكم عارضُ الشَّتاتِ فأقلعَ، وأثخنَ فيكم سيفُ المماتِ فأوجعَ، وسعى إليكم فيلقُ الأفاتِ فأسرعَ، وأنتم معتمون بعمائمِ الآمالِ، الساترةُ بينَكم وبينَ حواتمِ الآجالِ؛ فيا عجبًا مِن غفلةٍ

(١) شقاشقها: خطباؤُها وفصحاؤُها .

شاملةٍ ونقلةٍ عاجلةٍ، أنذرتكم الأيامُ هجومَها، وأرتكم في غيركم محتومَها، فحتَّامَ التواني والأيامُ والليالي في ذهابٍ؛ أقسوةٌ بالقلوبِ فنبهوها بزواجرِ الكتابِ أم غفلةٌ فذكروها، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] أمَا علمتُم أنَّ النفوسَ إذا ذُكِّرت تذكرت؟ فذكر نفسَك أيُّها الإنسانُ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦﴾[2] اسرح على ساحلِ التوبةِ، وعُج بقلبِك على وادي الرجاءِ، وجعل ملئه التقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾[3] ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾[4].

أيُّها الصوَّامُ

إنَّ رمضانَ قد شمَّرَ عن ساقٍ، وأذنَ بوداعٍ وانطلاقٍ، ودنا منه الرحيلُ والفراقُ، يشهدُ لمَن أحسنَ من أهلِ الطاعةِ والوفاقِ، وعلى مَن أساءَ مِن أهلِ المخالفةِ والشقاقِ؛ فيا ذوي القلوبِ والنهى! هل من أنوارِ خُلَعٍ وقَبولٍ مِن تلاوةِ القرآنِ المجيدِ وإكثارِ الذكرِ الحميدِ والدعاءِ للرحمنِ الرحيمِ، هل مِن صدقةٍ وجودٍ وسخاءٍ على الفقراءِ والمساكينِ! هل مِن عَبراتِ سواكبَ وزفراتٍ غوالبَ في ظلماتِ الغياهبِ؟ ألا وإنَّ شهرَكم العظيمَ ترفقُ، فهل من دموعٍ تدفقُ؟ ألا وإنَّه راحلٌ لا محالةَ فشيعوه وتمتعوا فيما بقيَ من أيامِه ولا تضيعوه؛ فما مِن شهرِ رمضانَ في الشهورِ عوضٌ، ولا كمفترضِه في غيرِه مفترضٌ، رمضانُ شهرُ عِماراتِ القلوبِ وكفاراتُ الذنوبِ وأمانُ كلِّ خائفٍ مرهوبٍ، شهرُ اغتصاصِ المساجدِ، نهارُه صدقةٌ وصيامٌ وليلُه قراءةٌ وقيامٌ، وكلُّ أيامِه سلامٌ، فيه هبوطُ الأملاكِ، فالتوبةَ التوبةَ والإنابةَ الإنابةَ، فلعل كثيرًا منكم لا يدركُه بعد هذا العامِ، ولا يؤخرُه المنونُ إلى التمامِ،

---

(١) سورة الرعد الآية: ١٩، وسورة الزمر الآية: ٩ .
(٢) سورة الإنفطار الآية: ٦ .
(٣) سورة الطلاق الآية: ٢ .
(٤) سورة الطلاق الآية: ٤ .

فيا رِبحَ مَن تابَ، فازَ فيه بالسعادةِ والفلاحِ، ويا خسارةَ مَن سوَّفَ فاتته هذه المغانمُ والأرباحُ، لهف نفسي ويا ليت شعري، أتفريطٌ في المتابِ وتسويفٌ إلى قادمِ الأيامِ دونَ نظرٍ إلى طوارقِ الحِمامِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[1].

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ المسلمَ حقًا مَن تكونُ تقوى اللهِ شعارَه طيلةَ عُمُرِه، وإنَّ المؤمنَ صادقُ الإيمان مَن يكونُ عملُه بالطاعاتِ واجتنابُه المعاصي والمنكراتُ منهاجًا إلى أن يتوفاه اللهُ عزَّ وجلَّ، غريبٌ يا أهلَ الإسلامِ أن يُسيءَ أبناءُ هذا الدينِ الفهمَ لشعائرِ الإسلامِ، فلا يعملون الطاعاتِ، ولا يحافظون على الصلواتِ وتلاوةِ القرآن إلا في مواسمَ معينةٍ، فإذا انتهت كانَ ذلك آخرَ عهدِهم، سُئل بعضُ السلفِ عن أناسٍ يتعبدون في رمضانَ، فإذا انسلخَ رمضانُ تركوا؟ فقالَ: بئسَ القومُ لا يعرفون اللهَ إلا في رمضانَ.

أمةَ الخيرِ والاستقامةِ

أنسيتُم أنَّ اللهَ افترضَ عليكم طاعتَه وألزمَكم عبادتَه في كلِّ وقتٍ وحينٍ قرأَ الحسنُ البصريُّ قولَه تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[2] فقالَ: إنَّ اللهَ لم يجعل لعملِ المؤمنِ أجلًا دونَ الموتِ، فإلى الذين عزموا إلى هجرِ المساجدِ ومواصلةِ المعاصي بعدَ رمضانَ أن يتقوا اللهَ تعالى، فالعُمُر قصيرٌ، والآجالُ محدودةٌ والأنفاسُ معدودةٌ، فإلى متى الاسترسالُ في الغفلةِ والإعراضِ فلتعلنوها جميعًا توبةً صادقةً لا رجعةً بعدَها إلى الذنوبِ، فهذا ـ واللهِ ـ هو الشكرُ الحقيقيُّ لنعمةِ الصيامِ.

---

(١) سورة التحريم الآية: ٨ .

(٢) سورة الحجر الآية: ٩٩ .

إخوةَ الإيمان

وإذا جئنا إلى أحوالِ الأمةِ الإسلاميةِ، ونحن في شهرِ رمضانَ الكريم، فهي تعاني من غيومِ الفتنِ وسحبِ المحنِ، سيطرةُ الأعداءِ وغزوُهم عسكريًا وفكريًا وخلقيًا لبلادِ الإسلامِ، هيمنةُ وسائلِ الغزوِ الفكريِّ والأخلاقيِّ على البيوتِ والأسرِ، الخلافاتُ والنزعاتُ والفرقةُ والمشكلاتُ المجاعاتُ الفادحةُ والفقرُ المدقعُ والبطالةُ، غيابُ التخطيطِ السليمِ والتنفيذِ الأمينِ لثرواتِ الأمةِ الإسلاميةِ. تسلطُ نفوذِ المناصبِ على نفوذِ الكلمةِ والفكرِ بحيثُ تلجمُ الأفواهُ وتُعتَّمُ الحقائقُ، ويُبعَدُ الأصلاحُ وتُضلُ شعوبِ الإسلامِ تحتَ تأثيرِ قوةِ المناصبِ بدعاوى وزعومٍ أخفى مِنَ العدمِ، الابتعادُ عنِ الثوابتِ والمقوماتِ العقديةِ والإغراقُ في الجوانبِ التنظيريةِ عن الواقعيةِ والعمليةِ، عجمةُ كثيرٍ منَ المسلمين وناشئتِهم.

كثرٌ ولكن عَديدٌ لا اعتدادَ به جمعٌ ولكن بديدُ غيرُ متسق

نطقنا بالعربيةِ والقرآن، فما نكادُ نلحنُ، ولحنا في العملِ فما نكادُ نعربُ، قنعنا بفصاحةِ اللسان مع عجمةِ الجَنان، فصلُ الدينِ عن دولِ الإسلامِ إلا في أمورٍ هزيلةٍ، ومسخُ الهويةِ الإسلاميةِ، والتقربُ الحثيثُ مِنَ الغربِ في كلِّ مصعدٍ ومنحدرٍ، فهلاَّ استفادت أمةُ الإسلامِ مِن شهرِ رمضانَ الدروسَ والعبرَ لتحسينِ واقعِها والارتقاءِ بشعوبِها، وهلاَّ استيقظَ الموتورون من أبناءِ الأمةِ الإسلاميةِ الذين يرضعون من ثقافةِ الغربِ الماديةِ ليفرضوها على أهلِ الإسلامِ؛ على أمةِ الإسلامِ أن تفقَه بأنَّه لا حلَّ لمشكلاتِها ولا صلاحَ لأحوالِها إلا بالتمسكِ بإسلامِها والتزامِها بإيمانِها وعقيدتِها ومحاسبةِ هؤلاءِ الموتورين؛ فواللهِ ما قامتِ الدنيا إلا بقيامِ الدينِ ولا نالَ المسلمون العزةَ والكرامةَ إلا لَمَّا خضعوا لربِ العالمين! وهيهاتَ هيهاتَ أن يحلَ أو يستمرَ أمنٌ ورخاءٌ أو سلامٌ دونَ اتباعِ نهجِ الأنبياءِ والمرسلين. أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للّٰه موالي النعمِ ومبيدِ النقمِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه إلى العربِ والعجمِ، صلى اللّٰهُ وسلمَ وبارك عليه، وعلى آلِه وصحبِه أولي العزائمِ والهممِ؛ أمَّا بعدُ:

فاتقوا اللّٰهَ ـ عبادَ اللّٰه ـ اشكروه على نعمِه التي لا تُحصى، وعلى آلائِه التي أرسلَها إليكم تترى، فقد والا عليكم جلَّ وعلا النعمَ والفضائلَ، وتابعَ عليكم مواسمَ الخيرِ لرفعةِ درجاتِكم وزيادةِ حسناتِكم، وتكفيرِ سيئاتِكم، وأمركم بما يزيدُ ثوبَكم.

ومَن ذلك: أمركم بزكاةِ أبدانكم، طيبةً بها أنفسُكم، تبقى مع الباقياتِ الصالحاتِ لكم، وتكونُ نماءً في الصالحِ من أعمالِكم، وهي إن تسألوا عنها صاعٌ مِن تمرٍ أو زبيبٍ أو بُرٍّ أو ذرةٍ أو لبنٍ أو أرزٍ تكونُ مِنَ القوتِ الغالبِ في بلادِكم يخرجُها الغنيُّ عن نفسه، وعمَّن يعولُ قبلَ صلاةِ العيدِ، تُعطى الفقيرَ، وليسَ كما يفعلُ بعضُ الناسِ من المبادلةِ بينَه وبين أرحامِه وجواره فإنَّ قبولَ الصومِ ورفعَه معلقٌ بصحةِ إخراجِها، فبادروا واسألوا عمَّا خَفى عليكم من فقهِها.

كما ندبَكم في شهرِ شوالَ مِن صيامِ ستةِ أيامٍ منه، ورتَّبَ على ذلك الأجرَ العظيمَ، فعنِ الصادقِ الأمينِ (ﷺ): " مَن صامَ رمضانَ ثم أتبعَه ستًّا مِن شوالَ كانَ كصيامِ الدهرِ"، وقد يسَّرَ الإسلامُ في ذلك، فلم يُلزمْ بتتابعِها في الشهرِ، فالكيسُ مَن شمَّرَ في عبادةِ اللّٰه قبلَ أن يتوفاه اللّٰهُ وتذكَّرَ سرعةَ تصرمِ العُمُرِ، والعاجزُ مَن فتحَ على نفسِه بابَ التسويفِ فيندمُ حيث لا ينفعُه الندمُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المختارِ، كما أمركم بذلك العزيزُ الغفارُ.

(١) سورة الأنفال الآيات: ٢٠- ٢١.

الخطبةُ الثانيةَ عشرَ

مشكلاتُ الزواجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ المعروفِ بدليلِه، الصادقِ في قيلِه، المشكورِ على كثيرِ فضلِه وقليلِه، الذي تسبحُه الأصواتُ إذا عجَّت، والسحبُ إذا ثجَّت، والمياهُ إذا سكنت أو ارتجَّت، والقلوبُ إذا صبرت على البلايا أو ضجَّت، رافعُ السماءِ وبانيها، وساطحُ الأرضِ وداحيها، وناصبُ الأطوادِ في نواحيها، والعالمُ بما يحدثُ في أقاصيها ودانيها، يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها، وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يعرجُ فيها، أحمدُه على فضلِه الشاملِ، وأشكرُه على إحسانه الكاملِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً ظهرَ نورُها ولاحَ، وطارَ عبيرُها وفاحَ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه والحقُ داثرٌ، وقدمُ الصوابِ عاثرٌ، فقمعَ الباطلَ بالحقِ الظاهرِ، ونسخَ ظلماتِ الجهالةِ بالعلمِ الزاهرِ (ﷺ) وعلى آلِه نجومِ الهدى ومصابيحِ الدجى، صلاةً وسلامًا مستمرين بلا انعدامٍ، دائمين دوامَ الليلِ والنهارِ، مترددين ترددَ الشمسِ بينَ طلوعٍ وغروبٍ تُزيلُ عن قائلِها الهمومَ والغمومَ والكروبَ؛ ثم أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ما الموتُ بساهٍ عنكم ولا ناسٍ، فتأهبوا لحلولِه، واستعدوا له قبلَ نزولِه، وحصِّلوا الراحلةَ والزادَ، وردوا العاصيَ إلى الطريقِ فقد زادَ، ولا تعدلوا عن محجةِ الحجا، واتقوا دعوةَ المظلومِ في ظُلَمِ الدُّجى، وأفرغوا ذنوبَ الذنوبِ، وافزعوا إلى علّامِ الغيوبِ، وامنعوا مِنَ الأملِ ما كان جموحًا، وتوبوا إلى اللّٰهِ توبةً نصوحًا، وإياكم والدنيا فإنَّها تمكرُ

بصاحبِها، وتهدي إلى أقاربِها سُمَّ عقاربِها، عامرُها خرابٌ وغامرُها سرابٌ، أمدُها قصيرٌ، وإلى الفناءِ تصيرُ صفوُها كدرٌ، وجرحُها هدرٌ، والخاطرُ بها على خطرٍ، لأنها لا تبقي ولا تذرُ، بحرُها العميقُ كم له من غريقٍ فاركبوا فيه من التقى فُلْكًا منيعةً، واجعلوا شراعَها التمسكَ بعُرى الشريعةِ لعلكم تبلغون الساحلَ، ويقدمُ بشيرُ بشراكم الراحلُ، وهي قنطرةٌ، فاعبروها ولا تعمروها، ولتكن بضاعتُكم منها إلى الآخرةِ التقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[2].

أيُّها السادةُ المؤمنون

تكثرُ في شهري يوليو وأغسطس (٧ و ٨) حفلاتُ الزواجِ والأعراسِ، وقبلَ أن أشرعَ في الحديثِ - أيُّها الأحبةُ - فكأني بأميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ (رضي الله عنه) واضعُ التقويمِ الهجريِّ، يقدمُ احتجاجًا، ويطلبُ منا تعديلَ العبارةِ بما هو خيرٌ لأنَّ الدولةَ الإسلاميةَ سارت على التقويمِ الهجريِّ في مختلفِ عهودِها مؤكدةً أهميةَ هذا التأريخِ الهجريِّ في الحفاظِ على هويةِ الأمةِ الإسلاميةِ وذاتيتِها في تحقيقِ التواصلِ الدائمِ مع عباداتِها وقيمِها وأحداثِها التأريخيةِ منذ حدثتِ الهجرةُ وحتى يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، فمعذرةً يا أميرَ المؤمنين، تكثر في شهري رجبَ وشعبانَ مِن هذا العامِ حفلاتُ الأعراسِ والزواجِ، وهذا أمرٌ حميدٌ في حدِّ ذاتِه لما يترتبُ عليه من مصالحِ الدينِ والدنيا، ولما له مِن الحِكَمِ الساميةِ والمنافعِ المتعددةِ والمعاني الكريمةِ؛ فهو ضرورةٌ اجتماعيةٌ لبناءِ الحياةِ وتكوينِ الأسرِ وتأسيسِ الفضيلةِ، وغضِّ البصرِ وتحصينِ الفروجِ وكثرةِ النَّسلِ، فيه

(١) سورة الحشر الآية: ١٨ .
(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

الراحةُ النفسيةُ والطمأنينةُ القلبيةُ والتقلبُ بين أعطافِ النعيمِ والتعاونُ على أعباءِ الحياةِ الاجتماعيةِ؛ ويكفيه أنَّه آيةٌ مِن آياتِ اللهِ الدالةِ على حكمتِه والداعيةِ إلى التفكيرِ في عظيمِ خلقِه وبديعِ صُنعِه، قالَ جلَّ وعلا ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

إخوةَ العقيدةِ

لقد عادَ أمرُ الزواجِ من قضيةٍ شرعيةٍ وضرورةٍ بشريةٍ وعبادةٍ عظيمةٍ إلى كارثةٍ اجتماعيةٍ ومشكلةٍ محيرةٍ؛ لا مِن حيثُ هو وإنَّما من حيث ما أحدثَه الناسُ فيه مما لا يمتُ إليه بصلةٍ ولا يربتطُ به شرعًا ولا عقلًا، ولكنَّه أصبحَ ـ من فعلِ الناسِ له ـ أمرًا حتميًا لا يتمُّ الزواجُ بدونه، وكأنَّه هو المقصودُ نتيجةَ الانسياقِ وراءَ الأعرافِ الباليةِ والعاداتِ الجاهليةِ والانقيادِ الأعمى خلفَ شعاراتٍ زائفةٍ والبحثِ عن المباهاةِ على حسابِ الشرعِ الحنيفِ والعقلِ السليمِ والفطرةِ السويةِ.

إخوةَ الإيمان

إنَّ هناك عاداتٍ وتقاليدَ خاطئةً تسربت، ولا تزالُ تحكمُ سيطرتَها المطبقةَ على المجتمعِ، فتجعلُه أسيرًا في قبضتِها الحديديةِ، ونحن إذ نطلقُ عليها عاداتٍ وتقاليدَ خاطئةً، فذلك على سبيلِ التجوزِ والتساهلِ وإلا فإنَّ هذه العاداتِ والتقاليدَ المحدثةَ أقلُّ ما يُقال عنها عاداتٌ وتقاليدُ منحرفةٌ وضالةٌ، وهي لا تستحقُ الوقوفَ عندها أو إعارتَها أيَّةَ أهميةٍ، كما إنَّ المنابرَ لديها ما يشغلُها وليست فارغةً دائمًا لتقومَ بضبطِ ما يتمُّ تهريبُه وتسريبُه من كمياتِ العاداتِ والتقاليدِ والأعرافِ الباليةِ، التي جاءَ أكثرُها من وراءِ البحارِ والجبالِ وبعضُها عاداتٌ وتقاليدُ محليةٌ حديثةُ العهدِ، فمِن مشاكلِ الزواجِ وما يلحقُها:

---

(١) سورة الروم الآية: ٢١ .

أولًا: مشكلةُ غلاءِ المهورِ والمبالغةِ في الصَّداقِ حتى صارَ الزواجُ عندَ بعضِ الناسِ من الأمورِ الشاقةِ أو المستحيلةِ، وبلغَ المهرُ في بعضِ البِقاعِ حدًا خياليًا لا يُطاقُ، ويؤسفُ كلَّ مسلمٍ أن يصلَ الجشعُ ببعضِ الأولياءِ أن يطلبَ مهرًا يزيدُ عن عشرةِ آلافٍ أو عشرين ألفًا؛ وقد أنكرَ(ﷺ) على المغالين في المهور، فقد جاءَ رجلٌ، فقالَ يا رسولَ اللهِ: إني تزوجتُ امرأةً على أربعِ أواقٍ من الفضةِ ـ يعني مئة وستين درهمًا ـ ومئة وستون درهمًا فضةً في زماننا لا تجاوزُ مبلغَ مائةِ ريالٍ ـ فقالَ النبيُّ (ﷺ)على أربعِ أواقٍ؟ " كأنَّما تنحتون الفضةَ من عُرضِ هذا الجبلِ ما عندنا ما نعطيك " وقالَ لرجل: " التمس ولو خاتمًا مِن حديدٍ "، فلمَّا لم يجد، قالَ له النبيُّ(ﷺ): زوجتكها بما معك من القرآن "، وقال (ﷺ): " أقلُّهن مهرًا أكثرُهن بركةً "، وتزوجَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ (رضي الله عنه): على وزنِ نواةٍ من ذهبٍ، وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ (رضي الله عنه): " لا تغالوا صداقَ النساءِ".

وإن كانَ لا بُدَّ، فهناك مبلغٌ تمَّ تحديدُه وهو ألفا ريالٍ، وهذا مبلغٌ وسطٌ، لا إفراطَ ولا تفريطَ فيه، ولكن ينقصُ العملُ به، ولقائلٍ أن يحتجَّ بأنَّ الزمانَ اختلف، وقد فرضَ هذه المطالبَ الغلاءُ، والجواب: بأنَّ الزمانَ هو الزمانُ، ولكن اختلفَ أهلُ الزمان بما أحدثوه من بدعٍ وتعسيرٍ على بعضِهم أرادَ لهم دينُهم التيسير فأبوا إلا التعسير.

ثانيًا: وهي مشكلةُ المشكلاتِ في موضوعِ الزواجِ ما أُحيط به من تكاليفَ باهضةٍ، ونفقاتٍ عظيمةٍ، وعاداتٍ اجتماعيةٍ فرضَها الناسُ على أنفسهم تقليدًا وتبعيةً مفاخرةً ومباهاةً كحُليٍّ وأثاثٍ خياليٍّ وإسرافًا وتبذيرًا واستئجارًا لأفخمِ الفنادقِ وأجملِ القاعاتِ؛ وحدِّث ـ ولا حرج ـ عمَّا يُخفى ولا يُشاهدُ، أصبحت أكثرُ فتياتِ زماننا لا تفقهُ من موضوعِ الزواجِ المودةَ والرحمةَ وتأسيسَ الأسرةِ وبناءَ المجتمعِ؛ فهي من اللقاءِ الأولِ بزوجِها تسبِّحُ بحمدِ بعضِ السفاسفِ والتفاهاتِ، ولا تحفظُ من الكلماتِ

إلا حفلَ خطوبةٍ، ونوعَ الفستان، وقاعةَ شهرِ عسلٍ، وأنها ستتزينُ ليلةَ نقلتِها في العاصمةِ مِن محلِ كذا وكذا، وبعضُ الأزواجِ يركعون ويسجدون لكل مطالبِهن الساذجةِ، ويفرضون على أنفسهم الديونَ والقروضَ من أجلِ رغباتٍ طائشةٍ، فلماذا كلُّ هذا يا أمةَ القرآنِ؟ كيف يعرِّضُ المسلمُ نفسَه لسخطِ اللهِ فيكونُ من زمرةِ الشياطينِ لإسرافِه وتضييعِه للأموالِ، وقد قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1].

أيُّها المسلمون

إنَّ مما يندى له الجبينُ أن تصرفَ أموالٌ طائلةٌ كفيلةٌ أن تَسُدَ كفايةَ قُرى عديدةٍ من جراءِ هذه السفاسفِ؛ أغرَّكم وجودُ المالِ بين أيديكم يا أغنياءُ؟ ألا تعتبرون بأحوالِ إخوانٍ لكم في العقيدةِ ممن لا يجدون ما يسدون رمقَهم، ولا ما يروي ظمأَهم، ولا يواري عورتَهم، ويا مستورَ الحالِ كن مع دينك فإنَّ الحقَّ يقولُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[2].

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ وتناصحوا فيما بينكم، وتعقلوا كلَّ التعقلِ فيما يخصُّ الزواجَ والأعراسَ، وأعيدوا النظرَ في هذه المحدثاتِ، ولا تتركوا الأمرَ بأيدي غيركم مِنَ السفهاءِ والقاصراتِ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي حكمَ فقدَّرَ وشرعَ فيسَّرَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له فالقُ الإصباحِ، وأشهدُ أنَّ نبينَا وقدوتَنا محمدًا عبدُه

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٧.
(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٩.

ورسولُه (ﷺ) وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه، ومَن تبعَهم بإحسانٍ ما تعاقبَ المساءُ والصباحُ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أحبابَ رسولِ الله (ﷺ)

وإنَّ مما أحدثَه الناسُ في حفلاتِ الزواجِ أمورًا منكرةً في الشرعِ فعلاوةً على الإسرافِ والتبذيرِ وغلاءِ المهورِ والتفاخرِ والمباهاةِ؛ فهناك أمورٌ أخرى توسَّعَ بعضُ الناسِ فيها نتيجةَ ضعفِ الإيمانِ وخواءِ العقيدةِ وقلةِ العلمِ والإغراقِ في المادةِ، فمن ذلك أن بعضَ الناسِ يجعلُ مِن حفلاتِ الزواجِ موسمًا للاختلاطِ بينَ الرجالِ والنساءِ وظهورِ الزوجِ مع زوجتِه أمامَ الحاضرين، وهم بكاملِ الزينةِ، ويلتقطُ عليهما صورًا زيدٌ وعمروٌ، وقد تأتي خبيرةُ تصويرٍ مقابلَ أُجرةٍ لتكونَ الصورُ بعيدةً عن الهزاتِ والترددات وعدمِ الوضوحِ؛ وقد تنشرُ هذه الصورُ عبرَ وسائلِ الاتصالِ الحديثِ، ويتداولُها المرضى لأغراضٍ مشبوهةٍ، كما حدثَ ويحدثُ، وكلُّ هذه الصنائعِ من صورِ المسخِ الاجتماعيِّ الذي غزى كثيرًا من بيوتاتِ المسلمين الذين لا يفرقون بين سورةِ البقرةِ وعبَّادِ البقرةِ، وبعضُهم يجعلُه موسمَ سمرٍ وسهرٍ على اللهوِ واللعبِ المحرمِ إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليلِ، وأخرون يضيعون الحياءَ مِنَ اللهِ ومِن عبادِ اللهِ فيجعلون الزواجَ فرصةً للعلاقاتِ المشبوهةِ واللقاءاتِ المحرمةِ وبعضُهم يؤذي جيرانَه وإخوانَه المسلمين بأصواتِ السياراتِ، والأغاني الماجنةِ التي سمَّاها الحقُّ تباركَ وتعالى لهوَ الحديثِ، وسمَّاها الحبيبُ (ﷺ) رُقيةَ الشيطانِ.

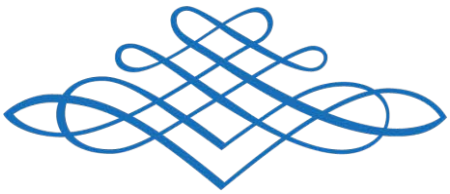
وتأتي أكثرُ النساءِ متبرجةً تلبسُ ألبسةً شفَّافةً وصَّافةً متنمصةً مستوصلةً مستوشمةً متفلجةً للحسنِ، وإن نصحت كانت الفتوى والستارُ الكثيفُ فرحُ يومٍ . مرةٌ في العُمُرِ . روِّح قلبَك ساعةً بساعةٍ . وهذا كلامٌ مرفوضٌ جملةً وتفصيلًا - أيُّها الإخوةُ المؤمنون - فالإسلامُ لا يقبلَ التجزئةَ والمحاصصةَ بحيث أجمعُ الطيبَ والخبيثَ في آناءٍ واحدٍ فأكونَ شخصيةً مزدوجةً، تارةً معَ القرآنِ وأُخرى معَ الغناءِ، مرةً مع الرسولِ، وثانيةً مع فرعونَ وقارونَ، على أنَّ الإسلامَ لا يمنعُ الفرحَ في الأعراسِ

وإشهارَها بضربِ الدفِ وتزيّنِ النساءِ والرجالِ والأطفالِ والتصدقِ والوليمةِ إن كانَ كلٌ ذلك تحتَ الضوابطِ الشرعيةِ.

أيُّها الإخوةُ

لا يفوتُني في هذا المقامِ أن أشيدَ ببعضِ إخواننا الذين ضربوا أمثلةً رائعةً يشكرون عليها في الإقتصادِ والترشيدِ في أمورِ زواجِهم والتزامِهم بالآدابِ الإسلاميةِ، وتسترِ زوجاتِهم فلم ينساقوا كما تنساقُ العيسُ إلى حاديها.

هذا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.



الخطبةُ الثالثةَ عشرَ

ثاني اثنينِ إذ هما في الغارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي لم يزل عليًا، ولم يزل في عُلاه سنيًا، إذا عاملته وجدتَه مليًا، وإن عاهدتَه وجدتَه وفيًا، قطرةٌ من بحرِ جودِه تملأُ الأرضَ ريًا، ونظرةٌ بعينِ رحمتِه تصيِّرُ الكافرَ وليًا، الجنةُ لمن أطاعه ولو عبدًا حبشيًا، والنارُ لمن عَصاه ولو شريفًا قريشًا، قالَ اللهُ تعالى في كتابِه قولا بهيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

أحمدُه سبحانَه وتعالى حمدًا زكيًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تجعلُ لنا بها في الجنةِ قصرًا عليًا، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، ياله من نبيٍّ لو رأيتَه لرأيتَ وجهًا قمريًا، وجبينًا أزهريًا، اللهم فصلِ وسلم وبارك عليه وعلى مؤنسه في الغارِ وعلى سائرِ الأصحابِ صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين بكرةً وعشيًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إلى كم تسمعون المواعظَ وأفكارُكم عنها لاهيةٌ، وإلى كم تُذكَّرون وقلوبُكم قاسيةٌ، وإلى كم بالزواجرِ ترشدون وأبصارُكم عنها متعاميةٌ، وإلى كم تزهدُكم في الدنيا ونفوسُكم على حبِّها متواليةٌ، وإلى كم تُرغبُكم في الآخرةِ وخواطرُكم عنها معرضةٌ عاديةٌ، فَنِيَ العُمُرُ والأعمالُ قليلةٌ، وتراكمتِ الذنوبُ والأوزارُ والآمالُ طويلةٌ، ووعظُكم الليلُ والنهارُ والحالُ

(١) سورة الليل من الآيات: ١٩ - ٢١ .

ما حالَ فلا حيلةَ، وقد نَسيتُم القبرَ والحسابَ، فيا ضيعةَ مَن ذهبَ عُمُرُه وما أفادَ، ويا خيبةَ مَنِ استقبلَ السفرَ الطويلَ بلا زادٍ، ويا حسرةَ مَن جعلَ دأبَه فعلَ الفسادِ، ولم يعمل لنجاةِ نفسه مِنَ العذابِ، فيوشكُ ـ واللّه ـ أن يثقلَ الظهرُ بالأوزارِ، وتزلَ بكُم القدمُ فتقذفكم في النارِ، فالفائزُ مَن أطاعَ الملكَ الجبارَ، وخلَّصَ نفسَه مِن أليمِ العقابِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[1].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

إنَّ أمرَ آخرِ هذه الأمةِ لا يَصلحُ إلا بما صَلَحَ به أولُها، ولا يشكُ عاقلٌ يؤمنُ باللّه ورسولِه أنَّ أصحابَ النبيِّ(ﷺ) هم خيرُ الخلقِ بعدَ رسولِ اللّه (ﷺ) وأنَّ صحابتَه أفضلُ قرنٍ وأمةٍ أُخرجت على وجهِ الأرضِ، وأنَّ معرفةَ سيرِهم لتضيءُ الطريقَ أمامَ المؤمنِ الذي يريدُ أن يعيشَ أسوةَ محمدٍ(ﷺ) ومِن هنا كانَ لزامًا علينا معرفةُ سِيرِهم وأخبارِهم لماذا؟ لأنَّهم نَقلةُ الإسلامِ إلينا نقلًا صحيحًا، ولأنَّ المحافظةَ على الإسلامِ تستوجبُ المحافظةَ على سِيرِهم لئلا يجدَ أعداءُ الإسلامِ سبيلًا للطعنِ في الإسلامِ عن طريقِ الطعنِ في نقلتِه، ولما كانَ الأمرُ كذلك دعتِ الحاجةُ لتبيينِ فضائلِهم ليكونَ ذلك ردعًا للموتورين الذين كفَّروا الصحابةَ، وأسقطوا عدالتَهم كي يهدموا الإسلامَ من قواعدِه، وأنَّى لهم ذلك .

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنَها ... فلم يهنها وأوهى قرنَه الوعلُ

فإلى صُورٍ مِن حياةِ رجلٍ مِن أولئك الأخيارِ، رجلٍ عظيمِ القدرِ رفيعِ المنزلةِ عبدَ اللّه متأسيًا برسولِ اللّه (ﷺ) وجاهدَ في اللّه، وأنفقَ كلَّ مالِه في سبيلِ اللّه، نصرَ الرسولَ(ﷺ) يومَ خذلَه الناسُ، وآمنَ به يومَ كفرَ به

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١ .

الناسُ وصدَّقَه يومَ كذَّبَه الناسُ، جَهلَ فعلَه الكثيرُ مِن أبناءِ المسلمين، بَخسوه حقَه وهضموه منزلتَه، ولم يقدروه قدرَه؛ بعضُ أجيالِنا يعرفُ عن مغنىً أو مغنِّيةٍ أو ممثلةٍ أو تافهٍ رخيصٍ أو ساقطٍ أو ساقطةٍ، ولا يعرفون شيئًا عن هذا العَلَمِ[1]، تجاهلُه لا أقولُ حتى العامةُ بل تجاهلَه الخطباءُ والوعاظُ والكُتَّابُ، وأُهمِلَ في المناهجِ الدراسيةِ، ربَّما لأنَّه عظيمٌ بجوارِ مَن هو أعظمُ، وكريمٌ بجوارِ مَن هو أكرمُ، إنَّه أفضلُ الصحابةِ، ما طلعتِ الشمسُ ولا غربت بعد النبين والمرسلين على خيرٍ منه، إنَّه أوَّلُ مَن آمنَ مِنَ الرجالِ على الصحيحِ، إنَّه مَن وُزِنَ إيمانُه بإيمان الأمةِ فرجحَ إيمانُه، إنَّه الورعُ الحييُّ الحازمُ الرحيمُ التاجرُ الكريمُ؛ صاحبُ الفطرةِ السليمةِ مِن أدران الضلالِ وثانيَ اثنين إذ هما في الغارِ، لم يؤثر عنه أنَّه شَرِبَ خمرًا قطّ، ولم يُؤثر عنه أنَّه سجدَ لصنمٍ قطُّ، ولم يتعامل بربًا قطُّ، ولم يؤثر عنه كذبٌ قطُّ، كانَ شبيهًا برسولِ اللّه (ﷺ)، وأنعم به مِن شبهٍ رجلٌ لا كالرجالِ، وسيرةٌ لا كالسيرِ، إنَّه عبدُ اللّه بنُ عثمانَ أبو بكر الصديقِ ـ رضيَ اللّهُ عنه وأرضاه ولعنَ اللّهُ مَن أبغضَه وعاداه ـ إنَّه من دُعِيَ إلى الإسلامِ، فما كبى ولا نبى ولا ترددَ، وإنَّما بادرَ إلى الإسلامِ وما تلبث .

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

فحسبي وحسبُكم أن نقفَ على صورٍ من حياةِ هذا العَلَمِ في وقتٍ نحن أحوجُ ما نكونُ إلى سيرةِ هؤلاءِ؛ كلُّ هذا لنعلمَ أننا في بُعدٍ عن منهجِ أبي بكرٍ، وكلُّ ذلك بما كسبت أيدينا، ويعفو اللّهُ عن كثيرٍ، لنعلمَ أنَّه يومَ توارى هذا الرجلُ العظيمُ ظهرَ الفسادُ، وتطاولَ الأقزامُ ونطقَ الرويبضةُ[2] .

وجديرٌ إذا الليوثُ تولت ... أن يلي ساحَها جموعُ الثعالب

---

(١) ولذلك شواهد، منها: أنَّ شاباً جاءَ إلى الأوقافِ في معاملةِ مسجدٍ، فقيلَ له: ما بالُكم غيَّرتُم اسمَ المسجدِ مِن أبي بكرٍ إلى شيخِ القبيلةِ، فقالَ: تعبْنا مِن هذا الاسمِ، الناسُ لا تعرفُ أبا بكرٍ، وإنَّما تعرفُ شيخَ القبيلةِ . وقيلَ لآخرَ: ليتَ الناشئةَ يَدْرسون تأريخَ أبي بكرٍ والفاروقِ؛ فقالَ: لكنْ هذا تأريخٌ قديمٌ لا ينتفعونَ منهُ الآنَ تاريخٌ جديدٌ .

(٢) الرُّويبضة: الرجلُ التافهُ يتكلمُ في أمرِ العامةِ .

الصورةُ الأولى: لما اجتمعَ النبيُّ (ﷺ) في دارِ الأرقمِ ألحَّ أبو بكرٍ (رضي الله عنه) في الظهورِ وعدمِ الاختفاءِ، فقالَ النبيُّ (ﷺ): يا أبا بكرٍ، إنَّا قليلٌ فلم يزل أبو بكرٍ مُلحًا على رسولِ اللهِ (ﷺ) لإظهارِ الإسلامِ حتى وافقَه على ذلك؛ فقامَ أبو بكرٍ خطيبًا في الناسِ، ودعا إلى رسولِ اللهِ(ﷺ)، فهو أوَّلُ خطيبٍ دعا إلى اللهِ تعالى، فثارَعليه المشركون فضربوه ضربًا شديدًا، ووُطِئَ أبو بكرٍ بالأرجلِ، ثم قام عُتبةُ بنُ ربيعةَ - أخزاه اللهُ - فضربَ أبا بكرٍ بنعلين مخصوفتين[1] على وجهِه، ثم ينزو[2] على بطنِه ويسيلُ دمُه حتى ما يُعرفُ أنفُه من وجهِه ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فجاءت بنو تيمٍ قومُ أبي بكرٍ، وهم لا يشكون في موتِه لكثرةِ الضربِ الذي لحِقَه، فقالوا: لئن ماتَ أبو بكرٍ لنقتلنَّ عتبةَ ثئرًا لأبي بكرٍ.

أمَّا أبو بكرٍ فمغمى عليه لا يَتكلمُ بكلمةٍ إلى أن فاقَ آخرَ النهارِ، أتدرون - يا عبادَ اللهِ - بم تكلَّمَ؟ قالَ: ما فعلَ رسولُ اللهِ؟ فما أكلَ ولا شربَ حتى عَلِمَ أنَّ رسولَ اللهِ بخيرٍ في دارِ الأرقمِ، فخرجَ إليه يتكئُ، فلما رأه رسولُ اللهِ (ﷺ) قبَّلَه ورَقَّ له رسولُ اللهِ(ﷺ) رِقةً شديدةً

أيُّها المسلمون

إنَّ أبا بكرٍ لم يَفضُل الناسَ بكثرةِ صلاةٍ ولا صيامٍ، وإنَّما فضلَهم بشيءٍ وقرَ في قلبِه إنَّه الإيمانُ، خرجَ أبو بكرٍ وعُمُرُه في الإسلامِ لا يتجاوزُ بضعةَ أيامٍ، وبعدَ أيامٍ يعودُ وقد أسلمَ على يديه ستةٌ مِن كبارِ الصحابةِ، يعودُ، وقد أسلمَ على يديه عثمانُ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ وعبدُ الرحمنِ وأبو عبيدةَ؛ أرأيتم عطاءً للإسلامِ كهذا العطاءِ، قد يعيشُ الواحدُ منا ستين عامًا أو سبعين عامًا لكنَّها ـ واللهِ ـ لا تعدلُ في ميزانِ الحقِ ساعةً من ساعاتِ أبي بكرٍ قد لا يكونُ الصديقُ قد حفظَ بضعَ سورٍ مِنَ القرآنِ في ذلك الوقتِ، وبعضُنا يحفظُ القرآنَ، ويحفظُ مِنَ السنةِ الكثيرَ، ويستمعُ

---

(١) مخصوفتين: مخرزتين بجلدٍ أو غيرِه .
(٢) ينزو: يثبُ .

المحاضراتِ، وينقضي عُمُرُه وما هدى اللّهُ على يديه رجلًا واحدًا، ما السببُ؟ إنَّه نقصُ الإيمان ونقصُ الصدقِ معَ اللّهِ تعالى.

أيُّها المؤمنون

ويتلفَّتُ أبوبكرٍ، وقد استغرقَ الإسلامُ عليه وقتَه، فوجودُه للإسلامِ، ورسالتُه الإسلامُ، تلفَّت وإذا ميدانٌ جديدٌ فُتحَ وإذا بالمستضعفين مِنَ المؤمنين قد صبَّ عليهم طغاةُ الكفرِ وصناديدُ الشركِ وسَدنةُ[1] الوثنيةِ سوءَ العذابِ حبسوهم جوعوهم عطشوهم عذبوهم ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[2] أمضَّهم العذابُ، وأعيتهم المعاناةُ، وألَهم العذابُ، أصابَ زنيرةَ العمى مِن أليمِ العذابِ، وتطعنُ سميةُ في فرْجِها، وتُوضعُ الصخورُ العظيمةُ على بلالٍ، ولما رأى أبو بكرٍ هذه المناظرَ المرعبةَ والابتلاءاتَ جمعَ أموالَه وصفَّى تجارتَه، وكانَ من أكثرِ قريشٍ تجارةً، فأنفقَ أربعين ألفَ دينارٍ لتخليصِ هؤلاءِ الأرقَّى، يسمعُ أبو بكرٍ بلالًا يئنُ تحتَ وطأةِ التعذيبِ، وهو يقولُ: أحدٌ أحدٌ، ويذهبُ أبو بكرٍ إلى أميةَ بنِ خلفٍ، ويقولُ: أتبيعُ بلالًا؟ فقالَ أميةُ: نعم . أبيعُه لا خيرَ فيه فباعَه لأبي بكرٍ بخمسةِ أواقٍ مِن ذهبٍ، يقولُ أميةُ: يا أبا بكرٍ لو أردتَ بلالًا بأوقيةٍ واحدةٍ لبعتُه لك، فيقولُ أبو بكرٍ: ولو أردتَ مائةَ أوقيةٍ لأعطيتُكها إعلانًا من أبي بكرٍ أنَّ له موازينَ ومعايرَ تختلفُ عن مقاييسِ أميةَ وحزبِه، وأعتقَ أبو بكرٍ بلالًا وعامرًا وأمَ عُميرٍ وزنيرةَ والنهديةَ وابنتَها؛ ويأتي المنافقون ويبثون الشاعاتِ بأنَّ أبا بكرٍ أعتقَ بلالًا لمعروفٍ كانَ لبلالٍ عندَه وتتنزلُ الآياتُ من فوقِ سبعِ سمواتٍ لتردَّ على هؤلاءِ ومَن على شاكلتِهم إلى قيامِ الساعةِ، يقولُ اللّهُ جلَّ وعلا: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن

---

(١) سَدَنَة: حرَّاس وأساس .

(٢) سورة البروج الآية: ٨ .

﴿نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾[1] أيُّ زخرفٍ يساوي ولسوفَ يرضى، أيُّ دنيا تساوي ولسوفَ يَرضى، أيُّ متاعٍ يساوي ولسوف يرضى؟ لا الدنيا ومتاعُها وزُخرفُها ولذائذُها وزينتُها؛ بل بحذافيرها لا تساوي ولسوفَ يَرضى، مَن الذي وعدَه بالرضاءِ، إنَّه أكرمُ الأكرمين وأرحمُ الراحمين وديَّانُ يومِ الدينِ، ولسوفَ يَرضى في يومٍ يَقِلُّ فيه مَن يَرضى، ويُسرى بالنبيِّ (ﷺ) ويُكذَّبُ المصطفى، فيقولُ أبو بكرٍ: " إنْ كانَ قالَ فقد صدقَ "، ويومَ الهجرةِ صورٌ أيَّ صورٍ، اشتركَ أبو بكرٍ وجميعُ أفرادِ أسرتِه في هذا الحدثِ العظيمِ، فكانَ أبو بكرٍ صاحبًا للحبيبِ (ﷺ) بنصِ قولِ الحقِ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2].

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّٰهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَه، وبعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

وفي صبيحةِ يومِ الإثنين مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ في السنةِ الحاديةَ عشرةَ فاضت أطهرُ روحٍ في الدنيا من أشرفِ جسدٍ شاعَ خبرُ الفاجعةِ، وأظلمت سماءُ المدينةِ، وضجَّت بالبكاءِ، وأغلقتِ القلوبُ بحزنِها، وذرفتِ العيونُ بدمعِها المصبوبِ، وليس لعينٍ لم يَفضِ ماؤُها عذرٌ، أمَّا فاطمةُ بنتُ محمدٍ (ﷺ)، فكانت تقولُ: يا أبتاه أجابَ رباً دعاه، يا أبتاه إلى جنةِ الفردوسِ مأواه، أمَّا الفاروقُ فأذهلَه الخبرُ عن صوابِهِ، وتوعدَ وأشهرَ سيفَه، أمَّا عثمانُ فأُعجمَ عنِ الكلامِ، أمَّا أبو بكرٍ فدخلَ المسجدَ حتى دخلَ غرفةَ

(١) سورة الليل الآيات: ١٩ - ٢١ .
(٢) سورة التوبة الآية: ٤٠ .

عائشةَ ابنتَه ميممًا وجَه نحوَ رسولِ اللّه (ﷺ)، وهو مسجىً ببردٍ، فيكشفُ عن ذلك النورِ الشريفِ، ثم يبكي ويقبلُه، ويقولُ:" بأبي أنت وأمي ـ يا رسولَ اللّه ـ ما أطيبَك حيًا وما أطيبَك ميتًا "، ثم خرجَ والتفَّ الناسُ حولَه وقالَ كلماتِه الخالدةَ: " مَن كانَ يُعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد ماتَ، ومَن كانَ يعبدُ اللّهَ فإنَّ اللّهَ حيٌّ لا يموتُ"، معذرون صاحبةُ رسولِ اللّه (ﷺ)إنَّ الخطبَ جسيمٌ، والمصيبةَ عظيمةٌ، قد كانَ(ﷺ) كلَّ شيءٍ في حياتِهم قد كان حاكمَهم وحبيبَهم وأباهم وأخاهم وقائدَهم ومنقذَهم؛ فقدوا ذلك كلَّه في ساعةٍ من نهارٍ؛ ويكونُ الصديقُ بعدَ ذلك خليفةَ رسولِ اللّه(ﷺ) ويصعدُ المنبرَ ليلقيَ أولَ خطابٍ على الأمةِ، فجالت في نفسِ الصديقِ خواطرُ ذكَّرَه المنبرُ بصاحبِ المنبرِ، تذكَّرَ حبيبَه وصاحبَه ومعلمَه، فنصدعَ باكيًا، وكفكفَ دُموعَه، وأعلنَ مبدئَه في كلماتِه القليلةِ، وإنَّما جديرٌ بحكَّامِ المسلمين أن يفقهوا هذه الكلماتِ لتستقيمَ الأمةُ وأحوالُها المزريةُ التي وصلت إليها، قالَ – رضيَ اللّهُ عنه –: " أيُّها الناسُ إني قد وليت عليكم ولستُ بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، الضعيفُ فيكم قويٌّ حتى آخذُ الحقَ له ـ إن شاءَ اللّهُ ـ والقويُّ فيكم ضعيفٌ، حتى آخذُ الحقَ منه ـ إن شاء اللّه ـ لا يدعُ قومٌ الجهادَ إلا خذلَهم اللّهُ بالذّل، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قوم إلا عمَّهم اللّهُ بالبلاءِ، أطيعوني ما أطعتُ اللّهَ ورسولَه، فإن عصيتُ اللّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم".

فطبَّقَ هذا المنهجَ ــ رضيَ اللّهُ عنه ـ أنفذَ جيشَ أسامةَ، وحاربَ المرتدين، وأعزَّ اللّهُ به الحقَ المبينَ، ونصرَ به الإسلامَ والمسلمين، فعلَ ما لا يفعلُ في مئاتِ السنين في سنتين ونيِّف[1]، والبشرُ لا تقاسُ بأعمارِها، بل بهممِها وأعمالِها، وهكذا أسلمَ أبو بكرٍ الروحَ إلى باريها، فأُسكت فمٌ طالما جلجلَ بذكرِ اللّه ودعا إلى اللّه، وأُغمضت عينان لطالما سَهرَتا وبكتا مِن خشيةِ اللّه، واستراحت يدان لطالما دافعت وجاهدت مع رسولِ اللّه(ﷺ)

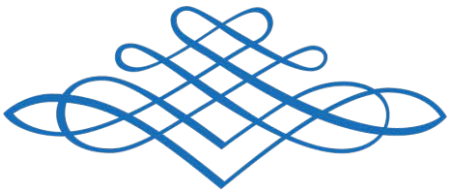
(١) نيِّف: يُكنى عن عددٍ مِنَ الواحدِ إلى الثلاثةِ .

ودَّعَ الصديقُ الأمةَ بعدَ أن جعلَ من نفسه مثلًا للدعايةِ والمجاهدِ والعالمِ والزاهدِ والخليفةِ والوالي؛ وهكذا طُويت صفحةٌ مشرقةٌ في تأريخِ الإسلامِ فرضيَ اللّٰهُ عمَّن خطَّها وأرضاه وجزاه خيرَ ما جزى خليفةَ عن أمتِه.

فيا للّٰهِ للمسلمين؛ هل لنا بمثلِ أبي بكرٍ لينقذَ الأمةَ مِنَ السحبِ الداكنةِ والفتنِ المدلهمةِ؟ وهل لنا بمثلِ صحابةِ رسولِ اللّٰهِ (ﷺ)؟

ألم يبقَ أوسٌ أخرون وخزرجُ ... ألم يبقَ للإسلامِ جيشٌ عَرَمَمُ
فغايةُ ما نُبدي مِنَ الجهدِ أننا ... نسبُ طواغيةَ اليهودِ ونشتمُ

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.



الخطبةُ الرابعةَ عشرَ

الإعصارُ المالي في العالمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ المطلعِ على خَطراتِ القلوبِ والنوايا، استوى علمُه جلَّ شأنُه بالظواهرِ والخفايا، وبما تقومُ به الجوارحُ وما انطوت عليه الحنايا، أحمدُه ربَّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثم هدى، ونثني عليه ثناءً طيبًا يتجاوزُ المدى مكثارًا لا نُحصي له عددًا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مَن ثبت على التوحيدِ ثباتًا دائمًا، وتمسكَ به جالسًا وقائمًا، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه انتخبَه اللّٰهُ للإنسانيةِ دليلًا وهاديًا، وطهرَه مِنَ الباطلِ فلم يكن للشيطانِ على قلبِه سبيلًا خافيًا وباديًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

قد رأيتُم تصرُّمَ الليلِ والنهارِ، وشاهدتم ما يصنعُ مرورُهما بهذه الأعمارِ، وعاينتُم من مواعظِهما ما فيه مزدجرٌ لأولي الأبصارِ، وتبيَّنَ لكم مِنَ أيامِ الدنيا بعدُها قربٌ؛ ويسرُها عسرٌ، صحتُها سقمٌ، كم أسبلت فهتكت، وكم أضحكت فأبكت، وكم كست فأوكست، وكم حلَت فأوحلت، وكم أينعت فنعت، وكم أقبلت فأدبرت، وكم صفت فكدَّرت، وكم أمَّنت فغدرت، فيا معشرَ الجمعِ الغفيرِ، ويا خَلف مَن قد دبرَ، ويا بقيةَ مَن قد غبرَ، ويا جُددَ الأجالِ وعبيدَ الآمال، أتظنون أنَّكم في الدنيا مخلدون؟ أم تحسبون أنَّكم مِنَ الموتِ محصنون، ساءَ ما تتوهمون، هيهاتَ هيهاتَ إنَّكم إذا لمغرورون، وجِدوا للّٰهِ والرحيلِ، فاحتقبوا زادًا كافيًا، ووجبَ السؤالُ فأعدوا جوابًا شافيًا، فكأن قد نعقَ بكم ناعقُ الشَّتاتِ، ودارت عليكم رَحَى الآفاتِ،

وعصفت فيكم ريحُ المماتِ، فلن تستطيعوا نقصًا مِنَ السيئاتِ ولا زيادةً في الحسناتِ، جعلني اللّهُ وإياكم مِنَ الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم مواردَ الظالمين، إنَّ أحسنَ الكلامِ كلامُ الملكِ العلاَّمِ، واللّهُ يقولُ وقولُه الحقُّ المبينُ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥ ﴾[1].

أحبتي في اللّه

إنَّ العالمَ يعيشُ معضلةَ كُبرى، هي المعضلةُ الاقتصاديةُ، لقد أصبحت هي المحورُ الذي يدورُ حولَه العالمُ، ويستقطبُ جهودَ المفكرين والعلماءِ والباحثين، واستقلَ الاقتصادُ بعلمٍ وبكلياتٍ عبرَ عقودٍ مِنَ الزمنِ، ومع ظهورِ محنةِ الإعصارِ الماليِّ التي تَأزوا العالمَ بأسرِه أزًّا الآن، وجبَ على المنابرِ أن تلقيَ القولَ الفصلَ من منظورٍ شرعيٍّ لأنَّ الأزمةَ لا زالت تُتداولُ من منظوراتٍ بعيدةٍ عن منظورِ الشرعِ الحميدِ، عن منظورِ القرآنِ وسنةِ النبيِّ محمدٍ (ﷺ).

ولا شكَ أنَّكم تتابعون هذه الأزمةَ الخطيرةَ، ولأولِ مرةٍ في التأريخِ المعاصرِ تتدخلُ الحكوماتُ لإنقاذِ الاقتصادِ الحُرِّ كما يُسمونه، فمِنَ المعلومِ أنَّ الرأسماليةَ والإليبرليةَ المتوحشةَ يَقومُ نظامُها على الاقتصادِ الحُرِّ، ومعناه لا دخلَ للحكوماتِ بحركاتِ المالِ، ولأولِ مرةٍ تهتزُّ الرأسُمالية مِن قواعدِها بل وتتزلزلُ زلزالًا عظيمًا، تتدخلُ الحكوماتُ في واشنطنَ وموسكو ولندنَ وبرلينَ؛ وفي كلِّ دولِ أوروبا لضخِ مئاتِ المليارات حتى يُظمنَ لهذه البنوكِ، وهذه الحركةُ الماليةُ لا أقولُ النجاحَ بل البقاءَ، فلقد ضخت واشنطنُ ما يزيدُ على ثمانمائة مليارِ دولارٍ، وضخنت أوروبا ما يزيدُ على ثلاثةِ تِليرون، تصوروا هذه الأزمةَ الخطيرةَ، وقد أفلست بالفعلِ المصارفُ الكبيرةُ.

---

(١) سورة الطلاق الآيات: ٤ - ٥.

أيُّها المؤمنون

ما أسبابُ هذه الأزمةِ الاقتصاديةِ؟ الجوابُ: أتركُكم الآنَ مع علماءِ الاقتصادِ الغربيين وكلامِهم بنصِ حروفِه حتى لا يتصورَ أحدٌ أنا نبالغُ أو نختارُ مِن كلماتِ اللغةِ العربيةِ ما يحركُ المشاعرَ ويهيجُ الضمائرَ ونستثيرُ به الغرائزَ؛ لا . بل سأقرأُ كلماتِ هؤلاءِ المتخصصين في الاقتصادِ مِنَ الغربيين مِن غيرِ المسلمين، قالَ عالمُ اقتصادٍ بنصِ حروفِه: " أظنُ أننا بحاجةٍ أكثرَ في هذه الأزمةِ إلى قراءةِ القرآن بدلًا مِن قراءةِ الإنجيلِ"، وقالَ: " النقودُ لا تلدُ النقودَ "، وهذا هو الربا، فالربا هو ولادةُ المالِ للمالِ لعنصرِ الزمنِ ليس إلا؛ واسمعوا إلى خبيرٍ اقتصادٍ غربيٍّ كافرٍ، قالَ: بضرورةِ تطبيقِ الشريعةِ الإسلاميةِ في المجالِ الماليِّ والاقتصاديِّ، واشترطت فرنسا التقابضَ في البيوعِ، وهو ما يتطابقُ مع روحِ الشريعةِ الإسلاميةِ، وأصدرت أعلى هيئةٍ فرنسيةٍ قرارًا يسمحُ التعاملَ بالصكوكِ الإسلاميةِ في الأسواقِ الفرنسيةِ، ويطرحُ عالمُ اقتصادٍ إيطاليٍّ للخلاصِ مِنَ الإعصارِ الماليِّ حلين، وهما: تعديلُ معدلِ الفائدةِ وَوَازنه بصفرٍ تساوي لا ربا، والحلُ الثاني: تعديلُ مقدارِ الضريبةِ إلى اثنين في المائةِ، وهذا المقدارُ قريبٌ مِنَ الزكاةِ في الإسلامِ اثنين ونصف في المائة، ويقولُ الرئيس الفرنسي[1]: " يجبُ أن تُحاطَ العملياتُ الاقتصاديةُ بسياجٍ أخلاقيٍّ ".

أيُّها الموحدون

والسؤالُ المريرُ الذي يَطرحُ نفسَه ويُدمي القلوبَ، هل نحن المسلمين ونحن المؤمنين في حاجةٍ إلى شهادةِ الواقعِ أو إلى شهادةِ علماءِ الاقتصادِ الغربيِّ لنصدقَ ربَّنا تبارك وتعالى، ونبينَا محمدًا (ﷺ)، فما ذكرَه هؤلاءِ ذكرَه ربُّنا ونبيُّنا (ﷺ) فقد حرَّم الرِّبا تحريمًا قاطعًا، فقالَ سبحانَه،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ

(١) هو: ساركوزي .

تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[1] والآنَ ما يحدثُ حربًا معلنةً مِنَ اللهِ ورسولِه(ﷺ) محقًا في البركةِ، محقًا في الأموالِ والأولادِ، فقالَ جلَّ ذكرُه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[2]، وهو مشاهدٌ تراهم في الواقعِ المعاصرِ على الشاشاتِ حين أفلست مصارفُهم، وتردت بورصاتُهم[3]، وانهارَ اقتصادُهم، انظروا أحوالَهم ـ واللهِ ـ لا يتحركون إلا كمسِّ الشيطان، وفي الحديثِ الشريفِ: " ما أكلَ أحدٌ الربا إلا كانَ عاقبةَ أمرِه إلى قلةٍ "، كما حرَّمَ الإسلامُ الاحتكارَ في الأموالِ والبضائعِ، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]، وقالَ(ﷺ): " لا يحتكرُ إلا خاطئٌ"، وحرَّمَ الرشوةَ في التعاملِ، ففي الحديثِ: " لعنَ اللهُ الراشيَ والمرتشيَ والرائشَ بينهما"، وحرَّمَ الاستحواذَ بالاحتيالِ على الأموالِ، فقالَ جلَّ ذكرُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[5]، كما حاربَ الشُّحَ والتبذيرَ وراعى الملكيةَ الفرديةَ، ولم يجعل للفردِ طريقًا للحيلِ الممنوعةِ لكسبِ المالِ، ومنعَ الغشَ والاحتكارَ والتضخمَ على حسابِ الآخرين؛ كما أنَّه لم يبخسه حقَه، فهذا هو السِّياجُ الأخلاقيُّ في الاقتصادِ الإسلاميِّ.

---

(١) سورة البقرة الآيات: ١٧٨- ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٧٥.

(٣) بُورصاتهم: أسواقٌ تعقدُ فيها الصفقاتُ التجاريةُ، ويتمُّ تسعيرُ العملاتِ والأسهمِ الماليةِ .

(٤) سورة التوبة الآية: ٣٤.

(٥) سورة النساء الآية: ٢٩.

إخوةَ العقيدةِ

ومعَ اعترافِ الغربِ وعلمائِه مِن غيرِ المسلمين بأنَّ الاقتصادَ الإسلاميَّ هو البديلُ للخلاصِ مِنَ الأزمةِ الماليةِ، ومع اعترافِهم بأنَّ البنوكَ يجبُ أن تُطهَر أولًا مِنَ الربا الذي يسمونَه الفائدةَ لأنَّه سببُ هذه الأزمةِ، وسببُ كلِّ أزمةٍ.

وأكشفُ الآنَ الستارَ عن الحلولِ المقترحةِ في بلادِ الإسلامِ، طُبِّقَ البعضُ، والبقيةُ في طريقِه للتطبيقِ، وهي حلولٌ سقيمةٌ كسقمِ أصحابِها، غريبةٌ كغربةِ أصحابِها، وتنكرهم لكتابِهم ورسولِهم وإسلامِهم؛ وهم يحملون الأمةَ في مركبٍ مخروقٍ، وكوارثَ لا حصرَ لها، وفي المثلِ: (حملَه على قرنٍ أعفر)[1]، فمن حلولِهم لنماءِ الاقتصادِ قيامُ الاقتصادِ الحُرِّ والأسواقِ الحُرةِ مع القطبِ الأوحدِ الذي يُديرُ العالمَ بالرعونةِ والصلفِ واشنطن؛ والسيدةُ واشنطنُ منهارةٌ اقتصاديًا، وتعاني بنوكُها مِنَ الإفلاسِ، وعملاتُها التي ارتبطنا بها لا تزالُ في مهامِه التردي والترنحِ، وهو حلٌّ أخرقُ أحمقُ (كالمستجيرِ مِنَ الرمضاءِ بالنارِ)[2]، يرادُ منه التقليدُ الأعمى لأنَّ المهزومَ عسكريًا مهزومٌ نفسيًا والمهزومُ نفسيًا مهزومٌ فكريًا مشلولُ الفكرِ والحركةِ؛ ولو كانَ تقليدًا أعمى أخرق، ويصطدمُ اصطدامًا مباشرًا مع عقيدتِنا ودينِنا وأخلاقِنا؛ ومِنَ الحلولِ المقترحةِ لتحسينِ الاقتصادِ استبدالُ الإجازةِ الأسبوعيةِ لتكونَ إسلاميةً يهوديةً أو أسلاميةً نصرانيةً أو يهوديةً نصرانيةً، وهذا حلٌّ يقولُ لأصحابِه: لا ناقةَ لي ولا جملَ في اقتصادِكم، وهو رأيٌّ وحلٌّ سخيفٌ، ولو لم يعكرِه التهريجُ والتخبيطُ، ولا أظنُ العقلاءُ ينادون به، والقصدُ منه: التبعيةُ والإنصهارُ والذوبانُ للغربِ في نظامِه السياسيِّ والاقتصاديِّ والإعلاميِّ والتعليميِّ.

ولو قدمنا الآن استمارةَ استبيانٍ، وطرحتُ فيها مجموعةً مِنَ الأسئلةِ، واختيرت عيناتٌ عشوائيةٌ اثنين من مجموعةٍ من شبابِنا، ومجموعةٍ من

(١) مثلٌ يُضربُ لمن يبيتُ ليلَهُ في شدةٍ ملقلةٍ.
(٢) مثلٌ يضرب في مشقتين، يُعدلُ عن أيسرِهما لأعسرِهما.

شبابِ الغربِ لجاءت الإجاباتُ متقاربةٌ، ولا نبالغُ إن قلنا: متطابقةً لأنَّ المنهجَ الذي يتربى عليه شبابُنا هذه السنوات، هو ذاتُ المنهجِ الذي يتربى عليه شبابُ الغربِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العظيمِ، انسلاخٌ وتبعيةٌ تُلقي بظلالِها ولا سيما في هذا الأوان، قالَ الصادقُ المصدوقُ(ﷺ) محذرًا مِن هذه التبعيةِ: " لتتبعنَّ سَننَ – أي طريقة – مَن قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتى ولو دخلوا جُحرَ ضبٍ لتبعتموهم"، قالوا يا رسولَ اللهِ: اليهودُ والنصارى، قالَ: فمَن ؟ أي فمَن غيرُ هؤلاءِ.

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين.

أقول ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

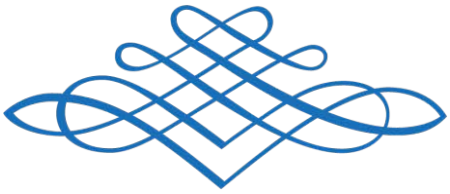
الحمدُ للهِ الواحدِ المعبودِ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المحمودِ، وعلى آلِهِ وصحبِه الموفين بالعهودِ، أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الذين آمنوا

إنَّه مِنَ الخزيِ والعارِ أن تتفوه دولةٌ إسلاميةٌ – إن صحَّ التعبيرُ – بأنَّها تعاني من أزمةٍ اقتصاديةٍ وإعصارٍ ماليٍّ بعدَ أن أفاءَ اللهُ عليها من خزائنه، فالدولُ الإسلاميةُ ترقدُ على بحيرةٍ مِنَ النفطِ والمواردِ الطبيعيةِ عندها متنوعةٌ؛ والموقعُ الحيويُّ الاستراتيجيُّ تمسكُ بزمامِه، والأنهارُ والبحارُ لديها، والرقعةُ الزراعيةُ متوفرةٌ والسياحةُ والتجارةُ والعقولُ المدبرةُ، كلُّ ذلك عندَها ويؤهلُها لتكونَ قائدةَ الأممِ، وفي مصافِ الدولِ الصناعيةِ والمتقدمةِ والراقيةِ، ولكن نرى طحنًا ولا نرى خبزًا، كلُّ ذلك بسببِ البعدِ عنِ الكتابِ والسنةِ، فالبنوكُ عندنا غارقةٌ في الربا والغشِ والجشعِ والاحتكارِ، كلُّ ذلك عندنا، والطاقاتُ مبددةٌ وثرواتُ الشعوبِ

يعبثُ بها العابثون، وصار الولاءُ المطلقُ للمناصبِ لا للشعوبِ المسلمةِ التي أصبحت تأكلُ وتلبسُ القديدَ[1].

ألا وصلوا وسلموا على الحبيبِ المصطفى.



(١) القديد: البالي من الشيء.

الخطبةُ الخامسةَ عشرَ

البعدُ السياسيُّ للحجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ أفضلَ ما يُوشَّحُ به صدرُ الكلامِ، وأجملُ ما يفصَّلُ به عِقدُ النظامِ حمدُ اللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ والإفضالِ والإنعامِ؛ ثم الصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المختارِ المبتعثِ مِن عنصرِ الكرامِ.

فالحمدُ للهِ الذي بيَّنَ الطريقَ وأوضحَ المحجةَ، وأرسلَ رُسُلَه مبشرين ومنذرين لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ، وجعلَ لكلِ شهرٍ خصوصيةً، تخصُّه، وخصَّ بوقوعِ الحجِ ذا الحجةِ، وحطَّ الذنوبَ والأوزارَ عمَّن قصدَ فيه البيتَ الحرامَ وحجَّه، وعظَّمَ الأجرَ لمَن أظهرَ فيه التكبيرَ وعجَّه، فكم أولى مِن نعمةٍ، وكشفَ من زلزلةٍ وضجةٍ، وأشكرُه وشكرُه يزيدُ مِن فضلِه ويفتحُ الأبوابَ المرتجةَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي كساه مِن حُلَلِ النبوةِ مهابةً وبهجةً، اللهم صلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه ما حملَ سحابٌ ماءً وثجَّه؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدمَ

أتعبتَ نفسَك في الدنيا، وهي دارُ همٍّ وغمٍّ وسقمٍ؛ وضيَّعتَ حقوقَ اللهِ وصرتَ لا تعقِلُ ولا تفهمُ، فيا مَن حَلَلَ محارمَ اللهِ وفعلَ كلَّ فعلٍ محرمٍ، أين أنت ممن بكى مِن خشيةِ اللهِ وتألمَ، ويا مَن نُسجت أكفانُه وهو لا يدري ولا يعلمُ، أين أنت مِن قومٍ تتجافى جنوبُهم عن المضاجعِ إذا الليلُ أظلمَ، ويحكَ يا مسكينُ تطمعُ في البقاءِ وركنُ شبابِك قد تهدَّمَ، ويا مَن هو في لهوِ الدنيا وخيوطُ أكفانِه تُجهزُ وتبرمُ، في كلِّ جُمُعةٍ تسمعُ المواعظَ

وأنت عنها أصمُ وأبكمُ، فإلى كم تسوِّفُ بالفرضِ في دنياكَ شحًا وغيًا؟ وإلى كم تماطلُ بالفرضِ ربًا غنيًا ؟ أمَا تخافُ مع التسويفِ موتًا وحيًّا؟ أمَا تخشى أن يقولَ لك قبرُك لا أهلًا بك ولا سهلًا، فالبِدارَ البِدارَ يا أولي النهى بالتوبةِ النصوحِ والعملِ الصالحِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[1] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾[2] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾[3].

أيُّها الإخوةُ البررةُ

أنتقلُ بكم الآنَ نقلةً شعوريةً مِن هنا حيثُ جامعُ الاستقامةِ إلى هناكَ حيثُ البيتُ العتيقُ والصفا والمروةُ وزمزمُ، إلى هناك حيثُ البلدُ الأمينُ الذي أقسمَ اللهُ تعالى به لشرفِه، فقالَ العزيزُ الحكيمُ: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾[4] وحديثُنا أيُّها السادةُ الموحدون ليسَ عن فضلِ الليالي العشرِ مِن ذي الحجةِ التي أقسمَ اللهُ تعالى بلياليها، فقالَ جلَّ في علاه: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾[5] ولا عن فضلِ صيامِ يومِ عَرفةَ، وأنَّ صيامَه يكفِّرُ السنةَ الماضيةَ والقادمةَ، ولا عن صلاةِ عيدِ الأضحى، ولا عن مشروعيةِ العَجِّ والثَّجِّ بالتسبيحِ والتكبيرِ للهِ العزيزِ الحميدِ في هذه الأيامِ، ولا عنِ الأضحية، وأنَّها تقسَّمُ إلى الصدقةِ أولًا، والأكلِ ثانيًا، والإدخارِ ثالثًا؛ فهذه المواضيعُ مما استهلكته الشفاهُ والأحبارُ، ومما أكثرَ فيه الخطباءُ والوعَّاظُ، وهي مما يعرفُه صغيرُكم قبلَ شابِكم وشابُكم قبلَ

(١) سورة مريم الآية: ٩٦.
(٢) سورة طه الآية: ١١٢.
(٣) سورة الكهف الآية: ١٠٧.
(٤) سورة التين الآية: ٣.
(٥) سورة الفجر الآيات: ١ - ٢.

شيخِكم، ولكن في هذه الشعيرةِ المباركةِ أبعادٌ كثيرةٌ، ومنها: البُعدُ السياسيُّ، والبُعدُ الاقتصاديُّ، والبُعدُ الاجتماعيُّ.

ومِنَ المؤسفِ حقًا أنَّ هذه الأبعادَ المختلفةَ المتنوعةَ لهذه الفريضةِ المصيريةِ العظيمةِ توارت بالحجابِ عن دنيا المسلمين .

أصبحت فريضةُ الحجِ تابعةً لأختِها الصلاةِ في واقعِ كثيرٍ مِنَ المسلمين ليس لها روحٌ لتؤديَ عمليتي الزفيرِ والشهيقِ لتكونَ محركًا للأرواحِ قبلَ الأجسادِ فحُصرَ الحجُ عندَ كثيرٍ من المسلمين إلى رحلةٍ سياحيةٍ يتمُّ فيها زيارةُ القبلةِ والمدينةِ ثم الرجوعُ إلى الأسرابِ .

عبادَ اللهِ

على المسلمين الملبين لدعوةِ اللهِ تعالى خاصةً، وعلى بقيةِ المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها عامةً أن يستفيدوا مِنَ المحتوى السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ إضافةً إلى المحتوى العباديِّ، وألاَّ يكتفوا بالشكلِ والصورةِ فحسب فيصدقُ القائلُ: (ما أكثرَ الضجيجَ وأقلَّ الحجيجَ) إنَّ الوقوفَ على أبعادِ الحجِ مِن التعظيمِ للمشاعرِ والشعائرِ، وقد قالَ جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]، وقالَ العزيزِ الكريم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[2].

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ أعداءَ الإسلامِ وأذنابَهم الأحداثَ ما تآمروا على بُعدٍ مِن أبعادِ الحجِ، كما تآمروا على البُعدِ السياسيِّ من أجلِ إبقاءِ المسلمين على تخلفِهم وتشرذمِهم وفتحِ الطرقِ أمامَ الغزاةِ والسلطويين ليعبثوا بالأرضِ والعرضِ والدمِ؛ ولا ريبَ فإنَّ الحجَ منذُ انبثاقِه لا يقلُ بُعدُه السياسيُّ أهميةً عن

(١) سورة الحج الآية: ٣٠.
(٢) سورة الحج الآية: ٣٢.

بُعدِه العباديِّ بل إنَّ البُعدَ السياسيَّ هو بذاتِه عبادةٌ، ولهذا البُعدِ منافعُ كثيرةٌ فاسمعوا وعوا فربَّ مستمعٍ خيرٌ مِن خطيبٍ، وربَّ مبلغٍ خيرٌ مِن قريبٍ.

المنفعةُ الأولى: قطعُ يدِ الاستكبارِ العالميِّ عن الأرضِ الإسلاميةِ بل عن المستضعفين جميعًا، فهذه من أعظمِ المنافعِ التي ذكرَها اللّٰهُ تعالى بقولِه: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾[1] فأيُّ منافعَ أعظمُ وأسمى مِن قطعِ يدِ جبابرةِ العالمِ والظالمين مِنَ السيطرةِ على البُلدان المقهورةِ المظلومةِ، ومِن أن تكونَ الذخائرُ الماديةُ العظيمةُ للبلدان المسلمةِ ملكًا صرفًا لشعوبِها لا أن تكونَ أبقارًا حلوبًا، على المسلمين المجتمعين في مواقفِ هذه العبادةِ الراميةِ إلى تجميعِ شَتاتِ المسلمين مِن كلِّ أرجاءِ الأرضِ أن يقوموا بهذه المنفعةِ باتحادِ كلمتِهم كما اتحدت تلبيتُهم ومشاعرُهم هناك، فإنَّهم في هذا العصرِ عصرِ الغابِ مسؤلون أكثر مِن أيِّ وقتٍ مضى عن إبرازِه وإزالةِ الحُجُب عنه.

أمَّا المنفعةُ السياسيةُ الثانيةُ ـ أيُّها الإخوةُ المؤمنون ـ: فهي التفاهمُ وترسيخُ الأُخوةِ بين المسلمين، وذلك بالدعوةِ إلى توحيدِ الكلماتِ بين المسلمين وضرورةِ نبذِ الفرقةِ والتمزقِ والتحزبِ الذي يسعى أعداءُ الإسلامِ إلى ترسيخِه في كياناتِ دويلاتِ الإسلامِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[2].

المنفعةُ الثالثة: الحجُ فرصةٌ ثمينةٌ نفيسةٌ لاجتماعِ رجالِ السياسةِ في العالمِ الإسلاميِّ من أجلِ استثمارِ موسمِ الحجِ ليعْقِدوا في مكةَ مؤتمرًا عالميًا صادقًا بعيدًا عن الازدواجيةِ والتناقضِ، ليطرحوا كلَّ مشاكلِ المسلمين السياسيةَ وغيرَها، ليكشفوا لها الحلولَ الناجعةَ، على زعماءِ القومِ أن يجتمعوا في مكةَ المعظمةِ استجابةً لأمرِ اللّٰهِ، وأن يطرحوا

(١) سورة الحج الآية: ٢٨.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

مشاكلَهم بينهم، ويتغلبوا عليها، ولو حدثَ ذلك ما استطاعت القوى الأخرى أن تقفَ بوجهها مهما كانت عظمتُها، أمَّا أن تتسامحَ الرعيةُ مع الراعي، ويتسامحَ الراعي مع الرعيةِ في قضاياها المصيريةِ المغيبةِ، وكلٌّ منهما يأتي للآخر بقرونِ الحميرِ[1]، فهذا مما يعمقُ جروحَ الإسلامِ ويبقي المشاكلَ على ما هي عليه.

أيُّها المسلمون

إنَّ الإسلامَ بمظاهرِ الحجِّ يدلُّ على قدرتِه العظيمةِ وطاقاتِه الدَّفاقةِ؛ والمسائلُ المُلحةُ التي تطرحُ نفسَها؛ لماذا يغفلُ المسلمون عن طاقتِهم ويعتمدون على الغربِ في مناشطِ الحياةِ العامةِ والخاصةِ كافةً؟ لماذا كلُّ هذا الاستسلامِ والرضوخِ لسيطرةِ القوى الأجنبيةِ؟ ما هي الدروسُ التي خرجَ بها المسلمون عامًا بعدَ عامٍ من هذه الشعيرةِ المباركةِ؟ ما الذي صلحَ من أحوالِهم؟ هل تبدَّدت آلامُهم؟ ما ثمرةُ هذا الاجتماعِ الملايني ومسرى الرسولِ(ﷺ)وأرضُ الرسالاتِ تحتَ سِندانِ دولةٍ غاصبةٍ كُبرى؟ لماذا تتلقى الحكوماتُ العربيةُ الصفعاتِ والضرباتِ خلالَ ستينَ عامًا – ويزيدُ – من الصهوينيةِ العنصريةِ المجرمةِ، وتتقبلُ ذلك بوجهٍ طلقِ المحيا، فيعشُ أبناءُ فِلسطينَ في سجنٍ يُحيطُ به العذابُ الأليمُ والشرُ المستطيرُ مِنَ القتلِ والتشريدِ والتنكيل والتدميرِ! لماذا لا تُحلُّ قضايا البطالةِ والفقرِ والفسادِ والحروبِ والاحتلالِ وإهدارِ الأموالِ في التفاهاتِ التي تستشري بكثافةٍ في العالمِ الإسلاميِّ؟ لماذا لا يقننُ – ونحن في هذا الشهرِ الكريمِ – إعلامُنا المخمورُ الذي يقوضُ أركانَ الدينِ من أساسِها؟ لماذا لا يستفيدُ المسلمون من اجتماعِ الحجِ فاتفقوا على ألاَّ يتفقوا ولا يجتمعوا أمَا كانَ أحرى بهم أن يلتزموا قولَ النبيِّ(ﷺ): " وهم يدٌ على مَن سِواهم "!

---

(١) مثلٌ يُضربُ لمَن يجيءُ بالكذبِ والباطلِ لأنَّ الحمارَ لا قرنَ له .

أيُّها الموحدون

حقيقةٌ والحقيقةُ مُرَّةٌ نحن الآن معاشرَ المسلمين ليس لنا من الشرفِ بمكةَ وحجِ بيتِ اللهِ سوى ذهابُ مجموعةٍ مِنَ الناسِ إلى هناك ثم الرجوعُ، ومع الأسفِ الشديدِ، فإنَّ مسألةَ ذهابِ أشخاصٍ فاعلين من الحكوماتِ ورجالِ القومِ مِن أصحابِ الفكرِ والكتابةِ والثقافةِ ليجتمعوا هناك، ويدرسوا مسائلَ الإسلامِ والمسلمين هذه مسألةٌ مغفولٌ عنها، واللهُ المستعانُ وعليه التكلانُ.

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين.

أقولُ ما سلفَ، وأسألُ اللهَ أن يجعلَ لي ولكم من رحمتِه عوضًا عن كلِّ خلفٍ، وتوبوا إلى اللهِ جميعًا أيُّها المؤمنون لعلكم تفلحون، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[1].

★★★

الحمدُ للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه وأعزَّ جندَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه؛ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه، أمَّا بعدُ.

إخوةَ الإسلامِ

إنَّ الناظرَ في أحوالِ الحجيجِ يقفُ على صورةٍ جليةٍ تحكي واقعَ الأمةِ الإسلاميةِ بحلوهِ ومرِّه، ولذلك فإنَّ مِنَ المنطلقاتِ المهمةِ أن تستثمرَ الأمةُ هذه المناسبةَ العظيمةَ لإصلاحِ واقعِها في جميعِ جوانبِه، إنَّ المستقرئَ لأحوالِها يرجعُ بالأسى لما آلَ إليه أمرُها في كثيرٍ من أوضاعِها حيث اندرست جملةٌ مِن معالمِ الشريعةِ حينما كدرتها شوائبُ الضلالةِ والهوى، فانفرطَ عِقدُ وحدتِها، وتناثرَ سِلسالُ رونقِها، وتفرقت بها السُبلُ والأراءُ،

(١) سورة هود الآية: ٩٠.

وتكلمت الرويبضةُ، واستنسر خفافيشُ الظلامِ ممن في نفوسِهم غرضٌ، وفي قلوبِهم مرضٌ، ومما يزيدُ الفتنَ فتنًا افتتانُ كثيرٍ من أبنائِها بالعولمةِ المعاصرةِ التي لم تكتف بترويجِ ثقافاتٍ وأنماطٍ سلوكيةٍ مجردةٍ، بل تجاوزت ذلك إلى اختراقِ العقولِ والأفكارِ بالمبادئِ الماديةِ التي تُعرِضُ عن هداياتِ الوحيِّ الربانيةِ مما يكشفُ بجلاءٍ عن مدى التقليدِ والتبعيةِ التي تنخرُ جسدَ الأمةِ الإسلاميةِ وتحوطُها بالضعفِ والخورِ والانهزاميةِ، ولذلك فإنَّ الحجَ فرصةٌ للتذكيرِ بأنَّ مدارَ صلاحِ الأمةِ وسعادتِها وعزتِها وريادتِها على قوةِ تمسكِها بعقيدتِها وتوبتِها وصلتِها باللهِ تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المختارِ كما أمرَكم بذلك ربُكم العزيزُ الغفارُ.

(١) سورة الأنعام الآية: ١٦٢.

الخطبةُ السادسةَ عشرَ

تدهورُ التعليمِ في العالمِ الإسلاميِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي أنزلَ ما يجلو البصائرَ، وجعلَ العلمَ النافعَ رقيًا للأممِ ومنارًا للبصائرِ، وبيَّنَ الأحكامَ والشعائرَ، وتعالى عن الأشباهِ والنظائرِ، وتنزه عن الأعراضِ والجواهرِ، وارتفعَ عن إدراكِ الأبصارِ النواظرِ، وامتنعَ عن لواحظِ الخواطرِ، هو الأولُ والآخرُ، أحمدُه رفعَ للإنسانِ مقدارًا وأقدرَ بفكرِه فكشفَ به مِن سجوفِ[1] الجهالةِ أستارًا، وشعَّ مِن بريقِه على غوامضِ الكونِ أنوارًا، وللّٰهِ التصرفُ الكاملُ حكمةً واقتدارًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نورُها في الأفاقِ لمعٍ، ومعتنقُها للخيرِ قد جمعَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) صلاةً يُؤَبِّدُ كمالُها جزاءً على ما به صدعَ، ويُمَهِّدُ جلالُها على صحبِه أساطينِ الهدى ومن تبعَ وسلمَ تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ألا وإنَّكم بينَ عامٍ راحلٍ لا تدرون بما رحلَ عنكم ومضى، ولا تعرفون أحصلتُم فيه على غضبٍ مِنَ اللّٰهِ أم على رضا، وبينَ عامٍ قابلٍ لا تدرون ما أُبرمَ فيه مِن القضاءِ ولا تعلمون أفي الأجلِ فسحةٌ أم قد بُعِدَ وانقضى؟ وإنَّكم على يقينٍ مِن صالحاتِ أعمالٍ أمقبولةٌ هي أم مردودةٌ؟ فعلام الغفلةُ ـ عبادَ اللّٰهِ ـ عن تداركِ الخللِ؟ وحتامَ الإعراضُ عن إصلاحِ النيةِ والعملِ؟ كأنَّكم اتخذتم مِنَ الموتِ عهدًا وأمانًا أم لم تنظروا فعلَه بينَكم عيانًا كلا واللّٰهِ لقد أوسعَ فيكم مجالًا؛ وضربَ لكم بأخذِ أمثالِكم أمثالًا،

---

(١) سجوف: ظُلَم .

ووعظكم لو اتعظتم فما تركَ لقائلٍ مقالًا، هذا وكتابُ اللّٰه يُتلى عليكم مساءً وصباحًا وزواجرَ عبره تخاطبُكم بالنصحِ كفاحًا، أَصُمَّتِ الأسماعُ عن المواعظِ وسُدَّت؟ أم قستِ القلوبُ مِن كثرةِ الذنوبِ فاسودَّت؟! فاعملوا لما بينَ أيديكُم فلمثلِ هذا فليعملِ العاملون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (١) ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ (٢) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ (٣).

أيُّها المؤمنون

لا تزالُ أهميةُ التعليمِ تتعاظمُ يومًا بعدَ يومٍ إلى درجةِ أنَّ الكثيرَ مِن دولِ العالمِ تعتبرُه قضيةً استراتيجيةً كُبرى، تأتي أولويتُه مثلَ أولويةِ الدفاعِ والأمنِ القوميِّ سواءً بسواءٍ، وذلك على أساسِ أنَّه العاملُ الأقوى لإحداثِ الحِراكِ الاجتماعيِّ، ودعمِ البنيةِ الاقتصاديةِ والمحققِ لشرطِ الحضارةِ في العصرِ الحديثِ، وقبلَ أربعةَ عشرَ قرنًا مِنَ الزمنِ كانَ الإسلامُ قد بدأ بفريضةِ العلمِ، بل كانَ أولُ خطابٍ ربانيٍّ لنبيِّ الأمةِ ـ صلواتُ اللّٰه وتسليماتُه عليه ـ قد تمحورَ عنِ القراءةِ وآلةِ تدوينِ العلمِ القلمِ؛ فقالَ جلَّ وعلا: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ (٤) واهتمَّ بكلِ فردٍ من أفرادِ الأمةِ حيث فرضَ دينُنا الإسلاميُّ الحنيفُ طلبَ العلمِ بمفهومِه الواسعِ ـ علمِ الدينِ وعلمِ الدنيا ـ ولذا أمكننا أن نقولَ بأنَّ الإسلامَ هو أوَّلُ مَن فرضَ إلزاميةَ التعليمِ على لسانِ نبيِّنا محمدٍ(ﷺ) حينَ قال:

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .
(٣) سورة الطلاق الآية: ٤، ٥.
(٤) سورة العلق الآيات: ١ - ٥ .

" طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ " وزيدَ مسلمة، وجعلَ من هذه الفريضةِ عبادةً مُوصلةً إلى الفوزِ بالجنةِ، فقالَ الصادقُ المصدوقُ(ﷺ): " مَن سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنةِ"، وغيرُ خافٍ عليكم أنَّ الماءَ هو وريدُ الحياةِ وشريانُها، وبدونه تخربُ الديارُ، ويَحلُّ البوارُ، وتموتُ الأشجارُ والثمارُ، وفي مقابلِ ذلك فالعلمُ وريدُ الأرواحِ، وهو الفيصلُ بين الإنسانِ والبهيمةِ العجماءِ، فلا يستوي العالمُ مِنَ الجاهلِ، قالَ تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[1]. ولكن هلِ استجابتِ الدولُ الإسلاميةُ لهذه النداءاتِ الربانيةِ؟ وهل أخذت بحجزتِها؟ وما مستوى التعليمِ فيها؟ وكم مِنَ الأدباءِ والعلماءِ والعباقرةِ والمفكرين الذين تخرجُهم سنويًا؟

أيُّها السادةُ الموحدون

قبلَ الجوابِ عن هذه السؤالاتِ علينا أن ننظرَ إلى محيطِ العالمِ الإسلاميِّ بأسرِه في عصرِنا هذا، فهو يعاني مِن شيخوخةٍ بسببِها تسنى لأعدائِه مِنَ المنتسبين إليه خصوصًا، ومِن غيرِهم عمومًا أن يخططوا لقتلِه، ويعمقوا فيه جروحَ الارتكاسِ والانتكاسِ في جسمِه المكدودِ ومحيطِه المكلومِ، فنفثوا سمومَهم في ميادينَ عديدةٍ بدءًا مِنَ التربيةِ والتعليمِ وانتهاءً بالمعتقدِ والتفكيرِ.

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ التربيةَ والتعليمَ في العالمِ الإسلاميِّ تمرُّ يومًا بعدَ يومٍ بمنعطفاتٍ قاسيةٍ تحتَ أكذوبةِ التطويرِ والمواكبةِ والاصلاحِ الذي يسبحون بحمدِه ويستغفرون له؛ وإنَّ الناظرَ لحالِ التعليمِ وما آلَ إليه ليُصابُ بالدهشةِ والذهولِ، وهنا أسلطُ الضوءَ على نقاطٍ ثلاثٍ، وعلى التربيةِ والتعليمِ أن

(١) سورة الزمر الآية: ٩.

تلقيَّ إليَّ سمعَها حتى لا يكونَ الضحيةَ الأولى: أولادُنا وبناتُنا، والضحيةَ الثانيةَ: وطنُنا العزيزُ.

أولًا: المنهاجُ الدراسيُّ؛ يعاني المنهاجُ الدراسيُّ مِنَ المجاعةِ العلميةِ والهزالِ المستمرِ لأنَّ المؤتمنينَ على إعدادِ خططِه ورسمِ مناهجِه قد خيبوا الآمالَ، وخانوا الأمانةَ بأطروحاتِهم الهشةِ التي لا تسمنُ ولا تغني من جوعٍ، فقد أصبحت المناهجُ الدراسيةُ قائمةً على الفوضويةِ والاضطرابِ في التصورِ، ومما يزيدُ الأمرَ خطرًا على خطرِه محاربةُ المناهجِ الإسلاميةِ واللغةِ العربيةِ بأساليبَ ثعبانيةٍ ملتويةٍ مِن سنةٍ إلى سنةٍ، ومن فصلٍ إلى فصلٍ، إنَّ التربيةَ والتعليمَ تأخذُ سنويًا أموالًا باهضة تنفقُها في تبديلِ المناهجِ سنويًا؛ وتهميشِ المادةِ العلميةِ، فهو تبديدٌ لثروة الأمة الإسلامية وإهدارٌ لها لعدمِ حصولِ ثمرةٍ بإقرارِ الطبقةِ المثقفةِ، إنَّ المؤتمنينَ على المناهجِ الدراسيةِ وصياغتِها ليسوا أكفاءً، ويحاولون إضفى الشرعيةِ لما عندهم ومع إفلاسِهم لا يقتنعون بالرأيِّ الآخرِ بل ويتهربون عنه، وفي المثلِ:(أخو الظلماءِ أعشى بالليلِ)[1] ولله درُّ الشاعرِ حينَ قالَ:

يقولون هذا عندَنا غيرُ جائزٍ ومَن أنتم حتى يكونَ لكم عندُ

ثانيًا: النشراتُ المراهقةُ؛ تظهرُ في التربيةِ والتعليمِ نشراتٌ أسبوعيةٌ أو قل يوميةٌ يتمُ إحباطُ أكثرِها بعد ممارستِها لفترةٍ وجيزةٍ، الهاتفُ النقالُ مسموحُ به في المدارسِ، ومن ثمرتِه كذا وكذا، ثم تُوزعُ المطوياتُ والكتبُ والتي تُنفقُ من أجلِ إخراجِها مئاتُ الآلفِ من الريالاتِ، وبعدَ أسبوعين، نقولُ: الهاتفُ المحمولُ مضرٌّ بأبنائِنا، ومِن أضرارِه كَيْتَ وكَيْتَ مِن أجلِ ذلك لا يُسمحُ باستخدامِه هنا . باللهِ عليكم؛ أين خبراءُ المؤسسةِ التعليميةِ؟! وأين المشرفون؟ أليس هذا من التخبطِ الذي يقوضُ صرحَ التعليمِ مِن أساسِه؟ ويدلُ على الاضطرابِ في الرؤى! إننا في الأمةِ

(١) مثلٌ يُضربُ لمن يَفقدُ القدرةَ على التفكيرِ السليمِ، فلا يستطيعُ اجتيازَ ما يَقابلُ مِن عقباتٍ أو أيِّ مواقفَ عصيةٍ، وهو يشبهُ المثلَ القائلَ: فاقدُ الشيءِ لا يعطيه .

الإسلاميةِ بحاجةٍ إلى مسؤولين وخبراء يتجاوزون العشوائية؛ ويكفرون بالغوغاية، ويحتكمون إلى الحقائقِ لا إلى الوهمِ، ولا ينسون وهم يتطلعون إلى السماءِ أنهم واقفون على الأرضِ، فلا يجرون وراءَ الخيالِ، ولا يسبحون في غيرِ ماءٍ، ولا يطيرون بغيرِ جناحٍ، مسؤولين وخبراء لا يسبحون في البرِ، ولا يحرثون في البحرِ، ولا يبذرون في الصخرِ، ولا ينسجون خيوطًا من خيال، ولا يبنون قصورًا في الرمالِ.

ثالثاً: عدمُ العنايةِ بالطالبِ، ويتمثلُ ذلك في أمورٍ شتى منها:

- عدمُ المبالاةِ في غيابِه وهروبِه مِنَ المدرسةِ، ولو جاوزت مدةُ غيابِه شهرًا.

- وضعُ لجنةِ التحصيلِ الدراسيِّ لتقومَ برفعِه من أدنى فصلٍ إلى أعلا، وإن كان فاشلًا لا يستحقُ نجاحًا.

- اشغالُ الطالبِ بالموادِ المستهجنةِ التي لا تعودُ له، ولا إلى أمتهِ بشيء كالموسيقى.

- تفريغُ الموادِ وتكثيرُها لغيرِ داعٍ وفائدةٍ بحيثُ تشتتُ فكرَ الطالبِ.

- منعُ العقابِ بالضربِ مع أنَّه مِن وسائلِ العقوباتِ الرادعةِ التي أقرَّها الإسلامُ، فقالَ جلَّ وعلا في معرضِ حديثِه عن المرأةِ الناشزِ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾[1]، وفي السنةِ النبويةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ: "علموهم أولادَ سبعٍ وضربوهم أولادَ عشرٍ" على شرطِ أن يكونَ الضربُ رحيمًا، فلا يكسرُ عظمًا ولا يَخدِشُ لحمًا، فلا أدري ما حجةُ منعِه خاصةً في المراحلِ الأولى من عُمُرِ الطالبِ إلى الصفِ العاشرِ.

---

(١) سورة النساء الآية: ٣٤.

فاتقوا اللهَ تعالى ـ أيُّها المحسنون ـ وكونوا معَ الصادقين، وشدوا رحالَكم إلى الخيرِ، وأصلحوا ما فسدَ مِنَ التعليمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفر اللهَ العظيم فاستغفروه، إنَّه كان غفارًا.

★★★

الحمدُ للهِ الرحيمِ الغفورِ الحليمِ الشكورِ، له ملكُ السمواتِ والأرضِ وإليه تصيرُ الأمورُ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وأتباعِه بإحسانٍ إلى يومٍ يبعثرُ ما في القبورِ ويحصلُ ما في الصدورِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ الإيمان

بَرحَ الخفاءُ، وقد ظهرَ الحقُ لذي عينين، وعلينا أن نعيدَ النظرَ ونطالبَ بعلاجاتٍ ناجعةٍ لكلِ المآسي التي يمرُّ بها قطاعُ التربيةِ والتعليمِ في أمةِ الإسلامِ، وعلى الجهاتِ المختصةِ خصوصًا أن تصلحَ ما فسدَ لترجعَ قوتُه ومكانتُه كسابقِ عهدِه وإلا فإنَّ نذرَ الأميةِ والتخلفِ بشؤون الدينِ والدنيا معًا، قد بدأت تلوحُ في الأُفقِ متمثلةً في ظهورِ أجيالٍ عقيمةِ التفكيرِ، سقيمةِ التدبيرِ، غائبةِ الشخصيةِ، فالوطنيةُ والانتماءُ للوطنِ لا تساويان الشوطين والإضافي[2] بحيث يدمنُ الصغيرُ والكبيرُ، ويحدثُ الجنونُ والهلوسةُ والصراخُ والعويلُ الذي تسربَ من ديارِ الغربِ في هذا المجالِ

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٢) إشارةٌ إلى الرزيةِ التي أصابت كثيرًا من شبابِ وبناتِ العالمِ الإسلاميِّ من إهدارِ أوقاتِهم للنظرِ بالساعاتِ الطوالِ للكرة وسهرهم إلى أنصافِ الليالي أو قبيل الفجرِ، ثم ما يتبعُ ذلك من مناكرَ اقتداءً بالأممِ الأوربيةِ، واعتبروا صنيعَهم هذا وطنيةً وانتماءً للوطن الإسلامي - هدى اللهُ شبابَ وبناتِ الإسلام إلى طريقِ اللهِ المستقيمِ - آمين.

وغيره والنتيجةُ: عشبٌ ولا بعيرٌ[1]، إنَّ أيَّ أمةٍ تعتني بالتوافهِ وتضلُ أبنائَها ولا تستجيبُ لنصحِ الناصحين تُحكمُ على نفسِها بالانتحارِ والاندثارِ يوماً ما.

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ بحاجةٍ إلى شبيبةٍ متسلحةٍ بالعلمِ وإخراجِ العلماءِ والنوابغِ في مجالاتِ الحياةِ المختلفةِ كالعلومِ الشرعيةِ والطبِ والهندسةِ والأحياءِ وغيرِها؛ وهو ما تفتقرُه الأمةُ بسببِ اشتغالِ أجيالِها وتخديرِهم بالحمقاتِ والسذاجاتِ؛ والسؤالُ: هل مِن حلولٍ سريعةٍ ومدروسةٍ من ذوي الاختصاصِ المخلصين لهذه الأزماتِ التي تطيحُ بنظامِ التعليمِ وتقوضُ خيامَه وأركانَه؟ وهل مِن ارتقاءٍ لوضعِ التعليمِ في بلادِ المسلمين؟ ونحن أمةُ علمٍ وتعليمٍ أم سيظلُ التعليمُ بينَ صِفرٍ سالبٍ وصِفرٍ موجبٍ، اللهم سلم سلم.

هذا وصلوا وسلموا على خاتمِ النبين والمرسلين .

(١) مثلٌ يُضرَبُ في وجودِ الشيءِ حيثُ لا يُنتفعُ به.

الخطبةُ السابعةَ عشرَ

لنُصرةِ أهلِ غزةَ مِنَ الصلفِ اليهوديِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه المتصفِ بأعظمِ النعوتِ علوًا وجلالًا وقدرةً وكمالًا وحكمةً وجمالًا؛ أحمدُه سبحانه له الحمدُ المديدُ والشكرُ المزيدُ على نعمٍ لم تزل تتوالى، عزَّ ربًا وجلَّ إلها بلَّغَ المتفائلين أماني وآمالًا، وحطَّ عنهم أصارًا وأوجالًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً هي لدياجيرِ اليأسِ نورًا يتلالى، ولكتائبِ الاحباطِ مرهفاتِ ثقالًا، وأشهدُ أنَّ نبينَا وسيدَنا محمدًا عبدُ اللّٰه ورسولُه أسوةُ البريةِ رجاءً وفالًا، اللهم فيا ربِ صل وسلم عليه بُكرًا وأصالًا، صلاةً لا حدَّ لمنتهاها ولا آجالًا، وعلى آلِه وصحبِه المستقين مكارمَ وأفضالًا، الحائزين من الأماجدِ ما عزَّ مقامًا ومنالًا والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ يرجو من فضلِ المولى جنانًا وضلالًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّٰه

أوصيكم ونفسي بتقوى اللّٰهِ عزَّ وجلَّ فاتقوه ـ رحِمَكم اللّٰهُ ـ واستدركوا ما فاتَ بتوالي العبراتِ والتوباتِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

إخوةَ العقيدةِ

أخرجُ في هذه الخطبةِ عن المعهودِ، فلا أتحدثُ عنِ الموتِ والحشرِ والنشرِ لأني أشعرُ هذه الأيامَ بأنَّ الأمةَ المسلمةَ في عدادِ الموتى، فليسَ هناك أحدٌ يصحُّ أن يوجَه له الخطابُ، وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ أقولُها ثلاثًا.

أيُّها المؤمنون

لا تزالُ أمتُنا الإسلاميةُ رهينةَ المآسي والنكباتِ والشتاتِ والجراحاتِ بما يدُكُّ الأطوادَ، ويدمي الأكبادَ، إنَّها لأيامٌ عصيبةٌ وتداعياتٌ خطيرةٌ ومستجداتٌ قاصمةٌ؛ حربٌ أطبقت غيومُها وانتشرت في الآفاقِ سمومُها، حربٌ مضطرمةٌ وصراعاتٌ محتدمةٌ؛ آثارَ أعداءُ البشريةِ مِن حثالةِ اليهودِ نقعَها، واقتدحوا نارَها، واستفتحوا بابَها حتى أصبحتِ الكرامةُ مسلوبةً، والحقوقُ منهوبةً، والأراضي مغصوبةً.

في كلِّ أفقٍ على الإسلامِ دائرةٌ ... ينهدُّ مِن هولِها رُضوى وثهلان

أمةَ النصرِ الموعودِ والبطولةِ والصمودِ

غيرُ خافٍ عليكم ما برَّحَ بالقدرِ استمرارُ الصلفِ الصهيونيِّ الحاقدِ بوحشيتِه وإجرامِه على إخواننا المستضعفين الصامدين في غزةَ الشامخةِ الأبيةِ، مسترسلًا في رعوناتِه العدوانيةِ، وغاراتِه البربريةِ، وإبادتِه الجماعيةِ منسلخًا من أدنى المشاعرِ الإنسانيةِ في مجزرةٍ دمويةٍ بشعةٍ لم ترحم شيخًا ولا طفلًا ولا امرأةً؛ ومحرقةٍ مخيفةٍ مروعةٍ لم ترع حُرمةَ المساجدِ والمدارسِ والجامعاتِ والمشافي والمرافقِ العامةِ وسائرِ مقوماتِ الحياةِ في تحدٍ سافرٍ لكلِ العهودِ والمواثيقِ الدوليةِ؛ ودونَ أيِّ وازعٍ من دينٍ أو قيمٍ أو رادعٍ من خلقٍ أو ضميرٍ في ظلِ صمتٍ دوليٍّ رهيبٍ وخياناتٍ عربيةٍ، وعلى إثرِ تلك الكهومِ الملبدةِ التي تعصفُ بأمتِنا الإسلاميةِ، ولا سيما حدثُ غزةَ سيطرت على كثيرٍ مِنَ المسلمين أطروحاتُ المحللين والمفكرين والإعلامين، فختلطَ الحنينُ بالرُّغاءِ، والحابلُ بالنابلِ، وقيلَ:

انج سعدًا فقد هلكَ سعيدٌ، فعظمتِ الخلافاتُ وأطلَ أهلُ الشقاقِ والنفاقِ، وتكدَّرَ المورِدُ الزلالُ، وذرَّ الخائنون المفلسون الرمادَ على العيون، وحسابُهم على اللهِ، ومع هذه المحنةِ لنا كلماتٌ.

الكلمةُ الأولى: حملَ هذا الواقعُ المرُّ فئامًا من المسلمين على الإيلاج في سرادبِ الاحباطِ، ونصبوا أشرعتَهم لرياحِ اليأسِ والقنوطِ تتقاذفُهم صوبَ العناءِ، فلا ترى إلا التشاؤمَ، ولا تسمعُ إلا التلاومَ، ولا تلقى إلا الشاكين، ولا تواجُه إلا الباكين في أمةِ الإسلامِ، فتعودُ لنفسك متمثلًا:

كل مَن لا قيت يشكو دهرَهُ ... ليتَ شعري هذه الدنيا لمن؟

إنَّ المطلوبَ مِن أمةِ الإسلامِ أن تتمسكَ بالأملِ والتفاؤلِ وإقصاءِ القنوطِ ونبذِ الاحباطِ؛ فالقنوطُ سُدفةٌ مِن سُدَفِ الظلامِ، تُعطّلُ في المسلمين نورَ القوةِ وتحبطُ عزيمتَهم وتجعلُهم مفترقًا للضياعِ؛ لذلك زجرَ الإسلامُ عن هذه الصفةِ القاتمةِ المخلخلةِ، قالَ سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[1]، وقالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2] إنَّ الشعورَ بالاحباطِ من حالِ الأمةِ الإسلاميةِ تمردٌ مبطنٌ عن مقاماتِ الخضوعِ والتسليمِ لحكمةِ اللطيفِ الخبيرِ وسوءِ ظنٍ بالمولى البرِ الرحيمِ ومخالفةٍ صارخةٍ لهديِ سيدِ المرسلين حينَ قالَ(ﷺ): "ويعجبُني الفألُ، قالوا - يا رسولَ اللهِ -: وما الفألُ؟ قال: الكلمةُ الطيبةُ".

أيُّها المؤمنون

ما يدريكم لعلَ الخيرَ كامنٌ في الشرِ وربَّما الخيرُ كلَّ الخيرِ في فواتِ المحبوبِ، والأيامُ دولٌ، وسيبلغُ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ.

إذا الأمسُ لم يعد فإنَّ لنا غدًا ... نضيءُ بهِ الدنيا ونملؤُها حمدا
وتلبسُنا في الليلِ أفاقُها سَننا ... وتنشرُنا في الفجرِ أنسامُه ندا

(١) سورة الحجر الآية: ٥٦.
(٢) سورة يوسف الآية: ٨٧.

والإسلامُ ما وصلنا إلا بعدَ عسرٍ وضيقٍ حتى ملأَ أرجاءَ الدنيا، وهكذا الدنيا تجرَّعَ أقوامٌ فيها أتراحًا، ونهل آخرون أفراحًا، وتلك مشيئةُ الباري في ملكوتِه وخلقِه أمضاها لحكمةٍ بالغةٍ قضاها.

الكلمةُ الثانيةُ: ومع ما قلناه يكشفُ الواقعُ المريرُ عن حالِ المجتمعِ الدوليِّ ذي الضلعِ الأعوجِ الشيخِ المسنِ الكبيرِ الذي يطففُ في الميزان ويبخسُ المظلومين حقوقَهم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾[1] أين المجتمعُ الدوليُّ وهيئاتُه ومنظماتُه ومجالسُه العالميةُ؟ أين حقوقُ الإنسانِ التي يتشدقون بها؟ بل أين مجلسُ الظلمِ الذي ينادون به؟ أين اليونسيف التي تقولُ: بأنَّها تدافعُ عن الطفولةِ؟ أين الذين يصرخون بأنا نريدُ مجتمعًا يسودُه السلامُ والبُعدُ عن الأسلحةِ المحرمةِ؟ فلترفعوا عقيرتَكم الآن من هذه الحربِ الضروسِ التي يشنُّها مَن لعنَه اللّٰهُ، وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطغوتِ.

أمَّا عن حكوماتِ العالمِ العربيِّ فقد خانتِ اللّٰهَ ورسولَه(ﷺ) والمؤمنين، ولم تقم بأدنى واجبٍ للوقفِ العاجلِ لنزيفِ الدمِ المسلمِ المهراقِ على أرضِ الإسراءِ والمعراجِ، فحسبُنا اللّٰهُ ونعمَ الوكيلُ من هذه الحكوماتِ التي لم ترتقِ لمستوى شعوبِها الباسلةِ التي أبلت بلاءً حسنًا لنصرةِ إخوانهم المرابطين على أرضِ غزةَ، إنَّ الحكوماتِ في العالمِ العربيِّ عليها أن ترفعَ من أدائِها السياسيِّ لحلِ قضايا أمتِها، وإلا فالدائرةُ ستلحقُ كلَّ أحدٍ عاجلًا أم آجلًا أمامَ هذه الأطماعِ الصهيونيةِ المتنامية، إنَّ هذه الحكوماتِ أقلُّ ما يُقالُ عنها أنَّها تعاني مِن إدغامِ بغنةٍ ليسَ لها ظهورٌ أو هي اسمٌ مقصورٌ حركاتُها مقدرةٌ، فلا ترفعُ رايًا ولا تنصبُ قولًا، ولا تجرُّ خبرًا، وهي

(١) سورة المطففين الآيات: ١ - ٤ .

مسؤولةٌ عن العشرين[1] وما زادَ، وهي من أكبرِ مصائبِ الأمةِ الإسلاميةِ، فهي أذلُّ مِن قَيْسيٍّ بحمصٍ[2]، وأذلُّ مِن أمويٍّ بالكوفةِ يومَ عاشوراء[3].

الكلمةُ الثالثةُ: ـ إخوةَ الإيمان ـ إنَّ نصرةَ إخوانكم في غزةَ خاصةً وسائرِ بلادِ الإسلام أمرٌ واجبٌ لا يسقط عن كلِّ قائلٍ: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ (ﷺ)، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4] وقالَ سبحانه: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[5] وفي سنةِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين(ﷺ): " مثلُ المؤمنين في توادِهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحمى والسهرِ" وقالَ(ﷺ): " مَن لم يحدث نفسَه بأمرِ المسلمين فليس منهم "، وفي حديث أبي موسى الأشعريِّ: " إنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضَه بعضًا "، فاتقوا اللهَ وكونوا ظهيراً لإخوانِكم.

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ العظيمِ في قدرِه، العزيزِ في قهرِه، العليمِ بحالِ العبدِ في سرِه وجهرِه، يسمعُ أنينَ المظلومِ عندَ ضعفِ صبرِه ويجودُ عليه بإعانتِه ونصرِه، أحمدُه على القدرِ خيرِه وشرِه، وأشكرُه على القضاءِ حلوِه ومرِه،

---

(١) إشارةٌ إلى عشرين يومًا مضت من قيامِ اليهودِ – عليهم لعنةُ اللهِ تعالى والملائكةِ والناسِ أجمعين – بحربِهم على قطاعِ غزةَ المحاصرِ الباسلِ – شدَّ اللهُ عزائمَهم، ونصرَهم على عدوِّنا وعدوِّهم – آمين .

(٢) ذلكَ لأنَّ حمصَ كلَّها لليمنِ، ليسَ بها مِن قيسٍ إلا بيتٌ واحدٌ .

(٣) ذلكَ لأنَّ سُوقَ الحقدِ رائجٌ على الأُمويينَ، وموجُ بحارِه هائجٌ لدى الشيعةِ، ويكونُ في ذروتِه يومَ عاشوراء حزنًا – بزعمِهم – على مقتلِ الحسينِ بنِ عليٍّ وآلِ البيتِ، وطلبًا لأخذِ الثأرِ مِنَ الذين تسببوا في قتلِه، وعلى رأسِهم بني أُمية .

(٤) سورة الحجرات الآية: ١٠ .

(٥) سورة الفتح الآية: ٢٩ .

وأشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللّهُ وحـدَه لا شـريكَ لـه، وأشـهدُ أنَّ سـيدَنا محمـدًا عبدُه ورسولُه جاهدَ في اللّهِ حقَّ جهادِه طولَ عُمُرِه وسائر دَهره؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

أمَّا **الكلمةُ الرابعةُ** فإنا نهيبُ بالدولِ الإسلاميةِ جميعًا قـادةً وشـعوبًا أن ينفـروا لنصـرةِ إخـوانهم المستضـعفين في غـزةَ ودعـمِ قضـيةِ الأقصـى وفلسطينَ ويكونُ ذلكَ بعدةِ أشياءَ:

أولًا: الضراعةُ إلى اللّهِ والإلحاحُ بالدعاءِ لكشفِ الغُمةِ عنهم استجابةً لقولِـه تعـالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[1] وقولِـه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[2].

ثانيًا: إعانتُهم بالمالِ، وهـو مقـدمٌ علـى جهـادِ الـنفسِ لقولِـه تعـالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾[3] وقالَ سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾[4]؛ وقال(ﷺ): " كلُّ امرئٍ في ظلِ صدقتِه حتى يقضى بينَ الناسِ"، وسُئلَ (ﷺ): ما الصدقةُ ـ يا رسولَ اللّه ـ؟ قالَ: " أضعافٌ مضاعفةٌ وعندَ اللّهِ المزيدُ "، فبذلوا ما بوسعِكم، فالمالُ مالُ اللّهِ، فآتوهم منه، فليس للمرءِ منه إلا ما أنفقَ منه.

ثالثًا: الخروجُ والمشاركةُ في كلِّ مسيرةٍ تضامنيةٍ تقامُ لنصرةِ إخواننا، وهي مجديةٌ، بل مأمورٌ بها، وهي من أساليبِ تغييرِ المنكرِ قال(ﷺ): " من

---

(١) سورة غافر الآية: ٦٠.
(٢) سورة النمل الآية: ٦٢.
(٣) سورة التوبة الآية: ٤١.
(٤) سورة الحجرات الآية: ١٥.

رآى منكم مكراً فليغيره بيدِه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبِه وذلك أضعفُ الإيمان"، وفي هذه المسيراتِ يحسُ إخوانُكم بأنَّكم متلاحمون معهم، تحسون بالآمهم، لا كما يُسوِّقُ بعضُ القاصرين بأن لا فائدةَ منها .

رابعًا: على الأنظمةِ العربيةِ أن تقاطعَ إسرائيلَ، وأيُّ دولةٍ تقفُ عسكريًا واقتصاديًا وتجاريًا مع ثناي الشرِ إسرائيلَ الحثالةِ البشريةِ والشرذمة الصهوينةِ وأمريكا، فهي بعيدةُ الانتماءِ لأوطانها، محاسبةٌ أمامَ اللهِ تعالى على نفاقِها وتخليها عن مطالبِ الإسلامِ الراميةِ لاستئصالِ جرثومةِ الصهيونيةِ العالميةِ .

خامسًا: على المسلمين أن يُفعّلوا مقاطعتَهم لكلِ بضاعةٍ إسرائيليةٍ وإمريكية حسبَ المستطاعِ، وننصحُ كلَّ دولةٍ تقدمُ على المهازلِ والسخفاتِ من تغييرِ أسماءِ هذه البضائعِ بأسماءِ بلدانها فهي موقوفةٌ أمامَ اللهِ .

وختامًا ابذلوا وشمروا واجتهدوا بكلِّ وسيلةٍ متاحةٍ لنصرةِ إخوانكم، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾[1]، ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾[2].

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المختارِ .

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٤.
(٢) سورة الصف الآية: ١٣.

الخطبةُ الثامنةَ عشرَ

الإسراءُ والمعراجُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ المحمودِ بجميعِ المحامدِ تعظيمًا وتشريفًا وثناءً، المتصفِ بصفةِ الكمالِ عزةً وقوةً وكبرياءً، به نصولُ وبه نجولُ وبه نأملُ دفعَ الكروبِ شدةً وبلاءً ودرءَ الخطوبِ ضنكاً ولأواء؛ وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له اختصَّ المسجدَ الأقصى بالفضائلِ معراجًا وإسراءً، وحذَّرنا من كيدِ اليهودِ ووصفَهم بأنَّهم أشدُّ الناسِ للمؤمنين عداءً، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ هذه الأمةِ جهادًا وفداءً، وعلى آلِه وصحبِه الذين ضربوا أروعَ الأمثلةِ صفاءً ووفاءً، اللهم صلِ عليهم صلاةً لا تطاولُها أرضٌ أرضًا ولا سماءٌ سماءً، وسلم تسليمًا يزيدُ بهجةً وبهاءً ونورًا وضياءً وبركةً وثناءً؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ذهبَ نصفُ عامِكم هذا وفاتَ، وتقضت أيامُه ولياليه، وأنتم بصددِ طلبِ اللذاتِ فواعجبًا لقلوبٍ ذاهلةٍ لا تتفكرُ في أيامِها كأنَّها رانَ عليها قبائحُها وأفعالُها، أما ذكَّرتها من الآياتِ مواعظُها وأمثالُها؟ أما أسمعتكُم الزواجرُ النافعةُ أقوالَها؟ أما تبيَّنَ لكم من الشرائعِ حرامُها وحلالُها؛ ذكَّرت وأسمعت وبينت ولكن رانَ على القلوبِ أقفالُها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

أيُّها المؤمنون

(١) سورة الحشر الآية: ١٨.

اسمعوا وعوا فإنَّ موعدَنا مع رحلةٍ أرضيةٍ جويةٍ، فهي تحتاجُ إلى مزيدٍ مِنَ التركيزِ واليقظةِ، وإني أنطلقُ بكم من هنا في هذا الشهرِ الأصمِ أعني رجبَ إلى المسجدِ الحرامِ، فهناك مراسمُ انطلاقِ الرحلةِ الشائقةِ التي أشارَ إليها القرآنُ الكريمُ في سورتي الإسراءِ والنجمِ؛ والتي تبرزُ: الداعي إلى الرحلةِ: هو اللهُ مالكُ الملكِ، المدعوُ: محمدٌ خاتمُ النبيين ـ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ـ الخدمُ: الملائكةُ، العربةُ: البراقُ، بدايةُ الانطلاقِ الأرضيِّ: المسجدُ الحرامُ، نهايةُ الانطلاقِ الأرضيِّ، المسجدُ الأقصى، الانطلاقُ الجويُّ: السمواتُ العلا، الجائزةُ الثمينةُ: الصلواتُ المفروضةُ، الأسرارُ مِنَ الرحلةِ: الأنسُ مِنَ المعانةِ التي تعرَّضَ لها الحبيبُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ وتعجزُ عنها اللسان .

أيُّها الموحدون

وإني أنعطفُ بكم عن الخوضِ في تفاصيلِ هذه الرحلةِ المباركةِ، فأحجزُ الحديثَ عن قضيةِ الأقصى وفلسطين؛ في ذروةِ تداعياتِ الأحداثِ في الأمةِ، وفي ظلِ التهابِ الأوضاعِ في المنطقةِ، بل وفي خضمِّ تفجرِ القضايا في العالمِ ووسطِ هذا الصمتِ العالميِّ، والتخاذلِ الدوليِّ والغليانِ في الشارعِ الإسلاميِّ، لم تبرز قضيةٌ تتجلى فيها ثوابتُنا الشرعيةُ وحقوقُنا التاريخةُ وأمجادُنا الحضاريةُ كما برزتِ الأحقادُ الدوليةُ، وظهرت فيها المتناقضاتُ العالميةُ، وانكشفت فيها حربُ المصطلحاتِ، وتعرَّى فيها بريقُ الشعاراتِ، وسقطَ القِناعُ عنِ التلاعبِ فيها بالوثائقِ والقراراتِ كقضيةِ فلسطينَ مهدُ الأقصى؛ هذه القضيةُ التي دخلت في منظومةٍ شمطاءَ مِنَ العداءِ المعلنِ والمكرِ المبطنِ في تآمرٍ رهيبٍ مِنَ القُوى العالميةِ حتى خرجت قضيةُ فلسطينَ والأقصى من دائرتِها الشرعيةِ إلى متاهاتٍ ومستنقعاتٍ مِنَ الشعاراتِ القوميةِ والإقليميةِ والنعراتِ الحزبيةِ والطائفيةِ؛ وذلك ـ لعمرُ اللهِ ـ يفقدُها قوتَها المحركةَ وطاقتَها الدافعةَ المؤثرةَ حتى تاهت القضيةُ في دهاليزِ الشعاراتِ وظلامِ المفاوضاتِ وأنفاقِ

المراوغاتِ وأكاذيبِ السلامِ وأضحوكةِ حلِّ الدولتين؛ فأصبحَ الحالُ طبقًا للمثلِ السائرِ، قيلَ للبغلِ: مَن أبوك ؟ قالَ : الفرسُ خالي[1].

إخوةَ العقيدةِ

ستظلُ قضيةُ فلسطينَ والأقصى مغيبةً على هذا النحوِ، وسيظلُ مسلسلُ القتلِ والسبيِّ وانتهاكِ العرضِ والأرضِ وتهويدِ القدسِ وتغييرِ الأسماءِ ومحاصرةِ فلسطينَ برًّا وبحرًا وجوًا، فما أشبهَ ليلةَ القدسِ بأندلسَ البارحةِ إنَّه الذُّلُ والهوانُ المكتوبُ على الأمةِ متى ما حادت عن دينِها، لقد ابتعدَ المسلمون عن منابعِ عزِّهم، وحادوا عن رشدِهم، وانتشرتِ المناكرُ بينهم، فهانوا عندَ اللهِ عصوا اللهَ وهم يعرفونه، فسلَّطَ عليهم مَن لا يعرفونه، فكان الهوانُ والضياعُ، ضاعتِ القدسُ يومَ أُميتت مِنَ القلوبِ آلُ عمران والأنفالُ وبراءةٌ ضاعت يوم أُصمت الأذانُ، واستغشيت الثيابُ، ضاعات يوم اهتمَ الجيلُ بالمهازلِ والتوافهِ، فلا هدفَ ولا أدنى غايةٍ ضاعت يومَ سخَّر المحسبون على الإسلامِ أموالَ الأمةِ لضربِ الأمةِ من قواعدِها، ضاعت يومَ ذلَّ الأتقياءُ، وعزَّ الأشقياءُ، وأُغمدت سيوفُ الحقِ ورُفعت سيوفُ الباطلِ.

لكلِّ فاجعةٍ في الدهرِ سُلوانُ ... وما لنكبةِ أرضِ القدسِ سُلوانُ
هذي مأذنوه خرساءُ ذاهلةٌ ... فلا أذانٌ ولا في الناسِ أذانُ

أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الواحدِ القهارِ، العزيزِ الغفارِ، أحمدُه تعالى على نعمِه الغزارِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ الواحدُ القهارُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا (ﷺ) النبيُّ المختارُ، وعلى آلهِ وصحبِه الأطهارِ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) مثلٌ يُضربُ للمخلطِ أو لمن يفخرُ بشيءٍ لغيرِه .

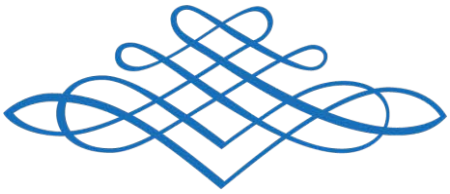
فيا أيُّها المؤمنون

إنَّ قضيةَ أوَّلِ القبلتين وثالثِ المسجدين ومسرى سيدِ الثقلين هي القضيةُ الأمُ من بينِ أطنانِ القضايا السائبةِ والمستأنسةِ في العالمِ الإسلاميِّ يجبُ أن تظلَ قضيةُ الأقصى وفلسطين في قلبِ كلِّ مسلمٍ، ولا يُقبلُ التنازلُ والتغاضي عنها يومًا من الأيامِ، على المؤمنين أن يعلموا أن الصلفَ اليهوديَّ العدوَ الألدَ لكلِّ مؤمنٍ بمنطوقِ الكتابِ الكريمِ ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[1] على المؤمنين أن ترسخَ في عقولِهم أنَّ فلسطينَ دولةٌ واحدةٌ، وليس من حقِ اليهود فيها كفٌ مِن ترابٍ على المؤمنين دولًا وشعوبًا أن يكفوا عن الزهدِ والورعِ والقناعةِ في خوضِ هذه القضيةِ التي تزدادُ تعقيدًا يومًا بعدَ يومٍ بسببِ الفسادِ المستشري من خبطٍ وتعسفٍ وهُزالِ التفكيرِ في العالمِ الإسلاميِّ.

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ إسرائيلَ دولةٌ ممنوعةٌ من التصريفِ للعلميةِ والعجمةِ للعلميةِ والتركيبِ، فاتحدوا بكلِّ وسيلةٍ ناجعةٍ إيمانًا وعقيدةً إصرارًا وتوعيةً مطالبةً وقوةً لتصريفِها وصرفِها مِن ديارِ الإسلامِ والأقصى المباركِ .

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .



(١) سورة المائدة الآية: ٨٢ .

الخطبةُ التاسعةَ عشرَ

انفولنزا الخنازيرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الواسعِ عطاؤُه، الساطعِ بهاؤُه، الواقعِ قضاؤُه، الذي لا يرادُ في حكمِه ولا يراجعُ، ولا يضادُ في ملكِه ولا ينازعُ، ولا يعارضُ في مُرَادِه ولا يمانعُ، ناصرٌ مَن تحققَ بنصرِه، وذاكرٌ مَن تعلَّقَ بذكرِه، ومهلكٌ مَن تجبَّرَ بكفرِه، ومدركٌ مَن خالفَه وفسقَ عن أمرِه، الذي لا تعزبُ عنه الأسرارُ، وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدارٍ، ذلك اللّٰهُ الذي لا إلهَ إلا هو العزيزُ الغفارُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ شهادةً أستجرُّ بها مضمونَ وعدِه، وأطلبُ بها جزيلَ رِفدِه، وأستنزلُ بها البركاتِ مِن عنده، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المظللُ بالسحابِ خيرُ ماشٍ على الترابِ، وعلى آلِه وأصحابِه الشيوخِ الأبرارِ ومعادنِ الوقارِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

كأنَّكم ترون أنفسَكم بل ترون أنفسَكم في هذه الأيامِ وما بعدَها؛ كيف تفرون وتتقون هجيرَ الشمسِ وفصلَ المصيفِ وتتبردون بالماءِ وتستعملون أجهزةَ التبريدِ؛ وبما أنَّكم تخشون ذلك فإنَّكم أحرى أن تَفِرُّوا وتتقوا نارًا تلظى، لا يخمدُ سعيرُها، ولا يوقرُ كبيرُها، ولا يرحمُ صغيرُها، ولا يجبرُ كسيرُها، لباسُ أهلِها الحديدُ، وشرابُهم فيها الصديدُ وعذابُهم فيها جديدٌ، والفرحُ عنهم بعيدٌ قد شملَهم الإياسُ، وحلَّ بهم الإلباسُ، فاتقوا النارَ التي وقودُها الناسُ والحجارةُ أُعدت للكافرين.

أيُّها المؤمنون

الغذاءُ ضروريٌّ لبقاءِ الحياةِ البشريةِ، ومِن رحمةِ اللهِ تعالى أن رزقَنا وبيَّنَ لنا ما حرَّمَ علينا، وفي القرآن سورةُ الأنعامِ فيها ذكرٌ لكثيرٍ مِن أحكامِ الأطعمةِ غيرِ ما ذكرَ في سواها من السورِ والآياتِ، فلا مجالَ للنظرِ، وقد كفانا اللهُ تعالى ذلك بعلمِه المحيطِ بكلِّ شيءٍ، وقد قالَ: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[1] ومعلومٌ أنَّ شهوةَ ملءِ الجوفِ بالطعامِ تتكسرُ أكثرَ مِن شهوةِ الفرجِ، والمرءُ يصبرُ على تركِ النكاحِ ما لا يصبرُ على فقدِ الطعامِ والشرابِ، فمظنةُ الوقوعِ في إثمِ إشباعِ الجوفِ بالمحرمِ أكثرُ من مظنةِ الوقوعِ في إثمِ إشباعِ الفرجِ بالمحرمِ، ولذا كانَ مِن خطواتِ الشيطانِ أن يزينَ للناسِ أكلَ بعضِ المحرماتِ لتوافرِها أو لرُخصِ قيمتِها أو لتوهمِ لذتِها أو مِن بابِ تجريبِها.

أيُّها الموحدون

ومِن هذه الأطعمةِ المحرمةِ الخنزيرُ، وهو مخلوقٌ بغيضٌ قبيحٌ خبيثٌ؛ حيوانٌ قذرٌ في طُرزِه[2] حياتِه اليوميةِ، شبقٌ حريصٌ نهمٌ يلتهمُ الأقذارَ والنجاساتِ حتى جيفَ أقرانِه، ابتلى اللهُ تعالى به البشرَ، وحرَّمَه تحريمًا شديدًا، كررَ التأكيدَ عليه في أربعِ آياتٍ مِنَ القرآن الكريمِ قالَ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾[3]، وقالَ سبحانه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[4] قالَ المفسرون: أجمعتِ الأمةُ على أنَّ الخنزيرَ بجميعِ أجزائِه محرمٌ، وإنَّما ذكرَ اللهُ تعالى لحمَه لأنَّ معظمَ الانتفاعِ متعلقٌ به، وفي السنةِ النبويةِ على صاحبِها ـ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ: "إنَّ اللهَ حرَّمَ الخمرَ وثمنَها، وحرَّمَ الميتةَ وثمنَها، وحرَّمَ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١١٩ .
(٢) طُرُز: أنماطٌ وأشكالٌ .
(٣) سورة النحل الآية: ١١٥ .
(٤) سورة المائدة الآية: ٣ .

الخنزيرَ وثمنَه"، وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقولُ: " قاتلَ اللهُ اليهودَ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لما حرَّمَ عليهم شحومَها أجملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنَه "، وكفى بذلك تنفيرًا.

أيُّها المسلمون

إنَّ الخنزيرَ والأمراضَ التي يسببُها للإنسانِ كثيرةٌ، فمنها أمراضٌ ينقلُها الخنزيرُ بقذاراتِه كالحُمرانيةِ المعروفةِ بحصبةِ الخنزيرِ، والداءِ اليرقانيِّ، ومنها: أمراضٌ سببُها الوحيدُ أكلُ لحمِ الخنزيرِ كالطفحِ الجلديِّ، وأمراضٌ مِن عواملِها أكلُ لحمِ الخنزيرِ كتصلبِ الشرايين والآلامِ المفصليةِ.

فاتقوا اللهَ يا أولي النهى، واستحلوا ما أحلَّ اللهُ، وحرِّموا لأنفسكم ما حرَّمَه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾[1] بارك اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ إنَّه كانَ غفارًا .

★★★

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نَبيَ بعدَه، وبعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

تتوالى على البشرِ في هذه الأعصارِ المتأخرةِ أمراضٌ وأوبئةٌ يخشون فتكَها، ويحاذرون ضرَّها، وخلالَ السنواتِ الماضيةِ عرفَ الناسُ حُمَّى الوادي المتصدعِ التي أصابتِ الأغنامَ، ثم جنونَ البقرِ، ثم انفلونزا الطيورِ التي أثبت كثيرٌ مِنَ الباحثين والمختصين، أنَّ سببَها الخنازيرُ التي احتضنتِ المرضَ فنقلتْه الطيورُ منها، لتظهرَ في هذه الأيامِ انفلونزا الخنازيرِ، وقد ثبت في أبحاثِ الغربيين أنَّ الخنزيرَ مرتعٌ خصبٌ لأكثرَ مِن أربعمائة وخمسين مرضًا وبائيًا، وهو يقومُ بمهمةِ الوسيطِ في نقلِ سبعة وخمسين

(١) سورة الأعراف الآية: ١٥٧ .

منها إلى الإنسان، ولكن عُلّوهم يجعلُهم يكابرون الحقائقَ الماثلةَ ولو ضروا أنفسَهم، والآن يجنون ثمارَ هذا الاستكبارِ، ويجرون البشريةَ معهم إلى هوةٍ سحيقةٍ ذلك أنَّ الدلائلَ تشيرُ إلى احتمالِ تفشي أوبئةٍ أكثرَ فتكًا تحملُ اسمَ طاعونِ العصرِ، وقبل اثنين وأربعين سنةً انتشرَ ما يُعرفُ بانفلونزا الخنازيرِ، فقتلَ مليونَ شخصٍ في مختلفِ أنحاءِ العالمِ، وفي تاريخِ إسبانيا ذُكرَ فيروسٌ للانفلونزا صدرَ مِن ديارِهم، فقتلَ على وجهِ البسيطةِ ما يقاربُ من مائةِ مليونِ إنسانٍ، وذلك قبل تسعين سنةً من الآن.

إنَّ هذه الأمراضَ المتلاحقةَ والنذرَ المتدفقةَ التي يخافُها البشرُ لتدلَ على عجزِهم وضعفِهم أمامَ قدرةِ اللهِ جلَّ جلالُه، وليست عنا ببعيدٍ مع بُعدِنا عنِ النهجِ القويمِ، نهجِ سيدِ المرسلين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾[1] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[2] إنَّ استنكافَ البشرِ وغربتَهم عن شريعةِ اللهِ هو الهلاكُ الواقعُ في العاجلِ والآجلِ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾[3] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[4].

هذا وصلوا وسلموا على الصادقِ الأمينِ.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٧.
(٢) سورة المدثر الآية: ٢.
(٣) سورة سبأ الآية: ١٧.
(٤) سورة الشورى الآية: ٣٠.

الخطبةُ العشرون

الحثُّ على استغلالِ إجازةِ الصيفِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي دبَّرَ وخلقَ، ورفعَ السمواتِ بلا عمدٍ ولا علقٍ، وسطحَ الأرضين على الماءِ فأطبقَ، وأجرى النيرين في الفلكِ فأشرقَ، وأظلمَ الليلَ فأدجى وأغسقَ، وأجرى الأبحرَ فأدفقَ، وأنزلَ القطرَ على الحبِ فأربى وفلقَ، وساقَ الغيمَ سوقًا فأرعدَ وأبرقَ، وقدَّرَ المقاديرَ ففتقَ ورتقَ، وجعلَ الأشياءَ مِنَ الأشياءِ فتعلقَ، وصوَّرَ الخلقَ في الأرحامِ فرزقَ، وحاسبَ عبادَه بنفسه فرفقَ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه شهادةً تقي مِن الشركِ والنفاقِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) وعلى أصحابِه صلاةً تجزي جهادَهم الصادقَ، وتكرمُ فضلَهم السابقَ، وتعلي مقامَهم السامقَ وسلم عليهم سلامًا من شآبيبِ رحمتِك، يجمعنا بهم في فسيحِ جنتِك؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إني أحذِّرُكم مخالبَ الدنيا، فكم واثقٍ بها قد فجعته، وكم من ذي أبَّهةٍ قد صيرته حقيرًا، وكم من ذي اختيالٍ فيها قد خدعته، وكم مِن ذي اطمأنينةٍ قد صرعته وذي نخوةٍ فيها قد أردته ذليلًا، سلطانُها دولٌ وعيشُها رنقٌ، وعذبُها أجاجٌ، وحلوُها مرٌّ، مليكُها مسلوبٌ، وعزيزُها مذلولٌ، وصحيحُها منكوسٌ، وجامعُها محروبٌ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [1].

أيُّها السادة الموحدون

أعيروني أسماعَكم وقلوبَكم لموجزِ الأنباءِ، ركبت جماعةٌ سفينةً، وكانَ في هذه السفينةِ ثقبٌ يدخلُ منه الماءُ، فتشاغلَ الجماعةُ بحمايةِ هذه السفينةِ من قراصنةِ البحرِ عن سدِّ هذا الثقبِ، فما مصيرُ هذه السفينةِ الشقيةِ بأهلِها؟! إنَّ مصيرَ هذه السفينةِ أنَّها تغرقُ في أوَّلِ ساعةٍ، ولكنَّ الواقعَ أنَّ هذا الثقبَ الذي كانَ يفورُ منه الماءُ قد أهملوه وتشاغلوا عنه بحديثِ القراصنةِ الخيالين الذين كانوا قد سَمِعوا عنهم شيئًا كثيرًا.

والسفينةُ هي أرضُ الإسلامِ، والجماعةُ هم المسلمون وهي تعبِّرُ بصدقٍ عن الاضطرابِ الفكريِّ، والتموجِ العقليِّ والرؤيةِ المقلوبةِ في الوضعِ المهلهلِ[2] المزقِ الذي يتسمُ بالفوضى واللامبالةِ وعدمِ الإدراكِ بالمسؤوليةِ في قطاعٍ عريضٍ مِن أمةِ الإسلامِ، فكثيرٌ مَن يقولُ: زيدٌ عناك، فحالنا كشقي قيلَ له: هلمَّ إلى السعادةِ فقال: حسبي ما أنا فيه!

أيُّها المسلمون

إنَّ المسؤوليةَ للحفاظِ على المنتسبين لأمةِ الإسلامِ وصيانةِ ثقافتِهم ومقدراتِهم والدفاعِ عن ذَمارِهم متعينةً على كلِّ مسلمٍ، والنصحُ للهِ ولرسولِه (ﷺ) ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم فرضٌ لا يخرجُ عنه مستطيعٌ، وما أحسنَ ما قيلَ: " علِّم ما تعلمت " فلا يجوزُ بحالٍ من الأحوالِ ـ أيُّها الإخوانُ ـ أن نتركَ حياتَنا في خطرٍ، وفيها ثقوبٌ كثيرةٌ، وفيها منافذُ كثيرةٌ يدخلُ منها الماءُ، وتغرقُ هذه السفينةُ .

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢٠ .

(٢) المهلهل: غيرُ المتماسكِ .

أيّها المؤمنون

ومِنَ المسؤوليةِ العظيمةِ المتعينةِ في هذه الأسابيعِ خاصةً، والتي نعيشُها العنايةُ بالناشئةِ مِنَ البنين والبناتِ حيث يدخلون في غمرةِ الإجازةِ الصيفيةِ التي لا تخرجُ عن أمرين اثنين: عمارٍ أو دمار؛ ولا يخفى أنَّ من أكثرِ دواعي الانحرافِ عندَ الناشئةِ استحكامُ الفراغِ القاتلِ فبه ينحرفُ الأولادُ، ويزيدُ الفسادُ، ويكثرُ الإجرامُ، ولا سيما أننا في زمنِ الدشِ والنقالِ والإنترنتِ والأفكارِ المارقةِ المشبوهةِ التي تنفثُ سُمَّها صباحَ مساء.

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ كلَّ عامٍ تُؤذنُ فيه ساعةُ الإجازةِ معلنةً عن فراغٍ طويلٍ وخاصةً عندَ المراهقين مِنَ الجنسين، فكانَ النداءُ الأولُ إلى الأساتذةِ المعلمين، لتعلموا أنَّ من أحسنِ الأقوالِ الدعوةَ إلى اللهِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] على المعلمين أن يشدوا الهمةَ لتعليمِ الجيلِ بفتحِ المراكزِ الصيفيةِ لاستقطابِ الناشئةِ، وليكن كتابُ اللهِ مِن أهمِ الموادِ تعليمًا ورعايةً، قالَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " علموا أولادكم القرآنَ فإنَّه أوَّلُ ما ينبغي أن يتعلمَ مِن علمِ اللهِ هو"، ثم السنةُ النبويةُ قالَ(ﷺ): " تركتُ فيكم شيئين ما إن تمسكتُم بهما لن تضلوا أبدًا كتابَ اللهِ وسنتي"، وننصحُ بإدخالِ مادةٍ فكريةٍ تكشفُ الواقعَ المتأزمَ والأفكارَ المنحرفةَ الدخيلةَ ووسائلَ الاتصالِ الحديثِ .

أيُّها الإخوةُ المعلمون

إنَّ التنكرَ والتهربَ عن تعليمِ الجيلِ وأمرِه بالمعروفِ ونهيهِ عن المنكرِ جريمةٌ أوجبت هلاكَ قومٍ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن

(١) سورة فصلت الآية: ٣٣ .

﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1] فحذارِ حذارِ أن تعتذروا بالعذرِ القبيحِ، فإنَّ الانسحابَ عن ثغورِ الإسلامِ خيانةٌ عظيمةٌ وذنبٌ كبيرٌ يوجبُ الخزيَ والبوارَ ـ واللهُ المستعانُ ـ.

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بسنةِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلت، وأستغفرُ اللهَ لي، ولكم فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للهِ حمدًا يليقُ بجلالِه، وعظيمِ سلطانِه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ أمَّا بعدُ:

فإليكم النداءُ الثاني فيا وليَّ الأمرِ عجبًا منك، أولادُك أمانةٌ في عُنقِك ولا تبالي بفسادِهم يا وليَّ الأمرِ، أيرضيك أن يكونَ ولدُك عالةً عليك وعلى غيرِك وعلى أمتِه يا وليَ الأمرِ ابنُك سيسألُك أنَّك لم تستقم لي فكيفَ أستقيمُ لك!! قالَ الشاعرُ:

ترجو الوليدَ وقد أعياك والدُه ... وما رجاؤك بعدَ الوالدِ الولدا

واسمعوا قصةً واقعيةً حضرَ رجلٌ ومعه زوجُه يشكوان عقوقَ ابنيهما عندَ القاضي، فطلبَ الابنين العاقين، فلمَّا سَألهما عن ذلك اعترفا، وقالا: نعم. هذا صحيحٌ ولكن نطلبُ منك لحظةً، فلما سمحَ لهما أدخلا جدَّهما العجوزَ، وقالا: هذا جدُّنا، وقد عقَّه أبونا منذ ثلاثين سنةً، ومثل ما هو عقَّ أباه نحن نعقُ أبانا، فهذه ثمرةُ التربيةِ، وكما تدينُ تدانُ يا وليَّ الأمرِ لو سمحت وتكرمت حُثَّ أولادَك لحضورِ المراكزِ الصيفيةِ ودعمهما ماديًا ومعنويًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٧٩.

(٢) سورة التحريم الآية: ٦.

أمَّا النداءُ الثالثُ فإلى الناشئةِ فلذاتِ الأكبادِ: المراكزُ الصيفيةُ سبيلٌ لاستغلالِ أوقاتِكم، زيارةُ المكتباتِ غذاءٌ لأرواحِكم، التردُدُ إلى حلقِ العلمِ وأهلِ العلمِ طمأنينةٌ لقلوبِكم، لا تجعلوا غايةَ همومِكم اللعبَ الزائدَ واللهوَ الطافحَ والسهراتِ الليليةَ على ضفافِ الشوارعِ، وفي بطونِ الفلواتِ إياكم وإهمالَ الساعاتِ في غيرِ الطاعاتِ، فإنَّه ـ واللهِ ـ الندمُ ولاتَ ساعةَ مندمٍ.

أيُّها المؤمنون

لا نحبُ الاسهابَ والاطنابَ، فالصيفُ قد اتخذَ من صدورِ المجالسِ أريكةً ومقامًا، وأوقدَ بسعيرِه هواءً وماءً، وإنكم لتمرون بأيامٍ عصيبةٍ من هيمنةِ القحطِ والجفافِ على ديارِكم فاسألوا اللهَ من فضلِه، فإنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنين.

هذا وصلوا وسلموا على سيدِ ولدِ آدمَ ولا فخرَ .

الخطبةُ الحاديةُ والعشرون

الوقايةُ مِنَ الأمراضِ المعديةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي لا تحيطُ بمعرفةِ ذاتِه الأفكارُ، ولا تلحظُه لواحظُ الأبصارِ، ولا تحركُه خواطرُ الأخطارِ، ولا تخفى عليه خوافي الأسرارِ، هو الأولُ قبلَ أوائلِ الأدهارِ، والآخرُ بعدَ أواخرِ الأعصارِ، والدائمُ بعدَ أوائلِ الإكوارِ، والمكورُ الليل على النهارِ والمحيطُ علمًا بالفلكِ الدوارِ، والعالمُ بغرزِ مياهِ البحارِ، والمحصي مثاقيلَ وزنِ القفارِ، والمدركُ عددَ ورقِ الأشجارِ، وعددَ ما أظلمَ عليه ليلٌ وأشرقَ عليه نهارٌ، نحمدُه حمدًا يبلغنا مشارقَ الأنوارِ، ويسلكُ بنا مسالكَ الأبرارِ، ويبوئنا نعيمَ دارِ القرارِ.

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً يَطمئنُ القلبُ بذكرِها، ويتضوعُ محيطُ النفسِ بطيبِ نشرِها، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه النبيُّ المختارُ وسيدُ الأخيارِ، اللهم صلِ وسلم عليه، وعلى أصحابِه ما اطّردَ الليلُ والنهارُ، وما لاحت الأنوارُ، وغردتِ الأطيارُ، وأورقتِ الأشجارُ، وأينعتِ الثمارُ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

إنَّ تقوى اللّٰهِ خيرُ ذخرٍ يُدخرُ، وأفضلُ لباسٍ يُزيِّنُ ما بطنَ وما ظهرَ، هي الطريقُ لكلِ خيرٍ، والسياجُ المنيعُ مِن كلِّ شرٍ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ

جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[1]﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[2].

ولا شكَ أنَّكم تُدركون بأنَّ اللّهَ تعالى جعلَ الدنيا محفوفةً بالكُرهِ والسرورِ والصحةِ والمرضِ؛ فما قلنا عنِ الدنيا حاليةً حتى كانت خاليةً وما أطالتِ الثوى حتى ألبست البِلى، وما حلى فيها عيشٌ إلا أوحلى، ولا غروَ أنَّ زمانَنا هذا هو آخرُ الزمان، والفارقُ بينَ السبابةِ والوسطى هو ما بقيَ عنِ الحبيبِ (ﷺ) رويَ إذ الفتنُ تستعرُ، والآفاتُ تنتشرُ، فما أمنَ الناسُ أسبابَ الهلاكِ مِنَ القنابلِ الذريةِ والمفاعلاتِ النوويةِ حتى سرى فيهم الهلعُ المهلعُ والخوفُ المروعُ من أصغرِ مخلوقاتِ اللّهِ تعالى بقدرتِه النافذةِ عندما يزيدُ الخبثُ، وتسرحُ المناكرُ، ويغيبُ شرعُ اللّهِ تعالى، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾[3] وهذه الأوبئةُ المعديةُ مِنَ العذابِ الأدنى الذي يلقيها المولى جلَّ وعلا على عبادِه، لعلهم يؤبون، ويرجعون إلى رحابِه قالَ سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢١﴾[4] و قالَ عزَّ قائلًا عليمًا: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤٨﴾[5].

واعلموا ـ يا رعاكم اللّهُ ـ أنَّ هذه الأوبئةَ التي تظهرُ في عالمِنا، وهذه الأمراضُ والكوارثُ المتتابعةُ التي تنذرُ بأخطارٍ عظيمةٍ وكوارثَ أليمةٍ لها

(١) سورة الطلاق الآيات: ٢ – ٣.
(٢) سورة الطلاق الآيات: ٤ – ٥.
(٣) سورة الروم الآية: ٤١.
(٤) سورة السجدة الآية: ٢١.
(٥) سورة الزخرف الآية: ٤٨ .

علاجاتٌ فاعلةٌ وحميةٌ ووقايةٌ نافعةٌ منها علاجاتٌ معنويةٌ، وهي أقوى أثرًا، ومنها الإيمانُ والتقوى، قالَ سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1] ومِن ذلك الاستغفارُ والرجوعُ إلى اللهِ تعالى، فذلك سببٌ لدرءِ المرضِ وانحسارِ الوباءِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] فأكثروا مِنَ الاستغفارِ، ومنها الصدقةُ، فعنه (ﷺ): " الصدقةُ تُطفئُ غضبَ الربِّ"؛ "وتعليمُ الصغارِ يُطفئُ غضبَ الربِّ"، وقولُه(ﷺ): " داووا مرضاكم بالصدقةِ "، ومنها الزكاةُ، وقد حذَّرَ المصطفى (ﷺ) مِن مغبةِ منعِ الزكاةِ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " ما تلفَ مالٌ في برٍ ولا بحرٍ إلا بحبسِ الزكاةِ "، وقال ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " ما خالطتِ الزكاةُ مالًا إلا أهلكته "، ومن ذلك الدعاءُ، ففي الحديثِ الذي يرويه أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ (ﷺ): " استعينوا على حملِ البلاءِ بالدعاءِ والتضرعِ".

واستمعوا ختامًا لآياتِ الكتابِ، فلا أكرمَ ولا أهدى منها، واحذروا أن تكونوا ممن ذُكِّرَ بآياتِ ربه فأعرضَ عنها، أعوذ باللهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[3] ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[4].

★★★

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٦.
(٢) سورة الأنفال الآية: ٣٣ .
(٣) سورة هود الآية: ٥٢ .
(٤) سورة هود الآية: ٦١ .

الحمدُ للّه ربِّ الأربابِ ومسببِ الأسبابِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ العزيزُ الوهابُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن قامَ بالدعوةِ والاحتسابِ (ﷺ) وعلى آلِه وصحبِه أولي الأبصارِ والألبابِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

أمَّا العلاجاتُ الحسيةُ لكلِّ مرضٍ وبائيٍ، فما حرصَ عليه الإسلامُ وثبت في السنةِ النبويةِ على صاحبِها ـ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ مِن تطويقِ المرضِ المعدي، والقضاءِ عليه في مكانه ومهدِه بفرضِ نظامِ الحَجْرِ الصحيِّ بدون تساهلٍ وتبريراتٍ صيانةً للمجتمعِ وحفاظًا عليه مِنَ العدوى قالَ (ﷺ): " إذا سمعتم بالطاعون في أرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها "، ولما أرادَ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ أن يدخلَ الشامَ، وأخبروه أنَّ الطاعونَ قد دخلَ فيها، فهمَّ بالرجوعِ، فقالَ له أبو عبيدةَ عامرُ بنُ الجرَّاحِ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ: أفرارًا مِن قدرِ اللّه! فقالَ له أميرُ المؤمنين عمرُ: لو غيرُك قالَها يا أبا عبيدةَ، نعم. نَفِرُّ مِن قدرِ اللّهِ إلى قدرِ اللّهِ.

ومِن سيرِ الأصحابِ أنَّ الإمامَ ناصرَ بنَ مرشدَ اليعربيَ ـ رحمَه اللّهُ ـ قد منعَ المجاذيمَ مِنَ الاغتسالِ في الأفلاجِ حيث يخالطون الناسَ، فمن خالفَه عاقبَه بالحبسِ، وهكذا فرضَ الإمامُ محمدُ بنُ عبدِ اللّه الخليلي ـ رحمه اللّه ـ نظامَ الحجرِ الصحيِّ للمصابين بمرضِ الجُذامِ، وفي رسالةٍ عن أحدِ الأشياخِ جاءَ فيها: ـ لما علمَ أنَّ أحدَ الناسِ مصابٌ بمرضِ الجذامِ ما نصه ـ: " فقد وصلَ إلينا وعرضناه على المجاذيمِ، فرأوا به علةَ الجذامِ متبلغةً فيه، فهو الآن يرضى بقضاءِ اللّه وقدرِه لكن يمنعُ أن يكونَ قيامُه بعدَ ذلك عند أولادِه وأهلِه؛ وعليه أن يتعهدَ ألاَّ يداخلَ الناسَ، ولا يآكلَهم ولا يشربَ مياهم، وإن هو لم يمتنع عن تجنبِ الناسِ ومخالطتِهم، فلكلِّ نازلةٍ حكمٌ ".

هذا ومن الغريبِ أنَّ منظمةَ الصحةِ العالميةِ تقولُ: نمنع تطورَ جرثومةِ وباءِ الخنازيرِ، ولا نمنعُ انتشارَه بينَ الناسِ، أليستِ الوقايةُ خيرًا

من قنطارِ علاجٍ، ومِن أسبابِ الوقايةِ كذلك الالتزامُ بالنظافةِ في كافةِ مرافقِ الحياةِ التي نستخدمُها، وكفى بأهلِ قُباء قدوةً ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1] .

فاتقوا اللّٰهَ، واسمعوا وأطيعوا هذا وصلوا وسلموا على خيرِ الورى .

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٨.

الخطبةُ الثانيةُ والعشرون

صوتُ الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي جعلَ مِنَ القرآن سبيلًا لتقاه، ومن صوتِ الشيطان دليلًا لدارِ شقاه، سبحانه أمهلَ وما أهملَ مَن عصاه، أسعدَ مَن انتقاه، وإذا سألَه أعطاه حجبَ لواحظَ الأعينِ عنه، فلا عينَ تراه الذي أعدَّ الجنةَ لمن اتقاه، وأعدَّ النارَ لمن عصاه، وخلق للدارين خلقًا، وهم في أصلابِ آبائِهم فلا مغيِّرَ لما خلقَه وأمضاه، مَن توكلَ عليه كفاه، ومَن فوَّضَ أمرَه إليه هداه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُهُ ـ صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلمَ ـ شهادةً سرى نورُ الحقِ من أعطافِها، وتعلقَ الصادقون بسرِ ألطافِها، إذ قد شملتِ الخيراتَ من أطرافِها، ثبَّت اللّهُ قلوبَنا وروانا من رحيقِ سُلافِها، وكتبَها في صحائفِنا يوم توزنُ الأعمالُ فيتبينَ ثقالُها من خفافِها؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

قد آنَ أوانُ قيامِ الساعةِ، وحانَ حينُ التزودِ مِنَ الطاعةِ، واقتربَ الوعدُ الحقُ، فما هذا التفريطُ والاضاعةُ، أعميت أبصارُكم عنِ الصوابِ أم صُمَّت أسماعُكم عنِ المآبِ؟ فكم مِن عبرٍ سمعتموها كلَّ جُمُعةٍ ولا رجوعَ إلى اللّه ولا متابَ؟ أما ترون أنَّ أماراتِ الساعةِ قد جاءت متواليةً وأشراطَ الحاقةِ أتت غيرَ خافيةٍ؟ أمَا ظهرَ الفسادُ في البرِ والبحرِ وعمَّ؟ أمَا غلبَ الشقاءُ على أهلِه وطمَّ؟ أما حبُّ الناسِ طريقَ الهوى جمَّ؟ أما قادَ

الشيطانُ لدارِ البوارِ وأمَّ؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم﴾[1] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[2].

أخا الإيمان

قد تجلسُ عند رحمٍ لك، وربما تركبُ سيارةً وأنت واقفٌ قد تشاهدُ مِن بعيدٍ دراجةً ناريةً، تثيرُ غبارًا، وفي التعبيدِ نقعًا، أو تمرُّ من بينك دراجةٌ هوائيةٌ يقودُها صبيٌّ لعله يضعُ سماعةً يظنُها علامةً لتقدمِه ورقيِّه، وأحسبُك قرئت في جريدةٍ سيارةٍ عن حفلةِ شايٍّ ساهرةٍ، وسمعت عن مهرجانٍ ترتادُه الجماهيرُ المجمهرةُ ثم تلتفتُ عن يمينكَ، فترى محلًا ترتادُه شبيبةٌ، وتفتحُ المذياعَ لتسمعَ أخبارَ العالمِ والإسلامِ والمسجدِ الأقصى، ولأخٍ لك أجريت اتصالًا، وقد يُنصِّتُك لمقطعٍ قبل أن يحملَ هاتفَه، وأمامَ هذه المشاهدِ يهولُك انتشارُ الأغاني والمعازفِ والموسيقى والألحان، إنها ألحانٌ جرَّت إلى أشجانٍ، وضحكاتٌ انقلبت حسراتٍ، وجلساتٌ عُمرت بالويلاتِ، ماذا أقولُ عنِ الغناء؟ لهوُ الحديثِ وصوتُ العصيانِ وعدوُ القرآنِ ومزمارُ الشيطانِ؛ ماذا أقولُ عن الغناءِ ؟ هو قرآنُ الشيطانِ والحجابُ عنِ الرحمنِ، ماذا أقولُ عنِ الغناء؟ ما أدمنَ عليه عبدٌ إلا استوحشَ مِنَ القرآنِ والمساجدِ، وفرَّ عن كلِّ راكعٍ وساجدٍ، وغفلَ عن ذكرِ الربِّ المعبودِ، واستأنسَ بأصواتِ النصارى واليهودِ، ماذا أقولُ عنِ الغناءِ ؟ رُقيةُ الزنا ومُورثُ النفاقِ.

إخوةَ العقيدةِ

أطبقت الآياتُ الكريمةُ على التحذيرِ، والسنةُ النبويةُ على التنفيرِ والتحريمِ مِن سماعِ الأغاني والموسيقى، سُئلَ ابنُ مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ عن قولِه تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[1]، قيل له: ما هو لهوُ الحديثِ؟ فقال: واللّه الذي لا إلهَ إلا هو، إنَّه الغناءُ، وصدقَ ابنُ مسعودٍ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ وإن لم يُقسم، وسُئلَ محمدُ بنُ الحنفيةِ عن قولِه تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[2] قيلَ له: ما الزورُ؟ قالَ: هو الغناءُ لأنَّه يميلُ بك عن ذكرِ اللّه، وقالَ تعالى لكفارِ قريشٍ: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3] قالَ ابنُ عباسٍ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ: سامدون: مغنون، ووصفَ اللّهُ تعالى أحوالَ عُبَّادِ الأصنامِ عندَ البيتِ الحرامِ، فقالَ عزَّوجلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾[4] والمكاء والتصدية: نوعان مِنَ المعازفِ، وهما: التصفيقُ والتصفيرُ، وفي السنةِ النبويةِ قرنَ النبيُّ (ﷺ) الغناءَ بالخمرِ والزناءِ، فقالَ: " ليكوننَّ في أمتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ"، وقالَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " نُهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين صوتٍ عندَ نعمةٍ لهوٍ ولعبٍ ومزاميرِ الشيطان وصوتٍ عندَ مصيبةٍ لطمِ وجوهٍ وشقِ جيوبٍ "، ومِن أعظمِ خطرِ الغناءِ توعدُ النبيِّ(ﷺ) سامعَ المعازفِ بالمسخِ والقذفِ فقالَ: " ليكوننَّ مِن أمتي أقوامٌ يشربون الخمرَ ويُعزفُ على رؤوسِهم بالقيان يمسخُهم اللّهُ تعالى قردةً وخنازيرَ، وقال ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " يكونُ في أمتي خسفٌ وقذفٌ ومسخٌ إذا ظهرت القَيْنَاتُ والمعازفُ واستحلتِ الخمرُ "، والقَيْنَاتُ جمعُ قينةٍ، وهي: المغنيةُ.

---

(١) سورة لقمان الآية: ٦.
(٢) سورة الفرقان الآية: ٧٢.
(٣) سورة النجم الآيات: ٥٩ – ٦٠.
(٤) سورة الأنفال الآية: ٣٥ .

أيُّها المؤمنون

ومع هذه التحذيراتِ القرآنيةِ والنبويةِ هاهي آلاتُ المعازفِ لا تكادُ تُحصى عددًا في بلادِ الإسلامِ، بل هاهي مدارسُ العزفِ والموسيقى تنتشرُ في كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ وهاهن المغنياتُ المائلاتُ الميلاتُ يحركن الشهواتِ في حفلاتٍ يحضرُها جيوشٌ مِنَ الفتيانِ والفتياتِ، وفي المقابلِ هاهم الأعداءُ يفتكون بأرواحِ الثَّكالى، ويعبثون بأعراضِ العَذارى، وفريقٌ مِن قومِنا في لهوِهِ وطربِه تحت مظلةِ الفنِ والترويحِ؛ ولعمرُ الحقِ، وإن قالوا فقد ضربوا بتسمياتِهم في حديدٍ باردٍ، فالتسمياتُ لا تقلبُ الحرامَ حلالًا.

فاتقوا اللّٰهَ أيُّها الموحدون، واحذروا الأغانيَ والمعازفَ والموسيقى، فإنَّها سببٌ لقسوةِ القلوبِ، وهي علامةٌ للنفاقِ، وسببٌ لمحقِ البركاتِ وقلةِ التوفيقِ، وحذِّروا أولادَكم منها، وأمروا بالمعروفِ، ونهوا عن المنكرِ في سبيلِ إطفاءِ جذوتِها، أقولُ ما سمعتُم، وأستغفرُ اللّٰهَ فاستغفروه، إنَّه كانَ غفارًا يرسلِ السماءَ عليكم مدرارًا.

***

الحمدُ للّٰه وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المجتبى وآلِه، ومَن للخيرِ اقتفى؛ أمَّا بعدُ: فيا أيُّها المسلمون رأت عائشةُ أمُ المؤمنين ـ رضيَ اللّٰهُ عنهاـ رجلًا يحركُ رأسَه طربًا يمنةً ويسرةً، فقالت: أفٍ شيطانٌ أخرجوه أخرجوه، نعم . صوتُ الشيطانِ الغناءُ، ألا ترى أنه يثيرُ الغرائزَ والآثامَ، ويدعو إلى الاختلاطِ، وأنواعِ الحرامِ، ولعمرُ اللّٰهِ كم مِن حرةٍ صارت بالغناءِ من البغايا؟ وكم مِن حرٍ أصبحَ به عبدًا للصبيانِ والصبايا؟ وكم مِن غيورٍ تبدلَ به اسمًا قبيحًا بين البرايا؟ وكم مِن غنيٍّ أصبحَ به فقيرًا بعد المطارفِ والحشايا؟ وكم مِن معافًى أحلَّت به أنواعُ البلايا، وكم من شابٍ أدمنَ سماعَ الأغاني بالبكرِ والعشايا، وسُحبت روحُه معها عن الضلوعِ والحنايا .

وإنَّكم لتعجبون ـ يا عبادَ اللهِ ـ إذا علمتُم أنَّ قولَه تعالى للمؤمناتِ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1] معناه: ألاَّ تضربَ المرأةُ برجلِها الأرضَ بقوةٍ، وهي لابسةٌ خلاخلَ في قدميها حتى لا يسمعُ الرجالُ صوتَ الخلاخلِ، فيفتتنون . عجبًا إذا كان هذا حرامًا، فما بالُكم بمَن تغني وتتمايلُ وترفعُ صوتَها بالضحكاتِ والهمساتِ؛ كيف بمن تتكسرُ في صوتِها وتتميعُ في كلامِها تتأوه وتتغنجُ، جاءَ رجلٌ إلى ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فقالَ: أرأيت الغناءَ أحلالٌ هو أم حرامٌ؟ رجلٌ يسألُ عن غناءِ الأعرابِ الذي ليسَ فيه معازفُ، وليس فيه تصويرٌ، ولا فيديو كليب، ولا لباسٌ عارٍ، ولا رقصاتٌ فاتنةٌ، غناءُ الأعرابِ في البوادي حلالٌ أم حرامٌ يا ابنَ عباسٍ؟! فقالَ ابنُ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أرأيتَ الحقَ والباطلَ إذا جاءا يومَ القيامة، فأين سيكونُ الغناءُ؟ قالَ الرجلُ : يكونُ معَ الباطلِ، قالَ ابنُ عباسٍ: فماذا بعدَ الحقِ إلا الضلالُ، اذهب فقد أفتيت نفسَك .

هذا وصلوا وسلموا على صاحبِ الشفاعةِ والحوضِ .

(١) سورة النور الآية: ٣١ .

الخطبةُ الثالثةُ والعشرون

مخالفات في شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ فالقِ الإصباحِ، ومُنزلِ الماءِ القَراحِ ومثبتِ الأكواحِ ومرسلِ الرياحِ ومروي البطاحِ الذي أعذبَ النهرَ وأجَّ البحرَ بالأملاحِ وكتبَ لموسى في الألواحِ، وفارقِ أهلِ البغيِّ من أهلِ الصلاحِ، وتنزه في عظيمِ عليائهِ عن مشابهةِ الأرواحِ ومشاكلةِ الأشباحِ، جعلَ شهرَ رمضانَ طُعمةَ لأهلِ الفلاحِ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً زاكيةَ الأرباحِ، وأشهدُ أنَّ نبيَنا محمدًا عبدُ اللّٰهِ ورسولُه، أرسلَه والحرماتُ تُستباحُ، وحزبُ الكفرِ قد عمَّ الفجاجَ والبطاحَ، فلم يزل(ﷺ) يرشدُ إلى الحقِ بالحججِ الوضاحِ وسمهريةِ الرماحِ حتى ظهرَ دينُ اللّٰهِ وسرى في الأفاقِ سريانَ الرياحِ صلى اللّٰهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه، ما أزالَ الظُلَمَ الحنادسَ ضوءُ الصباحِ صلاةً نحوزُ بها أعلى مراتبِ الفلاحِ، ونتخلصُ بها مِن دركاتِ الإثمِ والجُناحِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

أين مَن كانَ قبلَكم في مواضي الزمنِ؟! وقد تجرَّعَ مِن دنياه مشاربَ الآسنِ، فلا راقبَ مولاه في سرٍ ولا علنٍ، ولا عرفَ الفرائضَ والسننَ حتى نزلَ به المنونُ أو كأن، وكانَ الزادُ من جميعِ مالِه الحَنوطَ والكفنَ، ورحلَ عن أوطانه وضعنَ، وانزعجَ عن أهلِه والوطنِ، وبقي في لحدِه أسيرَ الحَزنِ، وما نفعَه ما جمعَ وما خزنَ، وتمنى أن يُعادَ ليزدادَ مِنَ الزادِ ولن، ولقد هتفَ به هاتفُ الإنذارِ فما فطنَ، وهيهاتَ هيهاتَ أن تنفعَه ليتَ ولو أن، فيا خلفَ مَن قد دبرَ، ويا بقيةَ مَن قد غبرَ، هذه المواعظُ تنصبُّ عليكم كلَّ

جُمُعةٍ صبًا، ألا آذانٌ لما قلتُ واعيةً؟ ألا أقدامٌ بعدَ ذا في طاعةِ اللهِ ساعيةٌ؟ ألا نفوسٌ لحقوقِ اللهِ مراعيةٌ؟ ألا قلوبٌ لقبولِ المواعظِ راعيةً؟ ألا سلوكياتٌ لشهرِ رمضانَ صائبةٌ.

أن تَـــرِدَ المـــاءَ بمـــاءٍ أرفـــقِ لا ذنبَ لي قد قلت للقومِ استقوا

وهـــم إلى جنبِ غـــديرٍ يَفهـــقُ[1]

فيا عبادَ اللهِ اتقوا اللهَ ربَّكم فليس لكم بغيرِ التقوى حبلٌ يقوى ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[3].

أيُّها الصائمون

في نجوى عن الحياةِ النمطيةِ الرتيبةِ، ونأيٍّ عن مألوفِ الزمان وتطابقِه، تُنيخُ أمتُنا الإسلاميةُ مطاياها بين يدي شهرٍ عظيمٍ وضيفٍ مبجلٍ كريمٍ، بالخيراتِ جميمٌ، وبالفضائلِ عميمٌ، شهرٍ ميَّزَه الشارعُ الحكيمُ، ولم يقفْ عندَ مظاهرِ الصومِ الصوريةِ مِن تحريمِ تناولِ المباحاتِ والطيباتِ فحسب، بل حرَّمَ كلَّ ما ينافي مقاصدَ الصيامِ وغاياتِه السامية، وكلَّ ما يَخدِشُ حِكَمَه الروحيةَ والخلقيةَ؛ ولا جرمَ فقد أحاطَه بسياجٍ منيعٍ من عَقْدِ اللسانِ والجوارحِ وطهرِ النفوسِ وصفائِها وانجفالِها إلى ربِّها تعالى، قالَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ: " مَن لم يدع قولَ الزورِ والعملَ به فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه "، وفي الحديثِ: " ... ولا صومَ إلا بالكفِ عن محارمِ اللهِ "، ذلكم شأنُ شهرِ الصيامِ خيرٌ ومغنمٌ وتلاوةٌ للقرآنِ ومكثرٌ للحسناتِ ومكفرٌ للسيئاتِ؛ ولكنَّ القلبَ محطمٌ وجندَ الصبرِ على حالِنا شُلَّت من كلِّ مكانٍ حينَ ننزلُ إلى واقعِنا في هذه الأيامِ الغُرِّ فحالُنا كالبعيرِ المحرنجمِ؛ إن تقدم نُحرَ وإن تأخرَ عُقرَ، كيف لا وقد

(١) مثلٌ يُضربُ لمن يوعظُ، ولا يقبلُ الموعظةَ والتذكيرَ.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .

(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.

ضلَّ جمعٌ عن مطالبِ الرشادِ، فصاموا عنِ الطعامِ والشرابِ وما صاموا عن فضائياتِ الخلاعةِ والمجونِ ومشاهدةِ فنونِ الفتونِ، بل يصبحون ويمسون عليها، ومجالسِ الغيبةِ والنميمةِ والبهتانِ ومسرباتِ الشائعاتِ والظنونِ، فيا للهِ أيُّ صيامٍ هذا وقد هتكوا حجابَ الفضيلةِ هتكًا، وسفكوا حُرمةَ شهرِ الصيامِ سفكًا، على هؤلاءِ أن يفيقوا مِن سكرةِ الهوى، وليعلموا أنَّ هذه الفضائياتِ الحواطمَ تدفعُ بسفينتِنا لما فيه حتفُ شبابِنا وفتياتِنا، وجرثومةٌ خطرةٌ تصدِّعُ واديَ فضائِلِنا؛ فواحسرتاه أين آثارُ الصيامِ؟ وواخجلتاه أين أنوارُ القيامِ؟ لقد ارتكسوا في المآثمِ والمهالكِ وأحالوا الليالِيَ الغرَّ حوالكَ، وأقوامٌ لا يجعلون التقوى فلاحَهم قد عجَّلوا هلاكَهم.

ألا فليتقِ اللهَ في شهرِ التنزيلِ الذين نصبوا أنفسَهم حُداةً للغرائزِ والشهواتِ في بيداءِ الدنيا يا ويحَهم من قبضةِ الواحدِ الجبارِ.

إخواني شبابَ الأمةِ وعمادَها

إنَّ هذا الشهرَ يطلبُ منكم الإدمانَ على طاعةِ اللهِ وتلاوةِ كتابِه وقيامِ ليلِه لتدخلوا في زُمرةِ السبعةِ الذين يظلُّهم اللهُ في ظلِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه؛ وإني معاتبٌ لكم عتابًا جميلًا، فقد عمرتُم الملاعبَ، وأدمنتُم التسليةَ، والترفيهَ إلى ثلثي الليلِ ونصفِه على حسابِ وقتِ الجدِ والعبادةِ والذكرِ والتلاوةِ وتحصيلِ العلمِ حتى أصبحَ الخمولُ في العبادةِ دثارًا، والنشاطُ في اللهوِ واللعبِ شعارًا، فالنومُ إلى الظهيرةِ والسهرُ إلى السحيرةِ هو السائدُ بينكم، وفي المثلِ: " كلُّ غانيةٍ هندٌ "[1].

فاتقوا اللهَ في أنفسكم، ويا أمةَ اللهِ إعدادُك لفطورِ زوجِك وأبنائِك وإخوانك تثابين عليه، ولكن أنصفي من نفسك واهتمي - أيضًا - بعبادةِ ربِك لتنالي حظَّكِ من روحانياتِ الشهرِ الفضيلِ.

(١) مثلٌ يُضربُ في تساوي القولِ عندَ فسادِ الباطنِ .

فاتقوا اللّهَ ـ أيُّها الموحدون ـ وعظموا شعائرَ اللّه فإنَّها مِن تقوى القلوب ولا تدرون لعلٍ نظيرَ شهركم هذا لا يعودُ عليكمَ إلا وأنتم فيمن فات؛ فَرَحِمَ اللّه امرءا أيقظ قلبَه مِن سنةِ هواه، واختارَ لنفسِه ما يُحمدُ عمَّا سواه.

واستغفروا ربَّكم ـ أيُّها الموحدون ـ، ثم توبوا إليه إنَّ ربي قريبٌ مجيبٌ.

★★★

الحمدُ للّهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

تطالعُنا بعضُ الصحفِ ذي المؤائدِ الوبيئةِ دونَ ارعواءٍ أو خجلٍ بما نصُّه: تماشيًا مع حُرمةِ الصيامِ يُحضرُ بيعُ التبغِ والغليون في نهارِ رمضانَ، و يُحضرُ عرضُ الأزياءِ مِنَ الساعةِ السابعةِ وحتى أذانِ المغربِ، ثم ماذا؟! مَن أرادَ أن يبيعَ التبغَ في الليلِ أو يشتريَ فحلالٌ، ومَن أرادَ أن يعرضَ الأزياءَ الهابطةَ بالليلِ فحلالٌ، ومَن أرادَ أن يزنيَ فحلالٌ، ومَن أرادَ أن يسرقَ فحلالٌ معنى ذلك: لو قلتُ: تمرةً، لقالَ: جمرةً [1]، إن هذه الدعاياتِ أهواءٌ ترمي بقتامِها الأدفرِ [2]، وهي مِن الرزايا التي تحببُ الرذائلَ، وتدعو لها بأساليبَ المراوغاتِ والسفاسفِ، فالحرامُ لا يتغيرُ حكمُه، أكان في الليلِ أم في النهارِ في رمضانَ أم في الربيعين إلا أنَّ الإثمَ في رمضانَ يضاعفُ، كما أنَّ الحسناتِ تُضاعفُ، ولا فرقَ بين نهارِه وليلِه، فحذِّروا من هذه المضلاتِ، وحذروا منها.

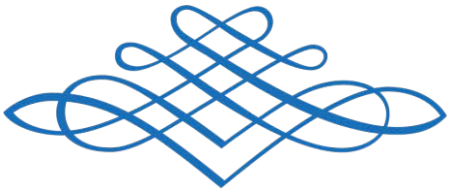
أيُّها المؤمنون

إنَّه لقمينٌ [3] بنا معاشرَ المؤمنين، والمحنُ قد برَّحتنا في بقاعٍ كثيرةٍ لا سيما مسرى سيدِ الثقلين وأوَّلِ القبلتين، وفي بلادِ الرافدين وغيرِهما مِن

(١) مثلٌ يُضربُ عندَ اختلافِ الأهواءِ.
(٢) بقتامِها الأدفر: بغبارِها خبيثِ الرائحةِ.
(٣) لَقمين: لجديرٌ.

بـلادِ الإسـلامِ أن نسـتلَهم العـبرَ والعظـاتِ، وأن نـدعوَ لإخوانِنـا بالنصـرِ والتمكينِ على عدوِّهم، واشكروه أنَّكم في بلدٍ أطعمَكم فيه من جوعٍ وآمـنكم من خوفٍ، واسألوه حسرَ الأوبئةِ المعديةِ، فإنَّ ربَكم لدعائِكم مستمعٌ.

هذا وصلوا وسلموا على محمدٍ وآلِه الأطهارِ .



الخطبة الرابعةُ والعشرون

فاروقُ الأمةِ عمرُ بنُ الخطابِ (رضي الله عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي فضَّلَ نبيَّنا محمدًا وأتاه شرفًا وفخرًا، وخصَّه بما لا يُحصى مِنَ المعجزاتِ والخصائصِ الكبرى، وشرحَ له صدرًا ورفعَ له ذكرًا، فللهِ هذا النبيُّ ما أرفعَه قدرًا، وما أرحبَه صدرًا، جعلَ صحبَه وآلَه خيرَ صحبٍ وآلٍ، فهم أعلى البريةِ منزلةً وقدرًا، وأولى الناسِ به في الأولى والأخرى، وفضَّلَ أمتَه على سائرِ الأممِ نعمةً مِنَ اللّٰهِ لا نستطيعُ لها شكرًا، نحمدُه على أن جعلَنا من أمتِه المرحومةِ حمدًا كثيرًا سرًا وجهرًا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تكونُ لنا ذخرًا، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالملةِ الغراءِ والشريعةِ السمحاءِ (ﷺ)، وعلى آلِه أمانِ أهلِ الأرضِ وصحبِه النجومِ النيرةِ الزهراءِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الجمعُ الغفيرُ

خبروني كيف بكم إذا نُفِخَ في الصورِ، وبعثتمُ من قبوركم وحُصِّلَ ما في صدوركم، وضاقت أمورُكم، وظهرَ مستورُكم، فإذا أنتم قيامٌ تنظرون، كيف بكم إذا زُلزلت الأرضُ زلزالَها، وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها، وقلتَ - أيُّها الإنسانُ -: ما لها؟ فتزود ـ أيُّها العبدُ الفقيرُ ـ بالتقوى مِن هذه الدارِ واجتهد في بقايا هذه الأعمارِ، فليسَ مَن فرَّطَ في العملِ يُقبلُ، ولا لَمَن اغترَّ بالأملِ حجةٌ يومَ يُسألُ، وطهروا بفيضِ المدامعِ أدرانَ القلوبِ، ونوروا القلوبَ بتجافي الجُنوبِ قبل أن تناخَ لكم ركابُ التحويلِ، ويصمَّكم القدرُ الذي لا محيصَ لكم من مكتوبِه ولا قبيلَ، ولا تغرَّنَكم زهرةُ الحياةِ الدنيا

فإنَّها متاعٌ دبيرٌ، والحقوا أنفسَكم قبلَ الكريرِ[1]، فإنَّ ما بعَد الموتِ أمرٌ مريرٌ، فإنَّ ما بعدَ الموتِ أمرٌ حسيرٌ، فإنَّ ما بعد الموتِ أمرٌ عسيرٌ على الكافرين غيرُ يسير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2] .

إخوةَ الإيمان

إنَّ لكلِّ مجتمعٍ رموزًا يمثلون قيمَه، ويوجهون الأمةَ ويُقون الهمةَ ليصعدوا بالناسِ إلى القمةِ، ورموزُ المجتمعِ الإسلاميِّ هم صحابةُ رسولِ اللّه (ﷺ) ومَن تبعَهم بإحسانٍ، وأفضلُهم أهلُ السابقةِ مَن محصتُهم الفتنُ ونقتُهم المحنُ مَن امتحنوا بالنفسِ والنفيسِ فهانَ عندهم كلُّ شيءٍ مِن أجلِ رفعِ رايةِ التوحيدِ ـ رضيَ اللّهُ عنهم ورضوا عنه ـ وإنَّ المتأملَ لواقعِ أمتِنا اليومَ يجدُها تفتقرُ إلى القدواتِ وينقصُها المثالُ؛ ولذا فتحت بابَ الاستيرادِ للقدواتِ مِن خارجِ الحدودِ، فتنكرت لتاريخِها وعَظُمَ جهلُها بسلفِها، فتناقصَ عنصرُ الخيرِ فيها بمرورِ الأيامِ، وخفتت قوةُ الضوءِ فيها بكرورِ الأزمانِ لأنَّها ابتعدت عن مصدرِ الضوءِ وعن مركزِ الاشعاعِ فيها.

إذا تمثَّلَ ماضينا لحاضرِنا ... تكادُ أكبادُنا بالغيرِ تنفطرُ

وفي عصرٍ اغتيلت فيه الأخلاقُ، وقُتلت فيه الفضيلةُ، وذابَ كثيرٌ من شبابِنا كالثلجِ في رمضاءِ مكةَ. في عصرٍ ـ ويحَ نفسي ـ[3] تجاوزَ فيه الفسادُ الأخلاقيُّ إلى فسادِ الفطرِ، فلا الشابُ يعترفُ بذكوريتِه، ولا الشابةُ تعترفُ بأنوثيتِها، في عصرٍ يعتنقُ كثيرٌ من شبابِنا سلوكياتٍ صناعيةً تتأقلمُ مع كلِّ صادرٍ ووارِدٍ، قطعُ غيارٍ تدلُ على زلزلةِ التحصنِ الفكريِّ وتذبذبِ ركنِ العقيدةِ الحقةِ في القلوبِ، والحالةُ ما أقولُ فحسبي وحسبُكم أن نقفَ على صورٍ من حياةِ شيخٍ مِن شيوخِ الإسلامِ في وقتٍ نحن أحوجُ ما نكونُ إلى سيرةِ هؤلاءِ .

---

(١) الكرير: الاختناق أو تعب الموت .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٣) ويح نفسي: كلمةُ توجعٍ، وقيل: بمعنى ويل .

إنَّه الورعُ الزكيُّ الفطنُ الذكيُّ الدَّيِّنُ النقيُّ المعترفُ بفضلِه البدويُّ والحضريُّ، إنَّه مَن كان إسلامُه فتحًا وهجرتُه نصرًا وإمارتُه رحمةً؛ إنَّه مَن إذا سلكَ فجًا سلكَ الشيطانُ غيرَ فجِّه، إنَّه مَن يدورُ معه الحقُ حيث دارَ ما طلعتِ الشمسُ، ولا غربت على رجلٍ خيرٍ منه، إنَّه مَن قالَ له النبيُّ (ﷺ): " لا تنساني يا أخي من دعائِك "، إنَّه مَن نزلَ القرآنُ العظيمُ بموافقتِه، صاحبُ الفتوحاتِ وممصرُ الأمصارِ أميرُ المؤمنين أبو حفصٍ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ العدويُّ القرشيُّ.

ذكرَ أهلُ السيرِ أنَّه في السنةِ الثامنةَ عشرَ للهجرةِ، أصابَ الناسَ مجاعةٌ شديدةٌ وجدبٌ وقحطٌ واشتدَّ الجوعُ؛ وماتت المواشي جوعًا، فسُميَ عامُ الرمادةِ، وأقسمَ حاكمُ الدولةِ أميرُ المؤمنين عمرُ ألاَّ يذوقَ سمنًا ولا لَبنًا ولا لحمًا حتى ترتفعَ هذه المجاعةُ والشدةُ عنِ الناسِ، واشترى غلامٌ له إناءً صغيرًا به سمنٌ، وسِقاءٌ مِن لبنٍ، وجاءَ به إلى عمرَ ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ فرفضَ أخذَه، وقالَ له: تصدقَ به، وكان وجهُه شديدَ الحمرةِ، فتغيَّرَ لونُه في عامِ الرمادةِ، وأصبحَ كاسفًا مِنَ الجوعِ والشدةِ التي لحقتْه، وهو أميرُ المؤمنين وقد سجَّلَ التأريخُ أنَّه خرجَ في إحدى الليالي فمرَّ بقربِ خيمةِ أعرابيٍّ فسمعَ صوتَ امرأةٍ تصرخُ وتستغيثُ، بينما الأعرابيُّ مضطجعٌ دونَ اكتراثٍ، فسألَه عمَّا يجري فأجابَه: امرأةٌ تلدُ، فأسرعَ عمرُ عائدًا إلى بيتِه وطلبَ من زوجتِه أن ترافقَه، ومرَّ ببيتِ مالِ المسلمين، فحملَ منه كميةً مِنَ الدقيقِ على ظهرِه كما أخذَ مقدارًا مِنَ السمنِ، وسارَ مسرعًا إلى خيمةِ الأعرابيِّ؛ ودخلت زوجةُ الخليفةِ لتساعدَ المرأةَ في مخاضِها، بينما انشغلَ عمرُ بوقدِ النارِ، وطبخِ الدقيقِ معَ السمنِ ليصنعَ طعامًا تأكلُه المرأةُ بعد أن تلدَ كلُّ ذلك والأعرابيُّ جالسٌ غيرُ مكترثٍ بما يجري، وبعد أن تمَّت الولادةُ سَمِعَ الأعرابيُّ زوجةَ الخليفةِ تقولُ بشِّر صاحبَك بغلامٍ يا أميرَ المؤمنين، فارتاعَ البدويُّ وقلَّبَ بصرَه فزعًا لكنَّ الخليفةَ خففَ عنه وطمأنَه وانصرفَ مع زوجتِه.

باركَ اللّٰهُ لي ولكم في الوحيين ونفعني وإياكم بهديِّ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّٰه وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المجتبى وآلِه وصحبِه ومَنِ اهتدى، أمَّا بعدُ:

فيا أيها المؤمنون

ومِن مواقفِ هذا الصحابيِّ الجليلِ ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ ما ذكرَه أسلمُ أن عمرَ بنَ الخطابِ ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ طافَ ليلةً فإذا هو بامرأةٍ في جوفِ دارٍ لها وحولَها صبيانٌ يبكون، وإذا قِدرٌ على النارِ قد ملأتها ماءً، فدنا عمرُ مِنَ البابِ فقالَ يا أمةَ اللّٰه ما بكاءُ هؤلاءِ الصبيان؟ فقالت: أبكاهُم الجوعُ؟ فقالَ لها: فما هذا القِدرُ على النارِ؟ قالت: ماءٌ أوهمُهم أن فيها شيئًا، فبكى عمرُ ثم جاءَ إلى دارِ الصدقةِ وأخذَ شيئًا من دقيقٍ وشحمٍ وسمنٍ وتمرٍ وثيابٍ ودراهِمَ، ثم قالَ: يا أسلمُ احمل عليَّ، فقلتُ: بل أحملُه عنك يا أميرَ المؤمنين، فقالَ لي: وهل تحملُ عني وزري يومَ القيامة، أنا المسؤولُ عنهم في الآخرةِ، فحملَه بنفسه إلى منزلِ المرأةِ، فجعلَ دقيقًا في القدرِ، وأخذَ ينفخُ تحت القدرِ، فرأيتُ الدخانَ يخرجُ من خلل لحيتِه، والمرأةُ تنظرُ، والبهجةُ تعلو محياها، وهي تقولُ له: واللّٰه إنَّكَ لأحقُّ بالخلافةِ مِن عمرَ، فقالَ لها: يا امرأةُ قولي خيرًا قولي خيرًا .

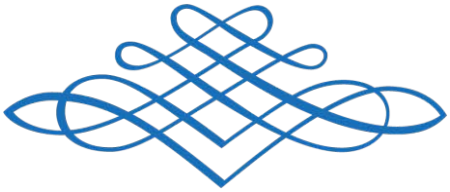
وبعدَ عشرِ سنواتٍ ذهبيةٍ شرَّقَ فيها الإسلامُ وغرَّبَ هي مدةُ خلافتِه ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ تمَّ اغتيالُه، وهو يؤمُ المسلمين لصلاةِ الفجرِ، وكانَ وراءَ اغتيالِه مؤامرةٌ ذاتُ أطرافٍ واسعةٍ، تلاقت على حوكِها أصابعُ يهوديَّةٌ ومجوسيَّةٌ وزنادقةٌ من فئاتٍ شتى، ودبَّرَ المؤامرةَ الشقيُّ أبو لؤلؤةَ فيروزُ المجوسيُّ قتلَه بخنجرٍ مسمومٍ ذي حدين، ثم قتلَ نفسَه، وقد أخزاه اللّٰهُ، وكتبَ الشقاءَ لنفسِه بفعلِه، ودُفنَ عمرُ ـ رضيَ اللّٰهُ عنه ـ بجوارِ رسولِ

اللهِ (ﷺ) وأبي بكرٍ، وأكرم بها من منزلةٍ، فرضيَ اللهُ عن عمرَ بنِ الخطابِ، وجزاه خيرَ ما يجزي خليفةً عن أمتِه .

أيُّها الموحدون

وقبلَ أن أقومَ من مقامي هذا إني أذكرُكم بقولِه(ﷺ): " مَن صامَ رمضانَ ثم أتبعَه بستٍ من شوالٍ، فكأنَّما صامَ الدهرَ"، فلا أظنُ أنَّكم ستفوتون هذا الأجرَ العظيمَ.

هذا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.



الخطبةُ الخامسةُ والعشرون

حُرماتُ المقابرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي أذعنَ له مَن في السمواتِ والأرضِ بالسجودِ، الفردِ الصمدِ، فلا والدٌ ولا مولودٌ، البارئِ المصوِّرِ الذي أخرجَ الخلائقَ مِنَ العدمِ إلى الوجودِ، الأولِ الآخرِ الباعثِ ليومٍ مشهودٍ، نحمدُه بجميعِ محامدِه حمدًا ليسَ بمحسوبٍ ولا معدودٍ، جعلَ الإنسانَ مكرمًا مِن أوَّلِ خلقِه وحتى موارتِه للحودِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له الربُ المعبودُ، شهادةً تنفعُ مَن أخلصَ بها في اليومِ الموعودِ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه، جاء بتشريعِ الشرائعِ وتحديدِ الحدودِ، نبيٌّ اختارَه اللّٰهُ وشرَّفَه على كلِّ موجودٍ، نبيٌّ خصَّه اللّٰهُ بالشفاعةِ العظمى ووعدَه المقامَ المحمودَ، اللهم صلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه الوافين بالعقودِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إنَّ علاماتِ الساعةِ مترادفةٌ تترى كنظامِ الجوهرِ يتبعُ كلُّ واحدةٍ منها الأخرى، ولا تزالُ مفظعاتُها تنسيكم الصغرى حتى يختمَها اللّٰهُ لكم بالطامةِ الكُبرى، وها هي سهامُ الحَينِ تناديكم تأويبًا[1] وسُرى[2]، والقبرُ يطلبُكم فهل أعددتم له حُسنَ القِرى؟ فيا ابنَ أمي غدًا يخطفُك مَلَكُ الموتِ فلا حيلةَ، يا ابنَ أمي غدًا تجرَّدُ من ثيابِك إلا بالكفنِ، يا ابنَ أمي غدًا على آلةٍ حدباءَ محمولٌ، يا ابنَ أمي غدًا على القبرِ وحيدًا ولا أنيسًا، فلا

---

(١) تأويب: سيرُ عامةِ النهارِ.

(٢) سُرى: سيرُ عامةِ الليلِ.

أدري ولست إخالُ أدري أأحدثت لك هذه العرصاتُ يومًا في قلبك وجلًا؟ أم أَصْلحتَ عندَ اللهِ عملًا، فإنَّ القادرَ على ذلك قادرٌ على أن يبعثَ العذابَ على مَن عصاه قُبلا، فلا تحسب عبدَ اللهِ أنَّ اللهَ خلقَكَ لهوًا ولعبًا، لكن لتجأرَ إلى اللهِ رغبًا ورهبًا، وتجعلَ التوبةَ إلى رضاه سببًا من قبلِ أن يأخذَك على الغفلةِ والإصرارِ غضبًا، وعلى التكاسلِ والتقصيرِ نصبًا ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾[1] ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2] ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

أيُّها المؤمنون

بعيدًا عن عجرفةِ بني صهيونَ في القُدسِ الشريفِ والمسجدِ الأقصى المباركِ، وبعيدًا عن زلزالِ جزيرةِ سُومطرةَ الإندونسيةِ، وآثارِه المرعبةِ - سلمنا اللهُ - وبعيدًا عن تحذيراتِ بعضِ الأطباءِ العلماءِ مِن مغبةِ استخدامِ اللقاحِ الكيماويِّ النازلِ حديثًا، وما يجرُّه من تبعاتٍ خطيرةٍ على الجنسِ البشريِّ، وبعيدًا عن تصرفاتِ المراهقين التي قد عيلَ صبري منها، وبعيدًا عن همومِ الأمةِ الإسلاميةِ التي ينطقُ كلُّ مصلحٍ غيورٍ منها بقولِ ابنِ النضرِ ـ رحمَه اللهُ ـ:

تأوبني داءٌ دخيلٌ فلم أنم ... وبتُّ سهيرًا للهمومِ وللهمم

إخوةَ العقيدةِ

لا يخفى عليكم أنَّ المقابرَ والقبورَ لها أصلٌ ثابتٌ مِن كتابِ اللهِ تعالى، إذ يقولُ سبحانَه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾[4]، وقالَ عزَّ وجلَّ:

---

(١) سورة النساء الآية: ١٢٩.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .
(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٢ .
(٤) سورة المرسلات الآية: ٢٦.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾[1] وقالَ جلَّ شأنُه: ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾[2]؛ وهذه المقابرُ تضمُّ رفاتَ إخواننا المسلمين، وفيها أباؤُنا وأمهاتُنا، وهي وعاءٌ لكلِّ إنسانٍ إلى أن يأذنَ اللهُ له بالخروجِ، من أجلِ ذلك جعلَ الإسلامُ لهذه المقابرِ والقبورِ أحكامًا لا يجوزُ تجاوزُها، وجعل المقبرةَ لا يزولُ عنها اسمُ المقبرةِ، ولو قُلعت مِن أصلها أو استأصلَها السيلُ لقولِه تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ ﴾[3]، فسمَّاها يومَ القيامةِ قبورًا مع أنَّها درست ودرسَ ما فيها، بل بينتِ السنةُ الطاهرةُ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ أنَّ التعرضَ للقبورِ يعدُّ استخفافًا وتجاوزًا لحُرماتِها، وأنَّ في ذلك إيذاءً لصاحبِ القبرِ، فعن عُمارةَ بنِ حزمٍ قالَ رأني رسولُ اللهِ (ﷺ) جالسًا على قبرٍ، فقالَ: يا صاحبَ القبرِ انزل مِنْ على القبرِ لا تؤذي صاحبَ القبرِ ولا يؤذيك "، بل جاءَ الوعيدُ الشديدُ فيمن جلسَ على قبرٍ، فرويَ عن النبيِّ (ﷺ) أنَّه قالَ: " لأن يجلسَ أحدُكم على جمرةٍ فتحرقَ ثيابَه، فتخلصَ إلى جلدِه خيرٌ له من أن يجلسَ على قبرٍ"، وصرَّحَ الحبيبُ عليه أتمُّ الصلاةِ والسلامِ أن للميتِ حُرمةً لا تختلفُ عن حُرمةِ الأحياءِ، فهو يقولُ (ﷺ): " حُرمةُ موتانا كحُرمةِ أحيانا ".

أيُّها الموحدون

ومع هذا النكيرِ والوعيدِ الشديدِ لمن تعرَّضَ للمقابرِ، فلا يسعُني إلا أن أستدعي بعضَ أخواتِ كانَ الناسخةِ المسبوقةِ بالنفيِّ أو شبهِه وبما المصدريةِ فما زالَ وما فتىءَ وما برحَ وما انفكَ الناسُ يداهمون المقابرَ والقبورَ، ويدنسون حُرماتِها، ويتعرضون لها بمداهماتٍ مختلفةٍ، وقد أجادَ من قالَ: (عش ترَ ما لم ترَ)، إنَّ هناك توسيعًا خطيرًا جدّا في الأبنيةِ والقصورِ والمحلاتِ التجاريةِ وغيرِها يتحركُ صوبَ المقابرِ، ويلتهمُها من عن

---

(١) سورة عبس الآية: ٢١.
(٢) سورة التكاثر الآية: ٢.
(٣) سورة الإنفطار الآية: ٤ .

يمينٍ وشمالٍ، بل بلغَ الحالُ أنَّ أحدَ الحمقاءِ كان ينظرُ إلى مقبرةٍ كبيرةٍ، فقالَ: عجبًا لهؤلاءِ الناسِ! ألم يفكروا عندما ضيعوا هذا الموقعَ الحساسَ والمميزَ في مقبرةٍ تساوي القطعةُ فيها أربعينَ ألفًا، ولستُ بصددِ الردِّ على هذا السخيفِ، فيطولُ المقامُ بي وبكم، إنَّ القضيةَ خطيرةٌ جدُّ خطيرةٍ، فقد اتخذَ الناسُ المقابرَ طرقًا يدوسونها بأقدامِهم ووسائلِ نقلِهم، بينما نجدُ بعضَ الناشئةِ ضاقت عليهم الأرضُ بما رحُبت فوضعوا ملاعبَهم على مقبرةٍ شاهرةٍ ظاهرةٍ واضحةِ المعالمِ، بينما اتخذَها صنفٌ مزبلةً لرميِّ الأوساخِ.

عبادَ اللهِ

إنَّ مما يؤرقُ البالَ أنَّ المقابرَ ضيقةٌ أصلًا بسكانها، ثم نحن نزيدُ الطينَ بَلةً، أستغفرُ اللهَ بل نزيدُ الطينَ نهرًا؛ فنتسولُ من أرضِها، وننتهكُ حُرماتِها، ألا نفكرُ أننا يومًا ساكنون بهذه المقابرِ، وهي مصيرُنا المحتومُ الذي رسمَه اللهُ تباركَ تعالى لنا ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندِه؛

أمَّا بعدُ:

فيا أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

يجبُ أن يكونَ هناك رجالٌ رشداءُ في المجتمعِ، ومصلحون يراعون المصالحَ المشتركةَ خاصةً، ويوجهون الضالَ عن سننِ الرشادِ والهدى، فمِنَ

(١) سورة الرحمن الآيات: ٢٦ - ٢٧ .

العارِ أن تخبوَ جذوةُ المصلحين فلا نسمعُ آمرًا بمعروفٍ أو ناهيًا عن منكرٍ أو يكونُ حظُّنا يساوي صفرًا أو نناقشُ قضايا هامشيةً لا تخدمُ إلا الأهواءَ الشخصيةَ؛ إنَّ على الطبقةِ الواعيةِ أن تظهرَ بتوجيهاتِها واقتراحاتِها قليلًا، بدلًا من هذا الاختفاءِ، ونقترحُ ألاَّ يكونَ حظُّ كلامِنا في الواقعِ برقلةً، أعني كلامًا بلا فعلٍ، ومن الاقتراحاتِ التي يجبُ أن تراعيَها النخبةُ الواعيةُ في الموضوعِ المطروحِ:

أولًا: اتساعُ موقعِ المقبرةِ بما يتناسبُ مع الكثافةِ السكانيةِ الكبيرةِ، ورصدُها في ملكياتٍ ثابتةٍ خاصةٍ بها، مع بيانِ حدودِها تحتَ إشرافِ جهاتِ الاختصاصِ.

ثانيًا: تسويرُ هذه المقابرِ قطعًا لدابرِ العبثيةِ فيها، ولا نُنكرُ وجودَ بعضِ المقابرِ التي تمَّ تسويرُها بجهودِ المخلصين.

ثالثًا: تجهيزُ هذه المقابرِ بما تحتاجُه من مصلياتٍ وأماكنَ لغسلِ الموتى.

رابعًا: السعيُّ لصيانةِ جدارِنها المتصدعةِ والساقطةِ إن كانَ بها خللٌ.

فاتقوا اللهَ واجتهدوا ـ يا عبادَ اللهِ ـ في صيانةِ حُرماتِ مقابرِ موتاكم يَصُنِ اللهُ قبورَكم ويؤتِكم أجورَكم.

ألا وصلوا وسلموا على بدرِ التمامِ ومسكِ الختامِ محمدٍ والآلِ .

الخطبةُ السادسةُ والعشرون

اقتحامُ المسجدِ الأقصى المباركِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي أحيا قلوبَنا بالإسلامِ فأينعت بعدَ اضمحلالِها، وأعيا فهومَ الملحدين عن دركِه فرجعت بكلالِها، وتركنا على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها، أحمدُه وأستعينُ به من مظالمَ أنقضتِ الظهورَ بأثقالِها وأعبدُه وأستعينُ به لعصامِ الأمورِ وعُضالِها، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً وافيةً بحصولِ الدرجاتِ وظلالِها، واقيةً من حلولِ الدركاتِ وأهوالِها، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي أطلعَ اللّٰهُ به فجرَ الإيمانِ مِن ظلمةِ القلوبِ وضَلالِها، وأسمعَ به وقرَ الأذانِ، وجلَّى به رَيْنَ القلوبِ بصقالِها، صلى اللّٰهُ عليه وآله وسلمَ صلاةً لا قاطعَ لاتصالِها، ولا مجالَ لانبتارِها؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

لقد خابَ عبدٌ كلما قَرُبَ إلى الخيراتِ تباعدَ، وخَسِرَ عبدٌ كلما استُنهضَ لنيلِ الأرباحِ تقاعدَ، وندمَ عبدٌ كلما نوديَ للفلاحِ ما ساعدَ، فواعجبًا لعبدٍ هذه وتلك حالُه كلما دعيَ لدارِ السلامِ، فكأنَّه لم يسمع داعيًا ووا أسفاه لعبدٍ كلما حُثَّ للقربِ مِنَ اللّٰهِ ازدادَ كسلًا وتوانيًا، فيا عبدَ اللّٰهِ واغراباه منك، أليستِ الدنيا لك متاعًا قليلًا؟ أليسَ السفرُ مِن دنياك حثيثًا؟ أليسَ الموتُ من جنابك قريبًا؟! أليسَ القبرُ لك دارًا مكيثًا ؟! أليس حسابُك عنِ الفتيلِ والقطميرِ صعبًا وبيلًا؟ فمهد لنفسك بصالحِ العملِ، ولا تغرَّ جسدَك الضعيفَ بفسحةِ الأملِ، بل سدد وقارب إلى طريقِ الأجلِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

أيُّها الموحدون البررةُ

في خضمِ المُعطياتِ الحديثةِ والمجرياتِ الأخيرةِ في مدينةِ القُدسِ من التهويدِ لأرضِها والتشريدِ لسكانها الأصليين، ومع تسارعٍ وتيرةِ بسطِ السيطرةِ الكاملةِ عليها، ومع الاقتحاماتِ التدنيسية المتكررةِ على المسجدِ الأقصى والأرضِ المباركةِ حولَه.

وتذكيرًا لإخواني الشبابِ خاصةً لوجودِ تياراتٍ هدَّامةٍ شديدةِ الدفعِ تستهدفُ الشبابَ وتجعلُهم لا يفكرون في قضايا أمتِهم والمسجدِ الأقصى، بل يفكرون في شهواتِهم وملذاتهم ولهوهم ولعبِهم كالكلبِ إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث، وتذكيرًا لآبائي عامةً وحتى لا تغيب هذه القضيةُ عن العقولِ، وإنما لتكونَ حاضرةً دائمًا معَ الصمتِ العجيبِ والتواطىءِ العالميِّ الرهيبِ نسلطُ الضوءَ على جانبٍ واحدٍ فحسب من الجوانبِ التي جعلت هذه القضيةَ مُقصَاةً ومعرقلةً إلى ما لا نهايةَ، وجعلتِ الصهاينةَ يعبثون ويعيشون فسادًا وبوارًا كلَّ حينٍ.

أيُّها المؤمنون

حديثُنا عن الجانبِ الاقتصاديِّ ومفرزاتِه الخطيرةِ في تكريسِ السيطرةِ اليهوديَّةِ على مدينةِ القدسِ خاصةً وفلسطينَ عامةً مخلفين الجانبَ السياسيَّ والاجتماعيَّ والعسكريَّ والإعلاميَّ لضيقِ المقامِ. يذكرُ أنَّ شاعرةً جاهليةً عاتبت أخاها عَمرًا وعيَّرته بميلِه إلى قبولِ ديةِ أخيه المقتول، فقالت :

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٢٧ .

(٣) سورة الحج الآية: ٣٢ .

ودع عنك عمرًا إن عمـرًا مسـالمٌ وهل بطنُ عمروٍ غـيرُ شِـبرٍ لمطعـم

ما تتصورُ المرأةُ الجاهليةُ البسيطةُ أنَّ بطنَ إنسانٍ يتجاوزُ مقدارَ شِبرٍ فكيفَ لو رأت معدةَ الإنسان الحاضرِ ابنِ القرن الحادي والعشرين تضخمت وكبرت معدتُه حتى وسعت الأرضَ، وتجاوزت حتى أصبحت لا يملؤُها إلا الترابُ، نعم . تضخمت معدةُ الحرصِ في الإنسانيةِ حتى صارت لا يشبعُها مقدارٌ مِنَ المالِ، وأصبحت المصالحُ قائمةً على المادةِ على حسابِ مقدراتِ الأمةِ ومقدساتِها وحضارتِها، أصبحتِ البشريةُ قائمةً على النهمِ، تلتهُم الدنيا التهامًا، وتستنزفُ الموارد حلالًا وحرامًا، تهونُ كرامةُ الأمةِ، ويهونُ القدسُ من أجلِ صفقاتٍ سريةٍ مع هذه الفلولِ اليهوديةِ السرطانيةِ، نعم . تهونُ كرامةُ الأمةِ فلا هي في أسفلِ القدرِ ولا في أعلاه من أجلِ التجاراتِ الحرةِ المشتركةِ، والمقابلُ: الصمتُ عن أيِّ نذالةٍ وحماقةٍ صهوينيةٍ لكنَّ حمزةَ لا بواكيَ له[1].

إخوةَ الإيمان

إنَّ الاقتصادَ اليهوديَّ يلجمُ أفواهَ القياداتِ عن الحديثِ والاستنكارِ فضلًا عن مسألةِ جهادٍ أو حربٍ، فهذا بعيدٌ عنهم، ولذا فهم لا يَنطقون ولا يُؤذن لهم فيعتذرون، فالمالُ اليهوديُّ متجذرٌ في العالمِ وجزءٌ واسعٌ منه في دولِ العالمِ الإسلاميِّ، ولقد عبَّرَ أحدُ علماءِ الاقتصادِ عن ذلك، فقالَ: إنَّ الشؤونَ الماليةَ الأولى قد تأجلَ عدةَ مراتٍ نزولًا على رغباتِ رجالِ المالِ اليهوديِّ لأنَّهم كانوا يريدونها أن تشملَ أكبرَ عددٍ من الدولِ لتحقيقِ مصالحَ اقتصاديةٍ.

أيُّها الجيلُ

إنَّ قضيةَ الأقصى وأرضَ فلسطين يجبُ أن تظلَ في قلبِ كلِّ مسلمٍ، وإن تشابكت خيوطُها، وكَثُرُ الهرجُ والمرجُ فيها، وعلى الجيلِ أن يقرأَ ويَعلمَ قضايا أمتِه ومستقبلَها، وما له وما عليه وليحرص على غرسِ بغضِ اليهودِ

(١) مثلٌ يُضربُ عندَ فقدِ مَن يَهتمُ بشأنِك.

في قلبه وقلب أولادِه امتثالًا لقولِ الحقِ تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[1].

أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّٰهِ المتصرفِ في الأكوانِ بالحكمةِ والتقديرِ، المتعالي عن الشريكِ والنظيرِ، والصلاةُ والسلامُ على البشيرِ النذيرِ وآلِه أجمعين، أمَّا بعدُ:

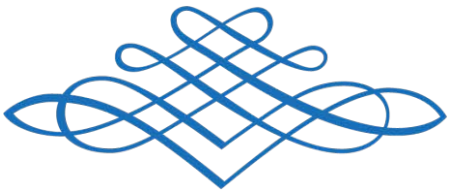
فيا أخوة العقيدة

إنَّ اقتحامَ المسجدِ الأقصى وما حولَه مِن الأرضِ المباركةِ في هذه الأيامِ مِن قبلِ شرذمةِ اليهودِ معناه اقتحامٌ لكرامةِ الأمةِ الإسلاميةِ وعزتِها وشهامتِها ومجدِها وفخامتِها أن لو بقيت لها كرامةٌ فعلى القياداتِ في العالمِ الإسلاميِّ خاصةً أن تتقيَ اللّٰهَ في هذه الأرضِ وأهلِها الذين يستغيثون ليلَ نهارَ، ولا مغيثَ لهم، إنَّ الكرامةَ مقدمةٌ على الجانبِ الاقتصاديِّ، وحفنةِ المالِ، والدفاعُ عن حياضِ الأمةِ ومقدساتِها واجبٌ شرعيٌّ لا يسقطُ عن أيِّ مسلم، فالكلُّ على ثغرةٍ مِن ثغورِ الإسلامِ، فيا ويحَ من يُؤتى الإسلامُ مِن قبلِه.

ومهما يكن من أمرٍ فمهما اشتدَّ الظلامُ فالفجرُ يؤذنُ بالبزوغِ، والعدالةُ ستحلُ مِنَ السماءِ، وما عندنا من أخبارِ الوحيِّ تبشرُ هذه الأمةَ بأعلا درجاتِ السِّنةِ والرفعةِ، وستجفُ منابعُ الظلمِ، وسيحلُ الاجهاضُ لكلِّ متكبرٍ جبارٍ، وسيبلغُ الإسلامُ كلَّ منهلٍ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ

(١) سورة المائدة الآية: ٥١ .

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾(١)، واللّٰهُ أكبر، والنصرُ للإسلامِ. ألا وصلوا وسلموا على خيرِ مِن وطِأ الحصى بنعْلِه .



(١) سورة يوسف الآية: ٢١ .

الخطبةُ السابعةُ والعشرون

المنافعُ الاقتصاديةُ للحجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الرحيمِ الرؤوفِ الكريمِ العطوفِ المعروفِ بالمعروفِ، الواحدِ الأحدِ الذي لا يتأثرُ بالوَحدةِ ولا يتكثرُ بالألوفِ، الغنيِّ في ملكوتِه عنِ الوزيرِ المشيرِ والأليفِ والمألوفِ، فسترُ الغيبِ عندَه مكشوفٌ استوى على العرشِ استواءً منزهًا عن الحركةِ والجلوسِ والوقوفِ، أذَّن في الناسِ بالحجِ فامتثلت لآذانه الأفواجُ والصفوفُ، أحمدُ اللّه لِما دَفعَ مِنَ المخوفِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مَنْ لسانُه بالصدقِ محفوفٌ، وكفُّه عنِ الامتدادِ إلى غيرِ الحقِ مكفوفٌ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه إلى الشريفِ والمشروفِ، وبشَّرَ بالجنةِ الدانيةِ القطوفِ، وحذَّرَ مِنَ النارِ الحاميةِ العسوفِ، اللهم صلِ وسلم على هذا النبيِّ الكريمِ، وعلى آلِه وأصحابِه الشمِّ الأنوفِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

سارعَ المشمِّرون وتركوكم، ومضى المجدون وخلفوكم، وارتحلَ حجاجُ بيتِ اللّه العتيقِ، وأنتم أسارى لقيودِ التعويقِ، قعدت بكم عن صحبتِهم الهممُ الفاترةُ، وآثرتُم المساكنَ الطيبةَ على المراتبِ الفاخرةِ، تريدون عَرَضَ الدنيا، واللّهُ يريدُ الآخرةَ، فأين الدموعُ السواجمُ على فواتِ الفريقِ؟ وأين القلقُ الدائمُ على التخلفِ عنِ الرفيقِ؟ فمَن فاتَه منكم التجردُ للإحرامِ فلا يفوتُه التجردُ عنِ الحرامِ، والتجنبُ لمحظوراتِ الآثامِ، ومَن فاتَه فضلُ التلبيةِ مع الملبين فلا يفوتُه الإكثارُ مِن ذكرِ ربِّ العالمين، ومَن فاتَه مِن عرفاتٍ جمعُ الوقوفِ فلا يفوتُه في الجُمُعةِ والجماعاتِ تعديلُ

الصفوفِ، ومَن فاتَه المبيتُ ورميُ الجمارِ فلا يفوتُه قيامُ الليلِ والتهجدُ بالأسحارِ ومَن فاتَه السعيُ والطوافُ بالبيتِ الحرامِ فلا تفوتُه الصلاةُ فإنَّها ماحيةُ الآثامِ، ومن فاتته زيارةُ سيدِ الأنامِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ فلا يفوتُه إكثارُ الصلاةِ عليه والسلامِ.

أيُّها الموحدون

لقد فاتكم ما لا عوضَ عنه ولا بدلَ، فاغتنموا المداومةَ على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتمسكوا بعرى الإيمان التي ليسَ لها انفصامٌ، واعتصموا باللهِ وكونوا ممن كانَ له بحبلِ اللهِ اعتصامٌ، ألا وإنَّ الإيمانَ باللهِ يشرحُ الصدورَ، ألا وإنَّ الإيمانَ باللهِ يسهلُ صعابَ الأمورِ، ألا وإنَّ الإيمانَ باللهِ يفسحُ مضايقَ القبورِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[2].

أيُّها المسلمون

تفوحُ على أرضِ اللهِ في هذه الأيامِ نفحاتُ العشرِ الأوائلِ مِن شهرِ اللهِ الحرامِ ذي الحجةِ التي أقسمَ اللهُ بلياليها، فقالَ جلَّ في علاه: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾[3] في هذه الأيامِ يومُ عرفةَ التي قالَ عنها(ﷺ): "يكفرُ صيامُها السنةَ الماضيةَ والقادمةَ"، وليس حديثُنا عن ذا وذلك، فهذا معلومٌ لدى الجميعِ، ومما لهجَ به الخطباءُ والمحاضرون، ولكن لهذه الشعيرةِ المباركةِ أبعادٌ شتى، ومنها: البُعدُ السياسيُّ والبُعدُ الاقتصاديُّ

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

(٣) سورة الفجر الآيات: ١ – ٢.

والبُعدُ الاجتماعيُّ، وهذه الأبعادُ مجهولةٌ لدى كثيرٍ مِنَ المسلمين، فمِنَ الرزيةِ صدقًا أنَّ كثيرًا مِن المسلمين لا يعرفون من العباداتِ إلا أشكالَها الصوريةَ المعهودةَ، ويجهلون الروحَ والمضمونَ، فأكثرُ الحجيجِ ربما يفقهُ هيكلَ الحجِ أمَّا الروحُ فيصدقُ عليها المثلُ الطائرُ:(لجَّ في الطوافِ حتى حجَّ)، وسببُ هذا المثلِ أنَّ رجلًا خرجَ يطوفُ في البلادِ فاتفقَ حصولُه بمكةَ، فحجَّ من غيرِ رغبةٍ منه، فقيلَ: (لجَّ في الطوافِ حتى حجَّ) .

إنَّ الوقوفَ على أبعادِ الحجِ مِنَ التعظيمِ للمشاعرِ والشعائرِ، وقد قالَ جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]، وقالَ عزَّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[2].

إخوةَ الإيمان

إنَّ أعداءَ الإسلامِ لم تغب مكةُ شرفَها اللهُ عن عيونهم، فمن تولى كِبْرَه يقولُ: (متى توارى القرآنُ ومدينةُ مكةَ عن بلادِ العربِ يمكنُنا حينئذٍ أن نرى العربيَّ يتدرجُ في سبيلِ الحضارةِ التي لم يبعده عنها إلا محمدٌ وكتابُه)، وآخرُ شُلَّت يمينُه وفُضَّ فوه يقولُ عن موسمِ الحجِ: (إنَّ الحجَ مِن أشدِّ عبادةِ المسلمين خطرًا على الغربِ، فهو يزيدُ مِن قوةِ المسلمين ووحدتِهم واقتدارِهم)، ولا ريبَ فإنَّ البُعدَ الاقتصاديَّ في الحجِ هو بذاتِه عبادةٌ، ولهذا البُعدِ منافعُ كثيرةٌ، فاسمعوا وعوا فُربَّ مستمعٍ خيرٌ مِن خطيبٍ ورُبَّ مبلغٍ خيرٌ مِن قريبٍ .

المنفعةُ الأولى: قطعُ يدِ الاستكبارِ العالميِّ وزلزلةُ اقتصادِه بحيث يشتدُّ اقتصادُ المسلمين، ويربحُ التجارُ المسلمين وتُباعُ وتُشترى سلعُ المسلمين؛ فهذه من أعظمِ المنافعِ التي ذكرَها اللهُ تعالى بقولِه: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[3].

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٠ .
(٢) سورة الحج الآية: ٣٢ .
(٣) سورة الحج الآية: ٢٨ .

المنفعةُ الثانيةُ: الحدُّ مِن ظاهرةِ الفقرِ والبؤسِ التي تسيطرُ على قطاعاتٍ عريضةٍ مِن دولِ العالمِ الإسلاميِّ كالصومالِ وفلسطينَ وأفغانستانَ؛ بل ولا توجدُ دولةٌ مِن دولِ العالمِ الإسلاميِّ إلا وتتفاوتُ فيها ظاهرةُ الفقرِ الذي استعاذَ منه (ﷺ) فقالَ: " وأعوذُ بك مِن فتنةِ الفقرِ".

المنفعةُ الثالثةُ: يعتبرُ الحجُ مؤتمرًا إسلاميًا لحلِ مشكلاتِ المسلمين الإقتصاديَّةِ حين يفدُ إلى الأماكنِ المقدسةِ ملايينُ المسلمين مِن شتى بقاعِ العالمِ، منهم العلماءُ المتخصصون في مجالِ الاقتصادِ، فالحجُ موسمٌ طيبٌ لعقدِ المؤتمراتِ والندواتِ في سبيلِ الوصولِ إلى التكاملِ والتنسيقِ الاقتصاديِّ بينَ الدولِ الإسلاميةِ.

المنفعةُ الرابعةُ: منافعُ البُدَن والذبائحِ للفقراءِ والمساكينِ والمحتاجين في داخلِ الأماكنِ المقدسةِ وخارجِها، كما أنَّ لجلبِ هذه البُدنِ مِن دولِ العالمِ الإسلاميِّ فائدةً اقتصاديةً غيرَ خافيةٍ، فاتقوا اللهَ - عبادَ اللهِ - واستشعروا أرواحَ عبادتِكم يزد إيمانُكم وتقواكم، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[1].

★★★

الحمدُ للهِ الذي منَّ علينا بالإسلامِ شِرعةً ومنهاجًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له هيأَ لعبادِه البلدَ الحرامَ فأموه آحادًا وأفوجًا، وكساه مِن حللِ الأمنِ والإيمان ما يزيدُه جلالًا وابتهاجًا، وأشهدُ أنَّ نبينَا محمدًا عبدُه ورسولُه بعثَه ربُّه هاديًا ونورًا وسراجًا، صلى اللهُ عليه وآلِه وصحبِه الذين كانوا للمتقين نبراسًا، وللأمةِ تاجًا؛ أمَّا بعدُ:

(١) سورة نوح الآيات: ١٠ - ١٢ .

فيا إخوةَ العقيدة

أمَّا المنفعةُ الاقتصاديةُ الخامسةُ في الحجِ، فدعوةٌ إلى تطبيقِ الاقتصادِ الإسلاميِّ، إذ في الحجِ دعوةٌ لتطهيرِ المعاملاتِ بين الناسِ مِنَ الخبائثِ والموبقاتِ مِن ربا واحتكارٍ وغشٍ وتدليسٍ وغررٍ وجهالةٍ وأكلٍ لأموالِ الناسِ بالباطلِ؛ كما أنَّ الحاجَ عليه أن يتجنبَ الإسرافَ والتبذيرَ والانفاقَ الترفيَّ، فالحجُ دعوةٌ صادقةٌ لتطبيقِ الاقتصادِ الإسلاميِّ على مستوى الدولِ الإسلاميةِ.

أيَّها المسلمون والحديثُ ذو شجونٍ والبابُ في السردِ يطولُ، وحسبُنا أنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[1]، فنكَّرَ كلمةَ منافعَ لتدلَ على الشمولِ والعمومِ.

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المختارِ.

(١) سورة الحج الآية: ٢٨ .

الخطبةُ الثامنةُ والعشرون

أبو الشعثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ (رضيَ اللّهُ عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ الذي جعلَ العلمَ للعلماءِ سببًا، وأغناهم به وإن عُدموا مالًا ونسبًا، ولأجلِه فازَ إدريسُ بالجنةِ ورفعَه اللّهُ واجتبى، ولطلبِه قامَ الكليمُ وفتاه وانتصبا، فسارا إلى أن لقيا في سفرِهما هذا نصبًا، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾[1] وبسببِه خلقَ اللّهُ آدمَ للبشرِ أبا، وأمرَ الملائكةَ بالسجودِ له فسجدوا إلا إبليسَ أبى، وفَّقَ أهلَ العلمِ بعنايتِه فقاموا في خدمتِه رغبًا ورهبًا، وفَّقهم وعرَّفهم أحكامَه فأحرزوا به مزايا ورتبًا، واكتسبوا به مجدًا وأدبًا، وفضوا به من المشكلاتِ ما كانَ بعيدًا محتجبًا، وأذاقَهم حلاوةَ أحكامِه فما وجدوا في السفرِ لطلبِه تعبًا أبدًا، فإذا وفدوا إليه في القيامةِ ألبسَهم تيجانَ الكرامةِ وناداهم أهلاً وسهلًا ومرحبًا، أحمدُه حمدًا أتخذُه للنجاةِ سببًا، وأشهدُ أن لا إلهَ لا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً أعتزُّ بها طربًا، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) وعلى آلِه وأزواجِه وذريتِه البررةِ النُجَبا صلاةً وسلامًا دائمين ما هطلت السماءُ بوابلِها، وأبدت غيمًا وسحبًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

رحلَ الأحبابُ إلى القبورِ وسترحلون، وتركوا الأموالَ والأوطانَ وستتركون، وتجرَّعوا كأسَ الفراقِ وستتجرعون، وقَدِموا لما قَدَّموا وستقدمون، وندموا على التفريطِ في الأعمالِ وستندمون، وتأسفوا على

(١) سورة الكهف الآية: ٦٠ .

أيامِ الإمهالِ وستتأسفون، وشاهدوا ما لهم عندَ المنون وستشاهدون، ووقفوا ببصائرِهم على الأهوالِ وستقفون، وسُئلوا عمَّا عملوا وستُسألون، ويَوَدُّ أحدُهم لو يَفتدي بالمالِ وستودون، فبادروا للمتابِ قبلَ يومِ الحسابِ، وخيبةِ الظنون، فكأنَّكم بأيامِ الشبابِ قد أبلتها يدُ المنون، وقد أظلَكم مِن فجأةِ الموتِ ما كنتم توعدون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾[3].

إخوةَ الإيمان

إنَّ ارتباطَ الأجيالِ اللاحقةِ والناشئةِ المعاصرةِ بسلفِهم مِنَ العلماءِ الأفذاذِ ينتفعون بسيرتِهم، ويسيرون على منهجِهم، ويقتبسون من نورِ علمِهم وفضلِهم لهو مِن أهمِ الأمورِ التي ينبغي أن نعتني بها دائمًا وأبدًا لا سيما العلماءُ وطلابُ العلمِ والدعاةُ إلى اللهِ ورجالُ الحِسبةِ والإصلاحِ كيف لا، ونحن نعيشُ في زمنٍ سادت فيه الرذيلةُ، وذلَّت فيه الفضيلةُ، وأجدبت القلوبُ، وغرقَ الناسُ في الماديات، ولهث شبابُنا وراءَ السخافاتِ والمُلهياتِ، فأصبحوا أجسادًا بلا أرواحٍ، يقلدون الصادرَ والواردَ، وفي المثلِ الطائرِ: كُلَّ الطعامِ تشتهي ربيعةُ الخُرْسَ والإعذارَ والنقيعةَ[4]، في عصرٍ كثُرت فيه الفتن، وطمَّتِ المحنُ، واستحكمت الأزماتُ، وعمَّتِ الخلافاتُ، وتباينات المشكلاتُ والمعضلاتُ، واشتدت التحدياتُ والمؤامراتُ، ولا مَخلصَ منها إلا الاعتصامُ بالكتابِ والسنةِ والسيرِ على منهجِ سلفِ الأمةِ ـ رحمَهم

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٩.
(٢) سورة التوبة الآية: ١١٩ .
(٣) سورة الحج الآية: ١ .
(٤) مثلٌ يُضربُ لمَن عُرِفَ بالرغبةِ في كلِّ شيءٍ .

اللّه ـ الذين يُعدون أمثلةً حياةً ونماذجَ فريدةً، تمثلُ التطبيقَ الحيَّ السليمَ والمنهجَ العلميَّ الصحيحَ للإسلامِ.

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

وكانَ مِن أجلِّ هؤلاءِ الأئمةِ وأفضلِ هؤلاءِ العلماءِ عالمٌ لا كالعلماءِ وعَلَمٌ لا كالأعلامِ، جبلٌ أشمُ، وبدرٌ أتمُ، وحَبرٌ بحرٌ وطَودٌ شامخٌ، يُعدُ بجدارةٍ إمامُ القرن الأولِ الهجريِّ، فريدُ عصرِه ونادرةُ دهرِه عقمت نساءُ الزمان أن تجودَ بمثلِه؛ إنَّه أئمةٌ في شخصِ إمامٍ وأمةٌ في رجلٍ، إنَّه من طارت بصيتِه الركبانُ، وافتخرت بطلعتِه الأكوانُ، إنَّه مِن قالَ عنه عبدُ اللّه بنُ عباسٍ (رضيَ اللّهُ عنهما) :" لو نزلَ أهلُ البصرةِ عندَ قولِه لأوسَعهم عمًّا في كتابِ اللّه علمًا "، إنَّه مِن قيلَ عنه :" المتحلي بعلمِه عن الشّبهِ والظلماءِ والمتسلى بذكرِه في الوعورةِ والوعثاءِ، كانَ للعلمِ عينًا معينًا، وفي العبادةِ ركنًا مكينًا، وكانَ إلى الحقِ آيبًا، ومِنَ الخلقِ هاربًا وهو مِن قدماءِ التابعين"، أتدرون ـ يرعالكم اللّهُ ـ من هو؟ مَن ذا الذي تعطرون أسماعَكم بذكرِ سيرتِه: إنَّه الإمامُ الفذُّ والعالمُ الجِهْبِذُ والفقيهُ المبجلُ أبو الشعثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ الأزديُّ اليحمديُّ (رحمَه اللّهُ تعالى ورضيَ عنه).

أيُّها الإخوةُ في اللّهِ

على ثرى بلدةِ فرقٍ بمدينةِ نَزْوَى ولُدَ التابعيُّ الجليلُ الإمامُ أبو الشعثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ، وبها نشأَ وترعرعَ، فأخذَ مبادئَ علومِه بها، ثم خرجَ منها لطلبِ العلمِ إلى البصرةِ، وكانت آنذاك مِنَ المراكزِ العلميةِ المهمةِ لنزولِ عددٍ من صحابةِ رسولِ اللّه (ﷺ) بها لقد أقبلَ الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ ينهلُ من العلمِ فحفظَ القرآنَ الكريمَ، وأقبلَ على الحديثِ والأثرِ وما كتابُه: الديونُ، وهو أوَّلُ كتابٍ أُلفَ في الإسلامِ إلا دليلٌ على غزارةِ علمِه حيث وُصِفَ كتابُه هذا بأنَّه مِن المراجعِ المهمةِ التي تجمعُ فقهَ الإسلامِ، وأنَّه حِمْلُ خمسةِ أجمالٍ، هذا في مجالِ الروايةِ، أمَّا الدرايةُ فهو

ابنُ بجدتِها[1]، وكلُّ الصيدِ في جوفِ الفرا[2]، مُلتزمًا بالكتابِ والسنةِ والعنايةِ بالدليلِ والأثرِ والأخذِ بفتاوى الصحابةِ (رضيَ اللهُ عنهم)، رحلَ في طلبِ العلمِ من بلدِه إلى المدينةِ المنورةِ، وهو القائلُ عن نفسه: " أدركتُ سبعين بدريًا، فحويتُ ما عندَهم مِنَ العلمِ إلا البحرَ يعني ابنَ عباسٍ، وليس ابنُ عباسٍ مِن أهلِ بدرٍ، فالاستثناءُ منقطعٌ، ورحلَ إلى البصرةِ، ورحلَ إلى اليمنِ لَمَّا بلغَه عن وجودِ كتابٍ للنبيِّ (ﷺ) عندَ بني حزم .

فيا شبابَ الأمةِ

هكذا كانَ الإمامُ جابرٌ يفارقُ الأهلَ والوطنَ، ويقطعُ القفارَ والصحاريَ على ناقتِه للبحثِ عن منابعِ العلمِ وأهلِه، وكفى به شرفًا، فهلاَّ رجعنا إلى العلمِ وأهلِه، وهلاَّ رجعنا إلى المكتباتِ والكتبِ، وهي بين أيدينا فلا سفرَ لنيلِها ولا نصبَ، هلاَّ رجعنا إلى الكتابِ الذي تيتم في ذا الزمان فكنا أمةَ إقرأ لا تقرأُ .

فلتكونوا خيرَ سلفٍ لخيرِ خلفٍ، أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[3] . أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للهِ الذي رفعَ أهلَ العلمِ، فقالَ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4] سبحانَه علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، وأشهدُ أن

(١) مثلٌ يُضربُ للعالمِ بالشيءِ، المتقنِ لهُ، المميزِ له.
(٢) مثلٌ يُضربُ لمن يبزُّ إخوانَه، ويتفضَّلُ عليهم .
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.
(٤) سورة المجادلة الآية: ١١ .

لا إلـهَ إلا اللّهُ، وأنَّ محمـدًا عبـدُه ورسـولُه، الـداعي إلى السـبيلِ الأقـومِ صلى اللّهُ وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ الإيمانِ والإسلامِ

مِن أهمِ جوانبِ حياةِ الإمامِ أبي الشعثاءِ جابرِ بنِ زيدٍ صفحةُ العبـادةِ والذكرِ والدعاءِ والبذلِ، فيروى عنـه - رحمَـه اللّهُ ورضـيَ عنـه - أنَّـه لا يماكسُ - أي لا يجادلُ - في كلِّ شيءٍ يتقربُ به إلى اللّهِ عـزَّ وجـلَّ، وقـد حجَّ على ناقتِـه أربعًـا وعشـرين سـفرةً في حجـةٍ وعمـرةٍ. ونتـركُ الإمـامَ جابرًا يعللُ لنا لماذا كـانَ يكثـرُ الحـجَ؟ قـالَ ـ رحمَـه اللّهُ ورضـيَ عنـه ـ: " نظرتُ في أعمالِ البرِّ، فإذا الصلاةُ تجهدُ البدنَ ولا تجهدُ المـالَ، والصـيامُ مثلَ ذلك، والحجُ يجهدُ المالَ والبدنَ، فرأيـتُ أنَّ الحـجَ أفضـلُ أنـواعِ الـبرِّ"، وقالَ أبو الشعثاءِ: " لليلِ حديثٌ وللنهارِ حديثٌ، فأمَّا حديثُ الليلِ فالدعاءُ والرغبةُ والموعظةُ والتخويفُ وأمَّا حديثُ النهارِ فالفقهُ في الدينِ "، هكـذا كانت عبادتُه وذكرُه .

لم يكنِ الإمامُ ـ رحمَـه اللّه ـ بمعـزلٍ عـن الأمـةِ والمجتمـعِ، ولم يكـن متقوقعًا علـى ذاتِـه، فكـانَ يصـلي الجُمُعـةَ خلـفَ الحجـاجِ، وإذا مـا أطـالَ الحجاجُ في الخطبةِ وحسَّ الإمامُ خروجَ الوقتِ صلى إيماءً؛ ولم يمتنع رغمَ ذلك عن الصلاةِ خلفَ الحجاجِ حرصًا منـه علـى توحيـدِ الأمـةِ واجتمـاعِ كلمتِها والالتقاءِ بجموعِ المسلمين في هذا اليومِ المباركِ.

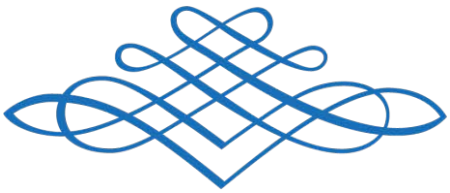
ومِن ورعِه ـ رحمَه اللّهُ و رضيَ عنه ـ أنَّه أخذَ قصبةً من حائطٍ لطردِ الكلابِ بها ثم مرَّ ببيتِه ومعه القصبةُ، فأمرَ أهلَـه بالاحتفـاظِ بهـا لحـينِ رجوعِه مِنَ المسجدِ ليعيدَها، فتعجبَ أهلُه مِن ذلك لِقلتها، فقـالَ لهـم: " لـو كانَ كلُّ من يمرُّ بهذا الحائطِ أخذَ قصبةً لم يبق منه شيءٌ"، فأين هذا مِـن أولئك الـذين يـأكلون أمـوالَ النـاسِ خضـمًا وقضـمًا! وأيـن أولئـك الـذين يلعبون بأموالِ الأمةِ ومقدراتِها في التوافِه والسخافاتِ .

إخوةَ التعقيدةِ

ولو أردنا أن نقلبَ صفحاتِ حياةِ هذا الإمامِ كلِّها لطالَ المقامُ، ولكن حسبُنا ما ذكرنا وفاءً لقدرِ علمائِنا وأداءً لبعضِ حقِّهم علينا، وربطًا للناسِ بسيرِهم التي ورثوها عن المنهجِ النبويِّ، واستقوها مِن معينِ الوحيِّ في بُعْدٍ عن الغلوِ في الأئمةِ أو الجفاءِ لهم والحطِّ من مكانتِهم؛ فاقتدوا بسيرةِ نبيِّكم الكريمِ (ﷺ) وصحابتِه الكرامِ وسلفِ الأمةِ الصالحِ.

أولئك أشياخي فجئني بمثلِهم إذا جمعتنا يا جَريرُ المجامعُ

ألا وصلوا وسلموا على خيرِ ماشٍ على الأرضِ .



الخطبةُ التاسعةُ والعشرون

صلاةُ الفجرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي اعترفَ بفضلِه الحاضرُ والبادي، واغترفَ مِن بحرِ برِّه الرائحُ والغادي، وهمعت بفضلِ جودِه عيونُ السُحبِ الغوادي، وسبَّحَ بحمدِه النهارُ الزاهرُ والليلُ الهادي، أجرى النهرَ والبحرَ وأمواهَ الوادي، جعلَ مِن شهودِ الأسحارِ والفجرِ حلاوةَ القربِ والأماني، ومِنَ التخلفِ عنهما غايةَ البعدِ والتمادي، سبحانَه حرَّضَ المؤمنين على الخيرِ ونهاهم عن التواني.

نحمدُه تعالى حمدًا يربو على ذراتِ الفيافي، ونسألُه السلامَ يوم التنادي، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مخلصٍ في معتقدِه، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه الذي نبعَ الماءُ من يمينِ أصابعِ يدِه (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه وتابعي مَقصِدِه صلاةً وسلامًا يدومان إلى يومٍ يفرُّ الوالدُ مِن ولدِه وسلم تسليمًا كثيرًا لا ينقصُ مدى الزمان، بل يتجددُ بتجددِه.

أيُّها الأنامُ

ألقوا إليَّ أسماعَكم فرُبَّ حاضرٍ محرومٌ مِن أجرِ الاستماعِ فنامَ أو مقطوعٌ عنه ثوابُ الاصغاءِ فهامَ.

عبادَ اللّه

لا تلعبنَّ بكم الدنيا فإنَّها دارُ الأدناس، ولا تتخذوها مقيلًا ولا ضعنًا، فإنَّها على شفا ولا أساسَ، وحذروا مداعبَتها فإنَّها تأخذُ بالأخلاسِ، ولا

تغفلوا عن ذكرِ الموتِ فإنَّه ليسَ بغافلٍ عنكم ولا ناسٍ، ومهدوا لمنقلبِكم مِن داركم إلى بطونِ الأرماسِ، فقد كشفَ الحينُ لأهلِ الغفلةِ قناعَه، فقد كشفَ الموتُ لأهلِ الغفلةِ قناعَه، وأطلقَ على صحاحِ الأجسامِ أوجاعَه، وحققَ بكلِ الأنامِ إيقاعَه، ولم يملك أحدٌ منكم دفاعَه فخفقَ مِنَ المنزولِ به فؤادُه، وانمحقَ من ناظرِه سوادُه، وقلقَ لهولِ مصرعِه عوَّادُه، ورحمَه أعداؤُه وحسَّادُه، فوا قلةَ حيلتاه ووا لهف نفساه، فيا له من وقتٍ تضيقُ فيه المذاهبُ، وتبدو الخيبةُ والمصائبُ، ولا ينفعُ فيه الحبائبُ، ولا تغني فيه النوائحُ والندائبُ، فأعدوا الزادَ ليومٍ ليسَ به مِن زادٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾[1].

إخوةَ الإيمان

اسمعوا هذه القصةَ عن نبيِّكم وأسوتِكم محمدٍ(ﷺ)وأصحابه لما انصرفَ رسولُ اللّه (ﷺ) وأصحابُه مِن خيبرَ أطالوا المسيرَ حتى تعبوا تعبًا شديدًا، فلمَّا أقبلَ الليلُ نزلوا في موضعٍ في الطريقِ لينـاموا، فقالَ رسولُ اللّه (ﷺ): " مَن منكم يحفظُ علينا صلاةَ الفجرِ لعلنا ننامُ؟ " أي مَن منكم يوقظُنا لصلاةِ الفجرِ؟ فقامَ بلالُ بنُ رباحٍ (رضيَ اللّهُ عنه) ـ وكانَ متحمسًا لذلك ـ فقالَ: أنا يا رسولَ اللّه أحفظُ لكم صلاةَ الفجرِ، فاضطجعَ رسولُ اللّه (ﷺ)، ونزلَ الصحابةُ الكرامُ فناموا، وقامَ بلالُ بنُ رباحٍ (رضيَ اللّهُ عنه) يصلي حتى تعبَ، وقد كانَ متعبًا ومنهكًا من طولِ الطريقِ قبل ذلك، فقعدَ واستندَ إلى بعيرِه مستريحًا، واستقبلَ الفجرَ يرمقُه بنظرُه، فغلبته عيناه فنامَ، كانَ الجميعُ في تعبٍ شديدٍ، فطالَ نومُه ونومُهم، ومضى الليلُ، وطلعَ الصبحُ والكلُ نيامٌ، ولم يوقظهم إلا حرُّ

(١) سورة الحج الآيات: ١ - ٢ .

الشمس، استيقظَ النبيُّ الكريمُ (ﷺ) وهبَّ الصحابةُ من نومِهم، فلمَّا رأوا الشمسَ طالعةً اضطربوا، وكثرَ لغطُهم، الكلُ ينظرُ إلى بلالٍ شزرًا، فأصابعُ الاتهامِ والعيونُ تحورُه، وتتقلبُ فيه باستياءٍ، فقد أوقعَهم بلالٌ في موقفٍ محرجٍ وحالةٍ طارئةٍ مخجلةٍ، لماذا كلُّ هذا ؟

أيُّها الإخوةُ

نعم. إنَّها صلاةُ الفجرِ وقرآنُها التي تشهدُها الملائكةُ، قالَ جلَّ وعلا:

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[1] نعم . إنَّها صلاةُ الفجرِ التي قالَ عنها رسولُ اللهِ (ﷺ): " أثقلُ الصلاةِ على المنافقين صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا "، أي زحفًا، نعم . إنَّها صلاةُ الفجرِ التي يجتمعُ في وقتِها ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ، فيشهدون على كلِّ عبدٍ فيها عندَ الربِّ الجليلِ سبحانه وتعالى، قالَ رسولُ اللهِ (ﷺ): " يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ، فيجتمعون في صلاةِ الفجرِ فتعرجُ الملائكةُ الذين باتوا فيكم، فيسألُهم ربُّهم، وهو أعلمُ بهم كيف تركتُم عبادي؟ فيقولون: " تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون "، أو تركناهم وهم نائمون وأتيناهم وهم نائمون، ووا خجلتاه إن كانَ هذا الأخيرُ جوابَ الملائكةِ للربِّ الجليلِ سبحانَه وتعالى.

ولا تزالُ الصحابةُ الكرامُ تنظرُ إلى بلالٍ، وهو مطرقٌ خجلٌ ضاعت عليهم صلاةُ الفجرِ؛ فيا للهِ ما هذا الإيمانُ العميقُ الذي سكنَ في قلوبِ هؤلاءِ الصحابةِ.

إن عذَّبوا الجسمَ فالإيمانُ معتصمٌ بالقلبِ مثلَ اعتصامِ الليثِ بالأجمِ

وهنا يلتفتُ النبيُّ الكريمُ ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ بأسلوبه الدَّمثِ وخلقِه الرفيعِ إلى بلالِ بنِ رباحٍ، وقالَ: ماذا صنعتَ بنا يا بلالُ؟ فأجابَ بلالٌ بجوابٍ مختصرٍ لكنَّه موضحٌ للواقعِ تمامًا، قالَ: يا رسولَ اللهِ أخذَ

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٨ .

بنفسي الذي أخذَ بنفسك يعني بذلك: أنا بشرٌ، حاولت أن أقاومَ النومَ، فلم أستطع، غلبني النومُ كما غلبَكم، فقالَ له المصطفى (ﷺ): " صدقت"، وسكت عنه، ثم قالَ النبيُّ الكريمُ (ﷺ) بعد هذه الواقعةِ: " مَن نامَ عن صلاةٍ أو نسيَها فليصلها إذا ذكرَها فذلك وقتُها"، وهذا الحديثُ لا يكونُ إلا بالحزمِ والأخذِ بالاجتهادِ في العبادةِ كما بينته القصةُ، وليسَ للمتعمدِ وعدمِ المبالي بعباداتِه وصلواتِه.

إخوةَ الإيمانِ

تأملوا معي الرسولُ(ﷺ) راجعٌ من غزوةِ خيبرَ، وقد قاتلَ هو وأصحابُه أهلَ خيبرَ، وقاتلوه أشدَّ القتالِ بكلِّ شراسةٍ وعنفٍ، وفي هذه الغزوةِ تتجرأُ امرأةٌ يهوديةٌ مِن خيبرَ، وهي زينبُ بنتُ الحارثِ بعد فتحِ خيبر، فتهدي النبيَّ (ﷺ) شاةً مسمومةً ويتوفى أحدُ أصحابهِ الذين أكلوا مِنَ الشاةِ، ويحفظُ اللّهُ نبيَّه منه، ويرجعُ مِن خيبرَ، ويجتهدُ هو وأصحابُه للاستيقاظِ لصلاةِ الفجرِ، ويجعلُ بلالًا لذلك مع المعاناةِ والشدةِ والمواقفِ المؤلمةِ التي عانوها جسديدًا ونفسيًا، كما سمعتُم ويتضجرُ مع ذلك النبيُّ الكريمُ (ﷺ) والصحابةُ الكرامُ حين تخطت صلاةُ الفجرِ حدَّها ووقتَها مع أنَّهم في أعذارٍ بكلِّ ما تحملُه الكلمةُ من مضامينِ الأعذارِ.

ولكن إذا قلبنا بصرَنا على حالِنا وحالِ جيلِنا في ذا الزمان لرأينا عجبًا يُذهلُ الألبابَ مِن عدمِ المبالاةِ بالصلواتِ عامةً، والعصرِ والفجرِ خاصةً، وقد شهدَ لحالِنا أحدُ النصارى حين سُئلَ: متى ينتصرُ المسلمون؟ فأجابَ: إذا كانَ عددُهم في صلاةِ الفجرِ كعددِهم في صلاةِ الجُمُعةِ . قالَها وقد صدقَ فإنَّ مردَّ تردي كثيرٍ من الأوضاعِ في شتى البقاعِ الإسلاميةِ لتردي أبنائِها في أوديةِ المخالفاتِ وعدمِ القيامِ بأكملِ وجهٍ لأوجبِ الواجباتِ؛ ألا وهو إقامةُ جميعِ الصلواتِ.

فيا عبادَ اللهِ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1]، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[2].

★★★

الحمدُ للّٰه على منِّه وإحسانه، والشكرُ له على توفيقِه وإنعامِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ)، وعلى آلِه وصحبِه وأتباعِه؛ وبعدُ: فأعيروني قلوبَكم وأسماعَكم لهذه القصةِ .

فقدَ النبيُّ الكريمُ(ﷺ)عليَ بنَ أبي طالبٍ (كرَّمَ اللّٰهُ وجهَه) في صلاةِ الفجرِ، فدخلَ على ابنتِه فاطمةَ، وهي زوجُ عليٍّ، فقالَ لها: ما شغلَ ابنُ عمّكِ عن صلاةِ الفجرِ؟ فقالت: باتَ طوالَ الليلِ يتهجدُ قائمًا يصلي، فلما طلعَ عليه الفجرُ تعبَ فصلى فاضطجعَ، فقالَ رسولُ اللّٰهِ (ﷺ): " لو شهدَ معنا ركعتي الفجرِ جماعةً لكفته ".

نعم . كانَ عليٌّ يتهجدُ طوالَ الليلِ، فما سهرَ كما يسهرُ كثيرٌ من أبناءِ الجيلِ على الكرةِ والمصارعةِ ومشاهدةِ أفلامِ السخفِ والسهراتِ السقيمةِ، ما ضيَّعَ عليٌّ ليلَهُ في الثرثرةِ والمراسلاتِ الهاتفيةِ الهزيلةِ ، ما قطعَ عليٌّ سكونَ الليلِ في النومِ الطويلِ إلى نصفِ النهارِ، وشطبَ صلاةَ الفجرِ من دماغِه.

فيا أولياءَ الأمورِ

أولادُكم أمانةٌ في أعناقِكم، فالصلاةَ الصلاةَ الصلاةَ الفجرَ الفجرَ، أيقضوهم.

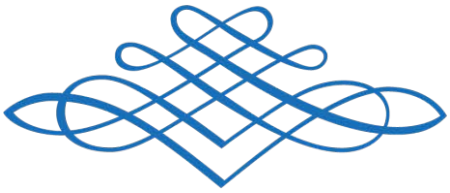
وأيُّها الشابُ

قبُحَ حالُك وبئسَ صنيعُك ولا حبذا فعلُك وساءَ تصرفُك؛ إذا كنتَ تداعبُ النومَ والنخيرَ، وشبابٌ مثلُك بين راكعٍ وساجدٍ وتالٍ للقرآن الكريمِ

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٨ .
(٢) سورة هود الآية: ٩٠ .

في وقتِ الفجرِ؛ حدد موقعَك منهم، واستحضر في قلبِك قولَ الفاروقِ ابنِ الخطابِ (رضيَ اللّٰهُ عنه): " لا حظَ في الإسلامِ لمن تركَ الصلاةَ "، ومن حرمَ نفسَه صلاةَ الفجرِ فقد حرمَ نفسَه التوفيقَ.

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ الرحيمِ، وعلى آلِه وعترتِه أجمعين .



الخطبةُ الثلاثون

واقعُ المجتمعِ المسلمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ مظهرِ الحق ومبديه، ومنجزِ الوعدِ وموفيه، ومسعدِ العبدِ ومشقيه، ومذهبِ الذنبِ ومخفيه، ومظمي القلبِ ومرويه، ومُعلِ الصبِّ ومشفيه، ومزيلِ الكربِ ومجليه، وناصرِ الدينِ ومعليه، ومرسلِ السحابِ ومنشيه، ومبسمِ الودقِ وموريه، ومنطقِ الرعدِ ومدويه، ومورقِ الشجرِ ومربيه، ومونقِ الزهرِ ومزهيه، ومُمرِ الثمرِ ومحليه، ومحقِ الحقِ ومبقيه، ومبطلِ الباطلِ ومنفيه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) شهادةً تقينا لفحًا ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، وتأمنُنا فزعًا ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، وتجنبُنا رهقًا ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾، وتزيدُنا صبرًا ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾، وتردُّ إمرًا ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، وتحجزُ شرًا ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾، وتقيمُ أمرًا ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، وتضمنُ خيرًا ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾، وتدفعُ عسرًا ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾، وتكونُ ظهرًا ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾، وترفعُ ذكرى ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾، وتزفُ بشرى ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾[1]؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدم

---

(١) سورة التكوير الآيات: ١ - ١٣ .

عجبًا مِن أمرِك يتفضلُ عليك مولاك وأنت سادرٌ في هواك، وقد علمت يقينًا ما حباك، أمَا بلَّغك مقصودَك ومناك، أمَا أحسنَ منشاك ومرباك، أمَا أعزَّك وأكرمَ مثواك، أمَا ألهمَك رشدَك وتقواك، أمَا وهبَ لك العقلَ، وإلى الإيمان هداك، أمَا خوَّلك في نعمِه وأعطاك، أمَا أمرَك بطاعتِه ووصَّاك، أمَا حذَّرك عن معصيتِه ونهاك، أمَا دعاك إلى بابِه وناداك، أمَا أيقظَك في السَّحرِ بلطيفِ خطابِه وناجاك، أمَا وعدَك بالفوزِ والجزاءِ في أخراك، أمَا سألته فأجابَ دعاك، أمَا استغثت به في الشدائدِ فأغاثك منها ونجَّاك، أمَا عصيته فسترَك بحلمِه وغطَّاك، أفيستحقُ منك أن تبارزَه بذنوبِك وخطاياك، ويمدُّك برزقِه وتمدُّ إلى معصيتِه خطاك، وتستخفي مِنَ الناسِ ولا تستخفي مِن اللهِ وقد شاهدَك ورأك، إلى متى إلى متى أنت غريقٌ في بحرِ غيِّك وهواك، إن أردت النجاةَ فاركب سفينةَ الندمِ، واقلع بريحِ التوبةِ إلى مولاك، وألقِ نفسَك إلى ساحلِ الإخلاصِ، وقد جادَ عليك بالخلاصِ وناداك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[2].

إخوةَ العقيدة

اسمعوا هذا المثلَ: أريتم لو أنَّ فردًا أصيبَ بمرضٍ عُضالٍ في جزءٍ من جسمِه فأهملَه أو ليسَ يستشري المرضُ في جسدِه كلِّه، فيعسرُ علاجُه ويتعذرُ شفاؤُه؟! فكذلك المنكرُ - يا رعاكم اللهُ - إذا ظهرَ وتُركَ فلم يغيِّر فإنَّه لا يلبثُ أن يألفَه الناسُ ويستمرئوه وعندئذٍ: يصبحُ مِنَ العسيرِ تغييرُه وإزالتُه، فتعمُّ المنكراتُ، وتنتشرُ الفواحشُ، وتغرقُ سفينةُ الأمةِ.

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

وما أشبَه المثلَ بالواقعِ الذي نعيشُه فإنَّ جسدَ الأمةِ تتكدسُ فيه يومًا بعدَ يومٍ ركاماتٌ مِنَ الأمراضِ، وتَحِلُّ بساحتِه قضايا خطيرةٌ بل رزايا مهلكةٌ ثم تُعززُ هذه الأمراضُ بالقوانينِ والتشريعاتِ المجهولةِ الهويةِ والمصدرِ ـ إن صحَّ التعبيرُ ـ ومما يزيدُ الأمرَ سوءًا أنَّ هناك انفصامًا واضحًا لشخصيةِ المجتمعِ المسلمِ الذي ظنَّ أنَّ الدينَ صلاةٌ وصومٌ وزكاةٌ وحجٌّ فقطٌّ لا غير، فيرى المناكرَ ولا يتألمُ، ويسمعُ الفواحشَ ولا ينتفضُ وتتلى عليه القوانينُ الفاسدةُ فيُسلِّمُ، وترى جهلًا مركبًا في الجيلِ بالواقعِ الذي يعيشُه، فأفقُ الجيلِ تحت قدميه ومبلغُ علمِه أكلٌ وشربٌ وطلعةٌ ومنامٌ فحالُه وقالُه:

إذا تغـديتُ وطابـت نفسـي ... فلـيسَ في الحـيِّ غـلامٌ مثلـي

إلا غـلامٌ قـد تغدَّى قبـلي

وترى إيثارًا للمصالحِ والمنافعِ الشخصيةِ والتعلقِ بالمنصبِ على حسابِ المبادئِ والأخلاقِ، وترى السؤالَ عنِ الترقياتِ والعلاواتِ على حسابِ قضايا القيمِ والثوابتِ، وهكذا حالُنا في منتهى الخزيِّ، شأنُ مَن لا يؤمنُ بنبيٍّ ولا بكتابٍ، ولا يرجو معادًا ولا يخشى حسابًا، وترى حبًّا للحياةِ وكراهةً للموتِ، دأبُ مَن يَعدُّ الحياةَ الدنيا رأسَ بضاعتِه ومنتهى أملِه ومبلغَ علمِه؛ وترى افتتانًا بالزخارفِ والمظاهرِ الجوفاءِ كالأممِ الماديةِ التي ليسَ عندها أخلاقٌ ولا حقيقةٌ حيةٌ، وترى خضوعًا للإنسانِ واستكانةً للملوكِ والأمراءِ ورجالِ الحكومةِ والمناصبِ وتقديسهم كشأنِ الأممِ الوثنيةِ وعبدةِ الأصنامِ، فهذا كسبُنا وعقوباتُ اللهِ في نقصِ الأمطارِ، وعدمِ البركةِ في الأعمارِ، وانتشارِ الجرائمِ والرذائلِ تتعقبُنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[2].

(١) سورة الرعد الآية: ١١.

(٢) سورة الشورى الآية: ١٣.

عبادَ الله

والحالةُ ما سمعتُم فإنَّ هناك هاجسًا يؤرقُ بالَ الغيورين المخلصين من أبناءِ هذه الأمةِ حيالَ ما يحدثُ من غربلةِ الأفكارِ وعولمةِ الثقافةِ والإعلامِ ومسخِ الهويةِ الإسلاميةِ والتشجيعِ لكلِّ تافهٍ رخيصٍ وبناءِ معابدِ الفنِ والموسيقى وإغراءِ الشبابِ بالملهياتِ والمادياتِ؛ وفي المقابلِ انعدامُ بناءِ المجتمعِ الفاضلِ المبنيِّ على أخلاقِ القرآنِ الكريمِ وتعاليمِ نبيِّ الإسلامِ (عليه الصلاةُ والسلامُ) وإهمالُ منابعِ الخيرِ، وكبتُ أيِّ صوتٍ يدعو إلى الحقِ عبرَ مسلسلٍ ينذرُ بخطرٍ مِنَ انتشارِ الموبقاتِ وكثرةِ الجرائمِ وإفرازاتٍ لا تحمدُ عقباها في المستقبلِ القريبِ؛ ولعلَ الجيلَ المعاصرَ بدأ يأخذُ بذورَها، وستكونُ الضحيةُ في أحفادِكم والجيلِ القادمِ.

إخوةَ العقيدة

إنَّ الوضعَ الذي نعيشُه بحاجةٍ ملحةٍ إلى إحياءِ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾(٣) ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾(٤)

وقالَ(ﷺ): " لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهونَّ عنِ المنكرِ أو ليُوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجابُ لكم ".

إنَّ الواجبَ عليك - أيُّها المجتمعُ المسلمُ _ اليقظةُ والحذرُ من كلِّ جديدٍ وإبرزُ وجهةِ نظرِك والمطالبةُ بتصحيحِ المساراتِ المنحرفةِ، فالسكوتُ شيمةُ الجبناءِ والتجاهلُ سمةُ الضعفاءِ، ولن تجنيَ الأمةُ مِنَ الشوكِ العنبَ .

أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ له ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه

---

(٣) سورة التوبة الآية: ٧١ .

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٦٥ .

★★★

الحمدُ للّه وكفى، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ المجتبى، وعلى آلِه أهلِ الوفاءِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الأحبةُ في اللّه

إنَّ الذي يؤلمُ المسلمَ الغيورَ أن تصدرَ قراراتٌ بعضُها بحاجةٍ إلى مراجعةٍ وإلى الوقوفِ صفًا واحدًا لكشفِ خطرِها ثم لا تجدُ أشخاصًا مخلصين لمجتمعِهم ووطنِهم وأمتِهم، فضلًا عن الوقوفِ صفًا واحدًا، بل لا تجدُ جهةً واضحةً محددةً معلومةً لدى الجميع تكونُ من واجبِها حمايةُ المجتمعِ ومناقشةُ هذه القراراتِ والمتغيراتِ التي تطرأُ على المجتمعِ.

إنَّه مِنَ المهمِ أن تكونَ هناك جهةٌ واضحةٌ محددةٌ تمارسُ واجبَ محاربةِ الفسادِ وحفظِ المجتمعِ ممن يحاولُ تدميرَه، وأن تكونَ هذه الجهةُ فاعلةً ومؤثرةً ومُهَابةً؛ ولها صلاحياتٌ وسلطاتٌ حتى لا يتجاوزَ أيُّ فردٍ حدَه ولا يتبجحُ بالمقولاتِ الرعناءِ والحريةِ الزائفةِ، والتي لا يرادُ منها إلا تدميرُ البلادِ والعبادِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على مَن أعطاهُ اللّهُ الشفاعةَ والكوثرَ.

(١) سورة الحديد الآية: ٢٨.

الخطبةُ الحاديةُ والثلاثون

السيدةُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ القرشيةُ .رضيَ اللّهُ عنها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ الذي اختارَ مِن عبادِه مَن صحَّ للعبادةِ وانتقى، وخصَّهم بعنايتِه وحباهم بالوصلِ واللقاءِ، وسقاهم بكأسِ تقديسِهم شرابًا قديمًا مروقًا، فطابَ كلٌّ منهم وسما مَن سما إلى الحضرةِ وارتقى، أجادوا بالموجودِ ولم يتركوا لحضوضِ النفسِ رمقًا، واستنشقت أرواحُهم من الإيمانِ نشرًا عَبِقًا، فسرى سِرُّه الخفيُّ وأرجُها الزكيُّ إلى الصديقِ، فسارَ على الآثارِ مستبقًا، وإلى الفاروقِ فطارَ الشيطانُ منه مشؤمًا فرقًا، وإلى ذي النورين فكانَ لكلِّ خيرٍ منطلقًا، وإلى أبي السبطين فأضحى في محبةِ اللّهِ موثقًا، وإلى ابنِ الجراحِ أمينِ الأمةِ، فكان لصولةِ الحقِ أعزَّ نفرًا وإلى ابنِ وقاصٍ فتراه في المعاركِ بطلًا مزمجرًا، وإلى ابنِ عوفٍ فطلبَ الآخرةَ وازدادَ لها سهرًا، وإلى طلحةَ ــ وللّهِ درُّه ـ كانَ للعبادةِ واقفًا مصطبرًا، وإلى ابنةِ خويلدٍ فهامت في محبةِ للّهِ فكانت دموعُ أماقِها تدفقُ تدفقًا.

نحمدُه سبحانه حمدًا لجنابِه مفتقرًا ولجلالِه منكسرًا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ شهادةً لا يخالطُها مرا، ولا يعكّرُ حمولَها اجترى، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه (ﷺ) الذي جعلَ الحقَ شاهرًا منتصرًا، وأردى الباطلَ زهوقًا متحيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدمَ

إلى متى أنت مقيمٌ على غفلتِك وجهلِك؟ إلى متى تغترُّ بمالِك وأهلِك؟ إلى متى تؤثرُ الدنيا الدنيئةَ وهى تسعى في قتلِك؛ إلى متى تنسى لحاقَكَ

بمَن كانَ مِن قبلِك؟ إلى متى لا يؤثرُ فيك كثيرُ عتابِك وعذلِك؟ حتى متى لا تفهمُ المواعظَ وقد قيلت من أجلِك؟ تيقظ يا غافلُ فكم لعبَ الهوى بمثلِك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥ ﴾[2] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ ﴾[3].

أيُّها السادةُ الموحدون

اسمعوا مني هذه القصةَ: كانت امرأتان تطوفان بالبيتِ العتيقِ ومع إحداهما كيسٌ كبيرٌ، تكادُ لا تقوى على حملِه مليءٌ بالمكسراتِ تتسلى به هي وصاحبتُها، وهما تؤديان مناسكَ الحجِ، تتجاذبان أطرافَ الحديثِ مِنَ القيلِ والقالِ والترهاتِ الساذجةِ، هكذا أبدلتا ذكرَ اللهِ بتسليةٍ في أيامٍ معدوداتٍ، نعم . هكذا تحاولُ الحياةُ الماديةُ مزاحمةَ الحياةِ الروحانيةِ ولو في أطهرِ البقاعِ مع شرذمةٍ تنمو بقوةٍ أمامَ جنون الحياةِ الماديةِ، وتدفقِ سيولِ الشهواتِ، والبعدِ عن المنبعِ الزلالِ سيرةِ المصطفى (عليه الصلاةُ والسلامُ) وآلِه الأطهارِ، ولما كان الرجوعُ إلى ذلك المنبعِ مهمًا، خاصةً في هذه الأزمانِ لربطِ الأجيالِ اللاحقةِ والناشئةِ بسيرةِ نبيِّهم (ﷺ)، وذلك الرعيلِ الصالحِ، يتبعون سيرتَه، ويسيرون على منهجِه ويقتفون فضلَه.

فحسبي على جناحِ العجالةِ أن نقفَ على صورٍ من حياةِ أمٍ من أمهاتِنا لم تستسغِ الطعامَ ولا الشرابَ ولا المكسرات، وهي تناجي باريَها تبارك وتعالى وما عرفَ أبدًا لسانُها غيبةً أو نميمةً أو قولَ زورٍ حاشاها.

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة القمر الآيات: ٥٤ - ٥٥.

(٣) سورة المرسلات الآيات: ٤١ ـ ٤٣.

هي أمُّنا زوجُ خيرِ خلقِ اللّه أجمعين، وأمُّ البناتِ والبنين هي من واست نبيَّنا الكريمَ وزوجَها الرحيمَ بالنفس والنفيس، وشدت مِن أزره عندَ نزول عرصاتِ الروح الأمين، السيدةُ النقيةُ الدَّينةُ التقيةُ الشاكرةُ في السراء، الصابرةُ في الضراء، إنَّها مَن بشَّرَها جبريلُ ببيتٍ في الجنةِ من قصبٍ لا صخبَ فيه ولا نصبَ، إنَّها مَن رأها المصطفى (ﷺ) بعد وفاتِها على نهرٍ مِن أنهارِ الجنةِ، إنَّها سيدةُ نساءِ العالمين، إنَّها مَن خففت من روعِ النبيِّ (ﷺ) بقولِها: (كلا . أبشر فواللّهِ لا يُخزيك اللّهُ أبدًا)، إنَّها أحبُ أزواجِ النبيِّ (ﷺ) إليه.

إخوةَ العقيدةِ

لعلكم عرفتُم أمَ المؤمنين المستحقةَ بجدارةٍ لكلِّ هذا الثناء، إنَّها خديجةُ بنتُ خويلدِ بنُ أسدٍ القرشيةُ الأسديةُ ــ رضيَ اللّهُ عنها وأرضاها.

ذكرَ أهلُ السيرِ: لما نزلَ الروحُ الأمينُ في غارِ حراءٍ على الرسولِ الكريمِ (ﷺ) رجعَ خائفًا يرجفُ فؤادُه، فدخلَ على خديجةَ فقالَ: " زملوني زملوني "، فزملوه حتى ذهبَ عنه الرَّوعُ، فقالَ لخديجةَ ـ رضيَ اللّهُ عنها ـ لقد خشيتُ على نفسي، فقالت خديجةُ ـ رضيَ اللّهُ عنها ـ:(كلا . أبشر فواللّه لا يُخزيك اللّهُ أبدًا إنك لتَصِلُ الرحمَ، وتصدُقُ الحديثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتكسبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائبِ الدهرِ"، فكانت ـ رضيَ اللّهُ عنها ـ أوَّلَ من وقفت مع النبيِّ(ﷺ) وأوَّلَ خلقِ اللّهِ إسلامًا بإجماعِ المسلمين.

ومن كرامتِها عليه (ﷺ): أنَّه لم يتزوج امرأةً قبلَها، وجاءه منها عدةُ أولادٍ، ولم يتزوج عليها قط ولا تسرى إلى أن قضت نحبَها فَوَجَدَ[1] لفقدِها، فإنَّها كانت نعم القرينُ، وكانت تنفقُ عليه من مالِها، ويتَّجرُ هو (ﷺ)، تنصرُه وتشدُّ أزرَه وتعينُه على احتمالِ أقسى ضروبِ الأذى

(١) وَجَدَ: حَزَنَ .

والاضطهادِ سنين عددًا، بل بعدَ المقاطعةِ التي أعلنتها قريشٌ لتكونَ حربًا نفسيةً واقتصاديةً لا ترحمُ صغيرًا ولا ضعيفًا ولا شيخًا ولا امرأةً؛ خرجت مع النبيِّ (ﷺ) في شعابِ مكةَ، وأقامت معه ثلاثَ سنين تنصرُه ولا تُظهرُ ضجرًا أو صخبًا مِنَ العيشةِ في تلك الشعابِ؛ وهي في ذلك الوقتِ قد علت بها السِّنُ، ونالت منها أثقالُ الشيخوخةِ. فما أعظمَ هذا الجهادَ، وأنعم بهذه التضحياتِ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ موالي النعمِ ومُبيدِ النقمِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه إلى العربِ والعجمِ(ﷺ)، وبارك عليه وعلى آلِه وصحبِه أولي العزائمِ والهممِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ الإيمان

وبعدَ وفاةِ خديجةَ الطاهرةِ تزوَّجَ المصطفى(ﷺ) زوجاتٍ كريماتٍ صالحاتٍ، ولكن لم يمنعه ذلك من إكثارِ ذكرِ خديجةَ مع علمِه (ﷺ) أنَّ ذلك يثيرُ غيرةَ الضرائرِ، ولكنَّه (ﷺ) لم يقصدِ الاضرارَ بهنَّ، وإن كنَّ يغرنَ من ذلك لأنَّ آثارَ الطيبةِ الكامنةِ في أعماقِ النبيِّ(ﷺ) تدفعُه إلى ذلك دفعًا. فهذا بيتُ عائشةَ بنتِ أبي بكرٍ الصديقِ، يشهدُ صورةً مِنَ الغيرةِ، فقد ذكرَ النبيُّ(ﷺ) خديجةَ، فما تمالكت عائشةُ نفسَها، فقالت: (ما تذكرُ مِن عجوزٍ من عجائزِ قريشٍ حمراءَ الشدقين، هلكت في الدهرِ أبدلَك اللهُ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٥.

خيرًا منها)، فغضبَ الرسولُ (ﷺ) من قولِها غضبًا شديدًا ما غضبَ مثلَه قطُّ، وقالَ: " واللهِ ما أبدلني اللهُ خيرًا منها، قد آمنت بي إذ كفرَ بي الناسُ، وصدقتني إذ كذَّبني الناسُ، وواستني بمالِها إذ حرمني الناسُ، ورزقني اللهُ أولادَها، وحرمني أولادَ الناسِ"، فقالت عائشةُ - لما رأته مغضبًا (ﷺ) -: (واللهِ لا أعاتبُك فيها بعدَ اليوم).

وكانَ رسولُ اللهِ (ﷺ) إذا ذبحَ الشاةَ، يقولُ: " أرسلوا بها إلى صديقاتِ خديجةَ، قالت عائشةُ: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة. خديجة! فقالَ رسولُ اللهِ (ﷺ): إني قد رُزقت حبَّها".

هكذا احتلت أمُّ المؤمنين الكُبرى خديجةُ مكانتَها في قلبِ النبيِّ(ﷺ)، وفي قلوبِ أمتهِ من بعدِه إلى قيامِ الساعةِ، فرحمَ اللهُ تلك الأوصالَ، وأسكنها الفردوسَ الأعلى، ورضيَ اللهُ عنها وأرضاها اللهم آمين.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ الهدى والنبيِّ المجتبى.

الخطبةُ الثانيةُ والثلاثون

تنبيهاتٌ مهمةٌ ليومِ الجُمُعة والمسجدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي وضَّحَ معالمَ الهدى كالشمسِ وضحاها، وبيَّنَ طرائقَ الردى كالقمرِ إذا تلاها، وحذَّرَ من صهباءِ المها كالنهارِ إذا جلاها، وعسى علينا بحكمتِه صَرْفُ المَنى كالليلِ إذا يغشاها، جعلَ نورَه صَعبَ المنتسى كالسماءِ وما بناها، ودمغَ الباطلَ فتصاغرَ بالوهنِ والونى كالأرضِ وما طحاها، وأنذرَ الركونَ إلى الهوى كنفسٍ وما سواها.

نحمدُ اللّٰه تعالى بالأصالِ والدجى، ونشكرُه على الحالين ما أمرَّ لنا وما حلا، ونسلِّمُ جزمًا على صرفِ القضا، ونسألُه حسنَ الخاتمةِ عندَ الحمامِ المنتضى، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تروي الصَّدى، ونصلُ بها عندَ اللّٰه إلى المستمى (ﷺ) ما جنَّ الدجى وما جرت في فَلَكٍ شمسُ الضحى، وعلى آلِه أهلِ التقى والنقى؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون البررةُ

افتحوا عيونَكم وقلوبَكم لخُطبةِ الجُمُعةِ، فإنَّ الشيطانَ يَكِرُّ على العيون والقلوبِ في هذا الآن، وتأملوا قولي: بينما زيدٌ يغترُ في دنياه بفتون الشهواتِ، ويجترُّ المعاصي والسيئاتِ، إذ هجمَ عليه مَلَكُ الموتِ فامتخضَ وتململَ وتغرغرَ وتجلجلَ؛ فزارَ وزفرَ وشخصَ منه البصرُ فاندكَّ طورُه، وانقضى فيه مِنَ اللّٰه تقديرُه، فسُلبَ مِن دنياه رهينًا، وأمسى بالبلاقعِ مهينًا، فغُيِّبَ في ظلمةِ الأرماسِ بموحشٍ ما به من أناسٍ، في جدثٍ ضنكٍ وحيدًا لا يجدُ محيدًا، ينبتُ دودًا يسمعُ له خشخشةً ووجيفًا، ولهوامِ الثرى في عظامِه رجيفًا أبعدَ هذا يا بكرُ تبارز مولاك، وتستمري غيَّك

وهواك، وتحاربُ خالقَك بخطاياك، فاتق اللهَ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥ ﴾[1]؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

قبل أن أُبحرَ إلى صميمِ موضوعِ الخُطبةِ أحبُ أن أصححَ فكرًا أتى عليه العَفنُ لئلا يغترَ به أحدٌ، جرى اجتماعٌ لعلاجِ قضيةٍ من القضايا في دولةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ، فعزى أحدُ الحضورِ إلى أنَّ مِن أهمِ أسبابِ تلك القضيةِ تفشي الخمورِ والمخدراتِ وعدمِ وجودِ القوانين المجرمةِ الصارمةِ، فعلَّق كبيرُ المسؤلين بأنَّ هذا ليس صحيحًا، ثم قالَ في وقاحةٍ متناهيةٍ: (نحن دولةٌ حريةٍ وعندنا أجانبُ لهم دينُهم واحترامُهم)، وما أجدرَ هذا بقولِ الشاعرِ:

وكنتُ امرءًا مِن جندِ إبليسَ فارتقى ... بي الحالُ حتى صارَ إبليسُ من جندي

فلو ماتَ قبلي كنتُ أحسنُ بعدَه ... طرائقَ خبثٍ ليس يحسنُها بعدي

والجوابُ على هذا اليتيمِ بأمورٍ منها:

أولًا: نحن أمةٌ مسلمةٌ مؤمنةٌ بما جاءَ في الكتابِ الكريمِ من تحريمِ الخمورِ والمخدراتِ بصورةٍ قطعيةٍ لا تقبلُ النقاشَ فليسَ هناك مجالٌ لمثلِ هذه السخافاتِ.

ثانيًا: إرضاءُ الخالقِ سبحانه والخروجُ من دائرةِ سخطِه وغضبِه مقدمٌ على إرضاءِ المخلوقين.

ثالثًا: نحن أمةٌ لها ثوابتُها ومعتقداتُها، فمِنَ السماجةِ والبلادةِ أن نتحدثَ بهذا المنطقِ الهزيلِ .

---

(١) سورة الطلاق الآيات: ٤ - ٥.

رابعًا: ليسَ الخمرُ شارةَ احترامٍ وتقديرٍ، كما يدعي هذا المتحذلقُ، بل هي رجسٌ وخبيثٌ ومرضٌ، والمهمُ من هذا كلِّه، ماذا عنِ الأقلياتِ الإسلاميةِ الموجودةِ في بلادِ الغربِ، المآذنُ ممنوعةٌ، الحجابُ ممنوعٌ، الخِمارُ انتهاكٌ لأصولِ الحريةِ الغربيةِ، ويلزمُ بفعلِه السجنُ والغرامةُ، فليت هذا المنسلخَ يرجعُ إلى صوابِه ورشادِه.

أيُّها الموحدون

وبعد هذا التصحيحِ أنتقلُ بكم إلى صميمِ المرادِ، سبقَ التنبيهُ على بعضِ الآدابِ المتعلقةِ بالمسجدِ ويومِ الجُمُعةِ خاصةً، ولكن ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1] وإليكم هذه التنبيهاتُ:

التنبيهُ الأولُ: يتأخرُ بعضُ المسلمين عن صلاةِ الجُمُعةِ بغيرِ عذرٍ، وقد وردَ وعيدٌ شديدٌ على مَن تساهلَ في هذا الواجبِ العظيمِ " مَن تركَ ثلاثَ جمعٍ تهاونًا طبعَ اللهُ على قلبِه"، وبعضُهم لا يبادرُ ولا يُبكّرُ فيفوتُه أجرُ الاستماعِ إلى الخطبةِ فلا يُقرِّبُ إلا بيضةً.

التنبيهُ الثاني: النومُ عن الاستماعِ لخطبةِ الجُمُعةِ بحجةِ أنَّ الخطبةَ ميتةٌ والخطيبَ مريضٌ في طرحِه وإلقائِه، لا يصحُ بحالٍ، والكلامُ في أثناءِ الخطبةِ والتشاغلُ عنها ممنوعٌ، قالَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " إذا قلتَ لصاحبِك صهٍ، والإمامُ يخطبُ فقد لغوت "، وصه: اسمُ فعلِ أمرٍ بمعنى اسكت.

التنبيهُ الثالثُ: بعضُ المصلين يتركُ أولادَه يعبثون في المسجدِ، ويُؤذون الآخرين ويتكلمون ويثيرون الضجيجَ؛ كما نرى البعضَ الآخرَ يزاحمُ أبائَه وإخوانَه الكبارَ، ويتصدرُ في الصفِ الأولِ بالسترةِ أو بالقربِ منها، فعلى أولياءِ الأمورِ أن يُهذِّبوا أولادَهم وينبهوهم قبلَ اصطحابِهم إلى المسجدِ ليكونوا على بينةٍ من أمرِهم.

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٥ .

التنبيهُ الرابعُ: بعضُ المصلين وخاصةً الصبيانُ يَتخطون رقابَ الناسِ ولا يبالون، ومنهم مَنْ يأتي متأخرًا فيزاحمُ على الصفوفِ الأولى، وقد زجرَ المصطفى(ﷺ) رجلًا رأه يتخطى للصفوفِ الأماميةِ، وقالَ له: " اجلس فقد آذيتَ".

التنبيهُ الخامسُ: تظهرُ من بعضِ المصلين نغماتُ هواتفِهم النقالةِ، وفي كثيرٍ منها أصواتُ الأغاني والموسيقى، وهذا لا يجوزُ خارجَ بيوتِ اللهِ فما بالُكم في بيوتِ اللهِ! فعلى المصلي أن يُغلقَ هاتفَه، وأن يقطعَ قلبَه عن اتصالاتِ الدنيا، وليكن اتصالُه بالواحدِ الأحدِ.

التنبيهُ السادسُ: بعضُ المصلين يبصقُ ويتنخمُ على محارمِ الورقِ ثم يتركُها على نوافذِ المسجدِ وبينَ المصاحفِ أو على زوايا المسجدِ؛ وهذا امتهانٌ لقُدسيةِ المسجدِ ومكانتِه، فالمسجدُ بيتُ اللهِ، ويجبُ أن يكونَ في كاملِ نظافتِه لتنجلبَ الراحةُ للمصلين، يروى أنَّ رجلًا دخلَ المسجدَ فأمَّ الناسَ فبصقَ في القِبلةِ، ورسولُ اللهِ (ﷺ) ينظرُه؛ فقالَ رسولُ اللهِ (ﷺ) لقومِه حين فرغَ: " لا يصلي بكم "، فمنعوه فذكرَ ذلك لرسولِ اللهِ (ﷺ) فردَّ عليه(ﷺ): " نعم . أذيت اللهَ ورسولَه"، وقد وردَ عن الحبيبِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ " كنسُ المساجدِ مهرُ الحورِ".

بارَكَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ واستغفرُ اللهَ لي ولكم، فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للهِ على منِّه وإحسانه، والشكرُ له على توفيقِه وإنعامِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه(ﷺ)وعلى آلِه وصحبِه وأتباعِه؛ أمَّا بعدُ:

فخذوا **التنبيهَ السابعَ**: يتأخرُ بعضُ المصلين عن صلاةِ الجماعةِ بحجةِ أنَّ وقتَ الصلاةِ مقدمٌ، ويأخذُ بعضُهم في إثارةِ الفوضى والعداوةِ

في المسجدِ، وقد تقامُ أكثرُ من جماعةٍ مع العلمِ أنَّ تعددَ الجماعةِ لغيرِ عذرٍ أو ضرورةٍ أو عدمِ تعمدٍ لا تصحُ فما شُرعت الجماعةُ إلا للاجتماعِ والألفةِ بين المسلمين، ومَن عوَّد نفسَه الكسلَ شبَّ عليه ولو أُخرَ وقتُ الصلاةِ إلى منتهى ما يريدُ لفاتته.

فاتقوا اللّهَ ـ عبادَ اللّهِ ـ واعرفوا لهذا اليومِ العظيمِ مكانتَه وحُرمتَه ونزهوا بيوتَ اللّهِ وتناصحوا بينَكم ونصحوا أولادَكم من كلِّ عبثٍ وتخطٍ لرقابِ عبادِ اللّهِ تكونوا من المفلحين.

ألا وصلوا وسلموا على الرسولِ المجتبى، كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

الخطبةُ الثالثةُ والثلاثون

الهاتفُ المحمولُ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي شرحَ صدورَ أهلِ الإسلامِ للنصيحةِ فانقادت لاتباعِها، وارتاحت لسماعِها، وأماتَ نفوسَ أهلِ الطغيانِ بعد أن تمادت في نزاعِها، وتغالت في ابتداعِها سبحانه انقادت لمشيئتِه المخلوقاتُ والأرضُ وما في بطون فلواتِها، أحمدُه تعالى حمدًا متمكنًا كتمكنِ التنوينِ في لفظةِ زيدٍ وأمثالِها، وأرهبُ إليه سبحانَه كرهبِ التنوينِ مِن كلمتِه لإضافتِها وأتمردُ على الباطلِ كتمردِ غيرِ على التعريفِ بالإضافةِ لشدةِ إبهامِها وإيغالِها، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، العالمُ بانقيادِ الأفئدةِ وامتناعِها، المطلعُ على ضمائرِ القلوبِ في حالتي افتراقِها واجتماعِها، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي انخفضت بحقِه كلمةُ الباطلِ بعدَ ارتفاعِها، واتصلت بإرسالِه أنوارُ الهدى، وظهرت حجتُها بعد انقطاعِها (ﷺ) ما دامتِ السماءُ والأرضُ هذه في سموِّها وهذه في اتساعِها، وعلى آلِه وصحبِه الذين كسروا جيوشَ المردةِ، وفتحوا حصونَ قلاعِها، وهجروا في محبةِ داعيهم إلى اللّٰهِ الأوطارَ والأوطانَ، ولم يعاودوا بها بعد وداعِها؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

رحلَ عنكم الجُماديان وآنَ مِنَ الشهرِ الأصمِ الاقبالُ، ألا وإنَّها قد أظلتكم أيامُ النصفِ القابلِ مِن هذا العامِ فاستقبلوا ـ عبادَ اللّٰه ـ بالأعمالِ الصالحةِ شهورَه الغررَ، فإنَّه وإن قامَ فيكم برهةً على سَفرٍ، وكونوا مِنَ التسويفِ فيه وفي غيرِه على حذرٍ، واستيقظوا بقوارعِ العبرِ،

وتدبروا مواعظَ الكتابَ فإنهنَّ صوادقُ الخبرِ، وتفكروا في حوادثِ الأيامِ، فإنَّ فيها المزدجرَ.

فتحَ اللّٰهُ لنا ولكم أقفالَ القلوبِ ويسَّرَ لنا ولكم الوصولَ إلى كلِّ مطلوبٍ، إنَّ أحسنَ الكلامِ كلامُ الملكِ العلاَّمِ، واللّٰهُ تعالى يقولُ وقولُه الحقُّ المبينُ: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[1] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

إخوةَ الإسلامِ

غيرُ خافٍ على أحدٍ منكم أنَّ الشعوبَ الإسلاميةَ في هذه الأزمان تتدفقُ عليها طفرةٌ واردةٌ مِنَ المخترعاتِ والمبتكراتِ التي شنَّت غزوَها؛ فاستسلمَ لها الجميعُ، وكانَ لهذه المخترعاتِ دورٌ فاعلٌ في ظهورِ نتائجَ فكريةٍ وأخلاقيةٍ بعيدةِ المدى على المجتمعِ المسلمِ، إذ لهذه المخترعاتِ الكثيرُ من وسائلِ التمويهِ وإمكانياتِ الاقناعِ بالباطلِ والقدرةِ على مناجاةِ الغرائزِ الهابطةِ وإثارتِها. كما أنَّها تملكُ الوسائلَ الدعائيةَ المعاصرةَ، وتحسنُ الإغراءَ فيما يجلبُ الضررَ والإثمَ، ويقابلُ هذه الموجاتِ المفتوحةَ بل المدلوقةَ مِنَ المخترعاتِ جيلٌ نهمٌ لاقتنائِها، جيلٌ ضعيفٌ وازعُه الإسلاميُّ، جيلٌ سقيمٌ تكوينُه الأخلاقي، جيلٌ هزيلٌ إعدادُه السلوكيُّ، جيلٌ سطحيُّ البناءِ الذاتيِّ، جيلٌ قشريُّ الاطلاعِ والمعرفةِ .

وإن من تلك المخترعاتِ الهاتفَ المحمولَ، وهو بلا شكٍ نعمةٌ مِن نعمِ اللّٰهِ التي لا تُحصى علينا، يقتضي وجودُه الشكرَ، والشكرُ لا يكونُ إلا باستخدامِ هذا الجهازِ في النافعِ الصالحِ والنأيِ به عن الضارِ الطالحِ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .

(٢) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

أيُّها المسلمون

وحالُ الجيلِ ما ذكرتُ مِنَ الظروفِ الطارئةِ التي يموجُ في لجِّ غمرتِها مِنَ التصدعِ والتكسرِ، ومع استلامِه للهاتفِ المحمولِ تغشَّته ــ ولا غرابةَ ـ كثيرٌ مِنَ السلبياتِ، وانكمشت منه الإيجابياتُ، فصارَ نقمةً عليه بين العالمين، وسحبَ فئامٌ مِنَ الجيلِ أوزارًا منه لسوءِ التدبيرِ، وألقى بآخرين في وحلِ النِّقمِ لزيغِ التفكيرِ، ومع تزاحمِ الملحوظاتِ والتنبيهاتِ، وترصدِ سيفِ الوقتِ بضيقِه وشدةِ قيظِه نتحدثُ عن الهاتفِ النقالِ في خطبتين ـ إن شاءَ اللّهُ ـ نحسرُ الحديثَ في الأولى عن مقاطعِ الفيديو لخطورتِها وانتشارِها بين الجيلِ، ونلقي في الأخرى بقيةَ التنبيهاتِ.

أيُّها الجيلُ المؤمنُ - يارعاكَ اللّهُ -

تنتشرُ مقاطعُ الفيديو في الهواتفِ النقالةِ عندَ كثيرٍ مِنَ الفتيانِ والفتياتِ، وأغلبُ هذه المقاطعِ يروِّجُ لها المفلسون الأمواتُ الذين يتلذذون بنشرِ أرخصِ الأخلاقِ وإشاعةِ دَرَكِ الانحطاطِ .

إنَّ هناك مقاطعَ خطيرةً تنتشرُ بينَ أبناءِ الجيلِ في الدعارةِ والرذيلةِ وهتكِ الأعراضِ والتعرضِ للعوراتِ والإغراءِ بارتكابِ الفاحشةِ عبرَ لقطاتِ وصورٍ فاضحةٍ هابطةٍ؛ تجعلُ الأخلاقَ قاعًا صفصفًا. ويحلو لبعضِ الهابطين أن ينتهكَ لحومَ العلماءِ بالتعرضِ لصورهم والتلاعبِ بأشكالِهم والسخريةِ منهم والتعرضِ لهم؛ فيا ويحَ مَن لطَّخَ هاتفَه بهذه القذاراتِ، فإنَّ لحومَ العلماءِ مسمومةٌ، والتعرُّضُ لهم تعرُّضٌ للدينِ القويمِ، وسيركبُ مَن تسوِّلُ له نفسُه فعلًا وتخزينًا ونشرًا مركبًا وعرًا ومزلقًا خطيرًا، ومِنَ الغريبِ حقًا أن يقومَ بعضُ الحمقاءِ والمغفلين بتخزينِ مقاطعَ لهذيانِ شرَّابِ الخمورِ، وبعضُهم يستغلُ الجهلةَ مِن كبارِ السنِ، وقد يتعرضون لربِّ العالمين، ويسبون الرسولَ الكريمَ ـ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمـ وبعضُهم يتعرضون للصحابةِ الأطهارِ والصحابياتِ القانتاتِ، فما أقبحَ هذا الفعلَ! وأقذر به. وربما يُحمِّلُ آخرون صورًا لفتياتٍ يتناقلُها

الشبابُ بينهم، وقد تكونُ بعضُهن متزوجاتٍ فتثارُ بتلك المقاطعِ الفتنُ، وفي قصصٍ واقعيةٍ انحلَّ بسببِها عُرى الزوجيةِ.

فاتقوا اللهَ ـ أيُّها الأحبةُ ـ ونصحوا إخوانَكم وحذروهم ولا تكونوا عونًا للشيطان، وخذوا بأيدي بعضِكم لطاعةِ للهِ ورسولِه ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي أحلَّ الحلالَ، وحظرَ الحرامَ، ووعدَ مَن أطاعَه بالثوابِ في دارِ السلامِ، وأوعدَ مَن عصاه بالعقابِ في دارِ الهوانِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه والتابعين لهم بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

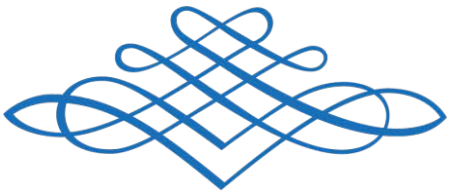
فيا أيُّها الموحدون البررةُ

إنَّ مما يؤسفُ له أن يقومَ بعضُ المنتسبين للإسلامِ إلى إشاعةِ الفواحشِ بين المؤمنين عن طريقِ مقاطعِ الفيديو في هواتفِهم المحمولةِ، فكم مِن مقاطعِ السوءِ المحرمةِ والصورِ الفاضحةِ، تتناقلُها الأجهزةُ وأصحابُها غافلون ساهون عن قولِ الحقِ تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾[2] أولئك الذين لم يكتفوا بتحميلِ أنفسِهم الضعيفةِ ما لا تتحملُ من الأوزارِ والذنوبِ، فأضافوا لذلك نشرَ السوءِ بين الآخرين، فإلى مَن يُرسلُ عبرَ جهازِه ما يهتكُ الأستارَ، ويثيرُ الفتنَ، ويشيعُ الفاحشةَ، فيتناقلُها مَن في قلبِه مرضٌ، اعلم أنَّ أوزارَ الناظرين كلَّها تعودُ عليك إلى يومِ القيامةِ،

(١) سورة المائدة الآية: ٢ .
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٢ .

إن لم تتب إلى اللهِ تعالى، قالَ الحبيبُ (ﷺ): " ومَن دعا إلى ضلالةٍ كانَ عليه مِنَ الإثمِ مثلَ أثامِ مَن تبعَه لا ينقصُ ذلك من آثامِهم شيئًا "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

هذا وصلوا وسلموا على النبيِّ المختارِ، كما أمرَكم بذلك العزيزُ الغفارُ.



(١) سورة النور الآية: ١٩ .

الخطبةُ الرابعةُ والثلاثون

الهاتفُ المحمولُ (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ما تُليت ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[١]، وما قُرأت مِن طه ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[٢]، وما تنازعَ الإنسيَّ النجدان، وما التقى عند المصبِّ البحران، وما زَيَّنَ الغيداءَ الأصفران، نحمدُه تعالى ما تعاقبَ على البسيطةِ الملوان، وما تناسخَ فيها الأبردان، وما ذكرَ اللهَ الثقلان، وما تصاغرَ لعظمتِه الأخشبان، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً يتفقُ عليها الأصغران، وينبضُ بها الأخدعان، ويرتج منها الخافقان، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه سقطت من جهادِه الدولتان، وأذعنت صاغرةً لبعثتِه القريتان، وشرفت بوجهِه القبلتان، واجتمعَ له من اللهِ الحسنيان، (ﷺ) وعلى أصحابِه الذين حازوا ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[٣] وتمثلَ في سلوكِهم الوحيان؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

تبًا لمَن يرى العِبرَ بعينيه، ويسمعُ المواعظَ بأذنيه، ويعلمُ أنَّ النذيرَ قد وصلَ إليه، وأنَّ الساعةَ أشراطُها بينَ يديه، وأنَّ كلماتِه تجمعُ عليه، وهو متعامٍ ومتصامٌّ عن ذلك، ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[٤]

---

(١) سورة الرحمن الآية: ١٣ .
(٢) سورة طه الآية: ٦٣ .
(٣) سورة الرحمن الآية: ٤٦ .
(٤) سورة يونس الآية: ١٠١ .

فكأني بك أيُّها العبدُ الضعيفُ، وقد فاجأك المنونُ فخطفَك على حينِ غفلةٍ اختطافَ البرقِ، ولم يقدر على دفعِه عنك تملكُ الغربِ والشرقِ، وندمت على تفريطِك بعد اتساعِ الخرقِ، وتأسفت على تركِكِ الأولى، وأسفكُ على الأُخرى أحقُ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[1] ثم تحاسبُ عن كلِّ شيءٍ أدق ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

أيُّها المؤمنون

يشكلُ الهاتفُ المحمولُ بكلِّ مكوناتِه مِن صوتٍ وصورةٍ وكلمةٍ أبرزَ المؤثراتِ على طبقةٍ عريضةٍ في المجتمعاتِ فهو بما يملكُه مِن مكاناتٍ جبارةٍ وقدرةٍ هائلةٍ على الانتشارِ وقوةِ الجذبِ والتأثيرِ استطاعَ أن يأسرَ عقولَ الصغارِ والكبارِ، ومما زادَت بروزَه التغذيةُ الدائمةُ لتقنياتٍ حديثةٍ تضافُ إليه، تسهُم في إذكاءِ مشاعرِ العشقِ والغرامِ حتى عندَ الفقراءِ حتى ظهرت بعضُ التقاريرِ في بلدِنا الشرقِ تشيرُ إلى أنَّ بعضَ الفقراءِ يحرصون على توفيرِ الهاتفِ المحمولِ أكثرَ من حرصِهم على توفيرِ الطعامِ والشرابِ، وأنَّ المبالغَ المصروفةَ للمكالماتِ كافيةً لئن تحولهم إلى مرتبةِ المستورين، ولكن.

لـيسَ عِتـابُ النـاسِ لِلمـرءِ نافعًـا ... إذا لم يكـن للمـرءِ لـبٌّ يعاتُبـه

أحبتي في اللّه

إنَّ هذه الخطبةَ تحدثُكم قائلةً: قد ألقيتُ عصايَ سالفًا في هذا الموضوعِ فما كادَ ليلي عن صباحٍ ينجلي، فهاكم ما بقيَ مِنَ التنبيهاتِ

---

(١) سورة ق الآية: ١٩ .

(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠ .

(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.

والإرشاداتِ إتمامًا لما سبقَ:

الإرشادُ الأولُ: يُخزنُ بعضُ الناسِ في هواتفِهم نغماتٍ موسيقيةً وأغانيَ ساقطةً ومقاطعَ بذيئةً، فيدخلون بها بيوتَ اللهِ، وقد تصرخُ أثناءَ تأديةِ الصلاةِ، وربما يحدثُ ذلك في أشرفِ بقاعِ الأرضِ مكةَ حتى أصبحت مساجدُنا كبِيَعِ النصارى يترددُ على جنباتِها الناقوسُ، فأيُّ دينٍ لهؤلاءِ! وأيُّ خشوعٍ بل أيُّ صلاةٍ مرفوعةٍ لهم! ثم هل شَرَفُ المساجدِ بقراءةِ القرآنِ والصلاةِ والذكرِ وحلقِ العلمِ أم بالنغماتِ والموسيقى والعبثِ بالهاتفِ المحمولِ ـ اللهُ المستعانُ ـ .

الإرشادُ الثاني: يتباهى ويتفاخرُ بعضُ الشبابِ والشاباتِ بكلِّ هاتفٍ جديدٍ، ويبحثون دائمًا عن كلِّ صادرٍ في السوقِ، وبعضُهم ـ هداهم اللهُ ـ يمتلكون هاتفين وأكثرَ، وهذا الصنيعُ تبذيرٌ منبوذٌ وتصرفٌ مشؤمٌ ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[1] فالهاتفُ أكانَ قديمًا أم جديدًا فالهدفُ منه واضحٌ والغايةُ منه معلومةٌ.

الإرشادُ الثالثُ: يُضيِّعُ كثيرٌ مِنَ الشبابِ حياتَه الثمينةَ وأنفاسَه الغاليةَ في المراسلاتِ الهاتفيةِ والاتصالاتِ العشوائيةِ، وقد يسهرُ بعضُهم إلى أوقاتٍ متأخرةٍ مِنَ الليلِ في ثرثرةٍ وقيلٍ وقالٍ وغِيبةٍ ونميمةٍ وانتهاكِ أعراضٍ؛ وقد يحجزُ الواحدُ الطريقَ العامَ لمكالمتِه ورسائلِه دون مراعةٍ لحقِ طريقٍ ولظروفِ الآخرين.

الإرشادُ الرابعُ: يظنُ بعضُ أولياءِ الأمورِ ـ رحمَهم اللهُ ـ أنَّ الهاتفَ المحمولَ في جيبِ أولادِه مِنَ البنينِ والبناتِ علامةٌ لابنِ بجدتِه وابنِ مدينتِه، وبصمةٌ للتقدمِ واتقانِ الحياةِ، والواقعُ أنَّ الهاتفَ للأحداثِ والمراهقين مِن إرهاصاتِ التخلفِ ودلائلِ التأخرِ، والواقعُ المرُّ الذي نعيشُه يكشفُ عن نفسه ولو جمعَ الحروفَ، فالحالُ شاهدٌ بالحتوفِ، فالمآسي مِنَ الهاتفِ المحمولِ لا تُحصى، والمدادُ يتقاصرُ منها حياءً وخجلًا، ثم إذا كانَ

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٧ .

الصبيانُ والصبايا معهم المحمولُ، فعلى الوالدين أن يفتشا الهاتفَ، وأن يتابعاه لما في ذلك مِنَ المصلحةِ والمنفعةِ لفلذاتِ أكبادِهم.

الإرشادُ الخامسُ: يهدي بعضُ المخربين المنحرفين وقرناءُ السوءِ الذين يعيشون في بيوتاتِ الهواملِ[1]، ومساكنِ الهملِ بعضَ الأولادِ والبناتِ الهواتفَ، فليحذر وليُّ الأمرِ أن يتركَ أولادَه لقمةً ساغةً لهؤلاءِ فيعوي الذئبُ ويبكي الغرابُ في بيتِه.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ واستجيبوا لنصحِ الناصحين، وكونوا عونًا لأولادِكم في كلِّ خيرٍ، وجنبوهم وحذروهم كلَّ شبهةٍ وشرٍ.

أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه ثم توبوا إليه إنَّ ربي قريبٌ مجيبٌ.

★★★

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندِه، وعلى آلِه وصحبِه مِن بعدِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها السادةُ المسلمون

أمَّا الإرشادُ السادسُ: فإنَّ بعضَ المستخدمين للهاتفِ المحمولِ يجعلون القرآنَ الكريمَ لرنينِ هواتفِهم، فيرنُ في دورةِ المياهِ، وقد يحملُ هاتفَه قبل تمامِ الآيةِ، وفي ذلك ما لا يخفى عليكم من امتهانِ القرآنِ الكريمِ والاستخفافِ بمنزلتِه العظيمةِ، فلا تجعلوا كلامَ اللهِ عرضةً للأذى، فهو كما قالَ الحقُّ جلَّ وعلا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾[2].

---

(١) الهواملِ: المتسكعون.

(٢) سورة الكهف الآية: ١، ٢.

الإرشادُ السابعُ: خلصت بعضُ الدراساتِ الحديثةِ إلى وجودِ مضارٍ صحيةٍ مِنَ الهاتفِ المحمولِ تتمثلُ في نقصان السمعِ وفقدانه وتدميرِ خلايا الدماغِ واضطرابِ الأعصابِ؛ فالاقتصادُ في المكالماتِ والتقليلُ من هَوسِ الهاتفِ المحمولِ والحدُ مِنَ استخدامِه ما لم تكن هناك ضرورةٌ أمرٌ يجبُ أن يعيَه الجميعُ، وأن يتناصحوا عليه، إذ يتفاجأ العاقلُ بأنَّ جميعَ أفرادِ بعضِ الأسرِ يحملون الهاتفَ صغيرُهم وكبيرُهم ذكرُهم وأُنثاهم دون مبالاتٍ بوقتٍ ولا اقتصادٍ ولا صحةٍ؛ فاتقوا الله وكونوا مِنَ الراشدين، وخذوا النصحَ والارشادَ وطبقوه ففيه الخيرُ والسدادُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على البشيرِ النذيرِ والسراجِ المنيرِ.

(١) سورة الزمر الآية: ١٨.

الخطبةُ الخامسة والثلاثون

استقبالُ شهرِ رمضانَ ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ المتوحدِ بجلالِ البهاءِ، والمنفردِ بدوامِ البقاءِ، المتعالي عن الزوالِ والفناءِ، والمقدسِ عنِ الآباءِ والأبناءِ، المتردي برداءِ العظمةِ والكبرياءِ، العليمِ بجميعِ الأشياءِ، الذي جلَّ عن الابتداءِ والانتهاءِ، السميعِ الذي لا تشتبُه عليه الأصواتُ المختلفةُ في الدعاءِ، البصيرِ الذي يبصرُ دبيبَ النملِ على الرملِ في الليلةِ الظلماءِ، العليمِ الذي لا يعزبُ عن علمِه مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، الحليمِ الذي يُسبلُ على مَن عصاه جميلَ السترِ والغطاءِ، المنعمِ على مَن اتقاه بجزيلِ النعمِ والعطاءِ، والحكيمِ الذي رفعَ السماءَ بغيرِ عمدٍ في جوِّ الهواءِ، وبسطَ بساطَ الأرضِ بحكمتِه على تيارِ الماءِ، الذي تعالى عنِ الأضدادِ والأندادِ والقرناءِ، وجلَّ عن الصاحبةِ والأولادِ والشركاءِ، المطلعِ الذي لا يستترُ عنه سرُّ الضميرِ في جميعِ الأوقاتِ والأناءِ.

نحمدُه على صنوفِ الآلاءِ، ونشكرُه على مواسمِ الطهرِ والصفاءِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ طبٍّ لقلوبِنا وشفاءٍ، وسَعْدٍ لأرواحِنا ونهجٍ سواءٍ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أتمَّ به فيوضَ النعماءِ، وجاءَ به مرشدًا وموجهًا بما يحققُ الفوزَ في دارِ الجزاءِ، (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه السادةِ النبلاءِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا سكانَ هذه الدارِ

واللّٰهِ إنَّها بنا لسافرةٌ، ويا مقيمون والأيامُ والليالي بهم سائرةٌ، فإنَّما الدنيا مراحلُ تُفضي بكم إلى منازلِ الآخرةِ، ألا ترون شهرَ شعبانَ، كيف

بانَ عليه المُحاقُ، وعمَّا قريبٍ يؤذنُ بالرحيلِ عنكم والفِراقِ، فانظروا شهرَ شعبانَ، كيف ذهبَ كأنَّه ساعةٌ مِن نهارٍ، وتصرمت أيامُه ولياليه كلمحٍ من لمحاتِ الأبصارِ هذا ومواعظُه تُتلى عليكم ليلًا ونهارًا، وحوادثُه تجولُ فيما بينكم يمينًا ويسارًا، ألا وإنَّه قد حانَ مِن شهرِ شعبانَ الارتحالُ، وآنَ مِن شهرِ اللّهِ الكريمِ الإقبالُ، فتأهبوا ـ رحمكم اللّهُ ـ لاغتنامِه وواظبوا على الطاعاتِ في لياليه وأيامِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2].

سيشرقُ على العالمِ الإسلاميِّ بعدَ أيامٍ قلائلَ شهرٌ من أعظمِ الشهورِ يمنًا وبركةً، وأعظمُها منفعةً وفائدةً، وأرفعُها منزلةً ومكانةً فيه أُنزلَ القرآنُ هدىً للناسِ، وفيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، وفيه كانت غزوةُ بدرٍ، وفيه فتحُ مكةَ، وفيه تُفتحُ أبوابُ الجنةِ، وفيه تُغلقُ أبوابُ النيران، وفيه تُصفَّدُ الشيطانُ، وفيه التهجدُ والتراويحُ، وفيه فيه.

فيا أيُّها الشهرُ المباركُ كن لنا ... شفيعًا إلى الديان كلَّ مدان

إنَّ بلوغَ رمضانَ نعمةٌ كبرى، يقدرُها حقَّ قدرِها المشمرون، وهي أمنيةٌ كان يتمناها نبيُّكم محمدٌ(ﷺ) ويسألُها ربَّه حتى كانَ يقولُ: " اللهم بارك لنا في رجبَ وشعبانَ وبلغنا رمضانَ".

معاشرَ المسلمين

وفي هذه الأزمان ارتدَّ المسلمون طرائقَ قددًا في استقبالِ هذا الشهرِ الفضيلِ، وهنا ترسو الكلماتُ: إنَّ قلةً مِنَ المسلمين قدرت هذا الشهرَ قدرَه، وأنزلتَه منزلتَه، واغتبطت جذلًا بقربِه، فهو عندها فرصةٌ للتوبةِ والإنابةِ ومحوِ صفحاتِ السوادِ وقهرِ الهوى وامتثالِ أمرِ اللّهِ ورسولِه

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٣.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(ﷺ)؛ ومن هذه القلةِ مَن جهزَ العُدةَ لختمِ القرآن بالمراتِ مع التدبرِ لكلامِ اللهِ تعالى، ومنها مَن يحسبُ ساعاتِ القيامِ والتهجدِ بنفسه وأهلِه في غمرةِ الأسحارِ؛ ومِن قلتِنا مَن يثابرُ في تحصيلِ صنوفِ العباداتِ من زكاةٍ وصدقةٍ وبرٍّ وإحسانٍ وحضورِ درسِ علمٍ؛ فهو لا يألوا جهدًا في مواقفةِ وجوهِ الخيرِ وتحصيلِها؛ فقد صدقَ في هذه القلةِ قولُ الحقِّ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1] فيا طوبى لهذا الصنفِ لا يزيدُه رمضانُ إلا انتماءً لأُمتِه فهو يعتصرُ ويجتهدُ في إصلاحِ نفسِه ومجتمعِه، هذا الصنفُ يضمدُ ما استطاعَ من جراحاتِ أمتِه العظمى، وينظرُ بحصافةٍ لمصائبِها الكُبرى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[2].

أمَّا القسمُ الثاني فيرى شهرَ رمضانَ تقليدًا موروثًا وأعمالًا صوريةً محدودةَ الأثرِ ضعيفةَ العطاءِ، تجوعُ البطونُ صباحًا وتتكدسُ الأطعمةُ فيها ليلًا، فيتراكُم في قلبِه الإنهزامُ النفسيُّ والعبثُ الشيطانيُّ، فمن يقضي سحابةَ نهارِه نائمًا، ويقطع ليلَه هائمًا، ومَن يفطر بتمرةٍ وماءٍ أو تمرةٍ ولبنٍ وتفطرُ عيناه وسمعُه على حلقةٍ تافهةٍ ومسلسلٍ هزيلٍ، ومَن يعطي غرائزَه العنانَ وحواسَه الفلتانَ بالغيبةِ والنميمةِ والخوضِ في أعراضِ إخوانِه، فهؤلاءِ جميعًا بأوا بالخسارِ والتبارِ، وهم محرومون من نفحاتِ الصيامِ وفضلِه عند الرحمنِ.

أيُّها السادةُ الموحدون

قولوا لي هل عندكم سواءٌ مَن يسهرُ ليلَه إلى الواحدةِ أو بعدها بنفسه أو مع أهلِه يقلبون صفحاتِ القرآن، ويتهجدون بما تيسرَ مِنَ الركعاتِ

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٦١.

(٢) سورة البقرة الآية: ٥ .

أو يستغلون أوقاتهم بقراءةِ كتابٍ أو ما كانَ مفيدًا كمَن يسهرُ ليلَه بالمباريات دونَ ضابطٍ أو قيدٍ وبألعابِ الحاسبِ الآليِّ أو في شيءٍ من محلاتِ اللهوِ أو بالثرثرةِ والقيلِ والقالِ؟!

إجابتُكم بالتأكيدِ: لا سواءَ فلا تستوي الظلماتُ والنورُ، ولا الظلُ ولا الحرورُ، وما يستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ.

فاتقوا اللّهَ وكونوا مِنَ الفريقِ الأولِ، وأحسنوا لأنفسكم ما دام في العُمُرِ فسحةٌ ونياطُ القلبِ تدبُّ حركتُه فأيامُكم قليلةٌ وأعمارُكم قصيرةٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّه الذي اختارَ للخيراتِ أوقاتًا وأيامًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له كتبَ المغفرةَ لمن صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وصحبِه ما ذكرَه الذاكرون قعودًا أو قيامًا.

أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

إنَّ مما يؤسفُ له ويثقلُ حِمْلُه في القلبِ واللسانِ أنَّ كثيرًا مِنَ المسلمين مع الصنفِ الثاني مِنَ الشرودِ والاستهتارِ وعدمِ المبالاةِ بهذا الموسمِ العظيمِ، فما عادت المواعظُ زاجرةً، ولا النصائحُ رادعةً في عصرِ النورِ الماديِّ والظلماتِ الروحيةِ، فليت أمتي تقدرُ هذا الشهرَ قدرَه، وليت المسلمين يستجيبون للناصحِ الأمينِ، إذًا لتمنينا لهم شأنًا غيرَ هذا الشأنِ، ولرجونا أن يكونَ لهم حالٌ غيرُ هذا الحالِ، ولكن هيهاتَ أن يفعلوا فليسَ رمضانُنا القادمُ هذا بأولِ رمضانَ جاءَ ولا بأخرِ رمضانَ سيجيءُ، فكم جاءَ رمضانُ ورمضانُ، وكم مضى رمضانُ ورمضانُ، والمسلمون وقوفٌ في مكانهم إن لم يتأخروا، خلاعةً ومجونًا وتهتكًا واستهتارًا وإباحيةً في الأخلاقِ

واستهانةً بآدابِ الدينِ؛ وما اللّٰهُ بغافلٍ عمَّا يعملون على أنَّ في مجيءِ رمضانَ وذهابِه آياتٌ بيناتٌ لأولي الألبابِ وعظاتٌ بالغاتٌ لقومٍ يعقلون، فإنَّ الدنيا يقتربُ فناؤُها، وعن قريبٍ سيَحِلُّ زوالُها، فاستعدوا ليومٍ لا ينفعُ الظالمين معذرتُهم، ولهم اللعنةُ ولهم سوءُ الدارِ، وهذا رمضانُ يفتحُ لكم صدرَه بصنوفِ الخيراتِ، فشمروا واجتهدوا ونصحوا إخوانَكم بفعلِ الخيرِ لعلكم تفلحون، واجتنابِ المنكرِ لعلكم ترحمون.

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

الخطبةُ السادسةُ والثلاثون

مواقفُ من غزوةِ بدرٍ الكُبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي جعلَ الحمدَ مِفتاحاً للكلامِ، والحمدُ للّه حمداً يربو عدُّه على قطراتِ الغمامِ والهيامِ، نصرَ عبدَه ببدرٍ، فشهرت بظفرِ الفرقان رايةُ الإسلامِ وشمَّرَ الصحابةُ فرمى أحدُهم بتمراتٍ، وهو يقولُ: بخٍ بخٍ إنَّها لحياةٌ طويلةٌ إن بقيت حتى أكلَ التمراتِ، فاستشهدَ أعني عُميرَ بنَ الحُمامِ، اندحرت فلولُ الأصنامِ فذاقَ أبو جهلٍ وشيبةُ سُمَّ اللزامِ، وتجرَّعَ عقبةُ مِن عاصمٍ ضربةَ الحُسامِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تكفلُ حسنَ الختامِ، وتروي الأوامَ[1]، وتَشفي الأوامَ[2]، وتقشعُ الظلامَ، وتكونُ لنا العُدةَ الواقيةَ في حشرجةِ الأنفسِ وسكراتِ الحمامِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه دعانا إلى الإسلامِ، وجنبنا عبادةَ الأصنامِ، وسنمنا ذروةَ عزٍّ لا ترامُ، ونثرَ يافوخَ الشركِ نثراً ليسَ لهُ مِن بعدِه نظامٌ، اللهم صل وسلم على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه المُلحقين به في التبجيلِ والإكرامِ؛ أمَّا بعدُ:

فأيْ عمادَ الإسلامِ

اعلموا أنَّكم في شهرٍ الفائزُ مَن جاءَ فيه بعملٍ مبرورٍ، والخاسرُ المحجوبُ مَن انسلخَ عنه بذنبٍ غيرِ مغفورٍ، ألا وقد تقضت منه غررُه وأوائلُه العظامُ، واستقبلتم منه وسائطَ هنَّ وسائطُ عِقدِ النظامِ وخواتيمُ هنَّ لأيامِه مسكُ

(١) الأوام: حرارةُ العطش.
(٢) الأوام: الدّوار.

الختام، فاجتهدوا فيهن بصالحِ العملِ قبل ما لا يدفعُ إذا نزلَ وحلولُ ما ليس لأحدٍ به قدرةٌ ولا قبلٌ .

أمَا آنَ لكم أن تتعظوا بزواجرِ الكلامِ؟ أمَا آنَ لأهلِ الفكرةِ منكم أن يتذكروا مصارعَ مَن قد فاتَ مِنَ الأنامِ؟ أمَا آنَ لأهلِ العجزِ أن ينهضوا للعملِ لدارِ السلامِ؟ أمَا آنَ لأهلِ الكسلِ أن يغتنموا هذه الليالي والأيامَ، ليالي وأيامًا تغمرُها أسرارٌ وأنوارٌ، ليالي وأيامًا تُمحى فيها الخطايا والأوزارُ، ليالي وأيامًا يكثرُ فيها عتقُ الرقابِ مِنَ النارِ، ما أطيبَ المناجاةَ فيها للهِ عندَ الأسحارِ، وما أسرعَ إجابةَ الدعواتِ عندَ الإفطارِ، وما أحسنَ أوقاتَها من قيامٍ وصيامٍ وتضرعٍ واستغفارٍ؛ فاغتنموا فضلَ ربِّكم ذي الفضلِ والإحسانِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[1] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾[2] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[3] .

أيُّها الصوَّامُ

في مثلِ هذه الأيامِ مِن شهرِ رمضانَ في السنةِ الثانيةِ للهجرةِ النبويةِ التقى الظلامُ بالنورِ والكفرُ بالإيمانِ والباطلُ بالحقِ، والتقتِ الجاهليةُ بالإسلامِ، فجاءَ الحقُ وزهقَ الباطلُ؛ دارت في بدرٍ رحى معركةٍ طاحنةٍ بين فئتين غيرِ متكافئتين فئةٍ قليلةٍ مؤمنةٍ وفئةٍ كثيرةٍ كافرةٍ؛ فانتصرتِ الفئةُ القليلةُ على الفئةِ الكثيرةِ بإذنِ اللهِ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[4]، كان المشركون أكثرَ عددًا مِن المسلمين، وكانوا أحسنَ عُددًا، وأغنى في قضاياهم الإدارية، كان عددُ أصحابِ رسولِ

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٤ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٣ .
(٣) سورة يونس الآيات: ٦٢ - ٦٣ .
(٤) سورة آل عمران الآية: ١٢٣.

اللهِ (ﷺ) ثلثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا، وكانَ عددُ المشركين ألفًا، وكانَ مع المسلمين فرسان، ومع المشركين مئةُ فرس، وكان المسلمون حفاةً عُراةً جياعًا، وكانَ المشركون ينحرون يومًا عشرًا، ويومًا تسعًا مِنَ الإبلِ، وكانَ المسلمون مِن قبائلَ شتى، وكانَ المشركون مِن قريشٍ، كانَ المسلمون يومَ بدرٍ كلَّ ثلاثةٍ يتناوبون على بعيرٍ، ومع هذا كلِّه انتصرت العقيدةُ وحدَها، هي السلاحُ الأولُ والأخيرُ للمنتصرين، فلقيَ المصيرُ الفاجعُ سبعون جُلُّهم من صناديدِ الشركِ ورؤسائِه، دارت عليهم دائرةُ السَّوءِ وتجرعوا كؤوسَ الردى، وسقطَ في الأسرِ سبعون، وفرَّ البقيةُ هاربين مذعورين ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾(١) ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ﴾(٢) ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ ﴾(٣).

معشرَ الإخوةِ الصائمين

في معركةِ بدرٍ دروسٌ وعبرٌ، فحسبُكم في هذه العجلةِ صورٌ رائعةٌ ودروسٌ سجلَها نبيُّنا محمدٌ(ﷺ)وأصحابُه، لعلنا نكسبُ بها قوةً في عقيدتِنا، ومتانةً في أخلاقِنا، وعظمةً في بطولتِنا، وفذاذةً في استقامتِنا، وفلاحًا في قيادتِنا.

اسمعوا ـ رعاكم اللهُ ـ كانَ أفرادُ الجيشِ النبويِّ مع قوَّادِهم يعتقبون السبعين بعيرًا في حملتِهم، فلكل ثلاثةٍ بعيرٌ يتناوبون عليه، فكانَ الرسولُ (ﷺ) ومرثدُ بن أبي مرثدٍ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ يتناوبون على بعيرٍ، فطلبَ مرثدٌ وعليٌّ من زميلِهما النبيِّ (ﷺ) أن يتنازلا عن حصتِهما في ركوبِ البعيرِ فرفضَ النبيُّ(ﷺ) ذلك، وقالَ لهما: " ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى

(١) سورة محمد الآية: ٧ .
(٢) سورة محمد الآية: ٨ .
(٣) سورة البقرة الآية: ٢٤٩.

عن الأجرِ منكما "، هذا هو القائدُ الحقُّ فلا فرقَ بينَ قائدٍ وجنديٍّ في ميزان الإسلامِ .

وتذكرُ كتبُ السيرِ أنَّ الصحابيَّ الشهيرَ مصعبَ بنَ عميرٍ مرَّ بأخيه أبي عزيزِ بنِ عميرٍ الذي خاضَ معركةَ بدرٍ ضدَ المسلمين، مرَّ به وأحدُ الأنصارِ يضعُ القيودَ في يدِه، فقالَ مصعبُ للأنصاريِّ شدَّ يديه به، وأحكم القيدَ عليه، فإنَّ أمَه ذاتُ متاعٍ لعلها تفديه منك، فقالَ أبو عزيزٍ: يا أخي مصعبُ: أهذه وصاتُك بي! فردَّ عليه مصعبُ إنَّه ـ أي الأنصاري ـ أخي دونك .

وفي معركةِ بدرٍ قَتلَ عمرُ بنُ الخطابِ خالَه العاصَ بن هشامٍ، كما طلبَ أبو بكر مبارزةَ ابنه عبدِ الرحمنِ الذي كانَ في جيشِ المشركين، ومِنَ المناظرِ الرائعةِ التي برزت فيها قوةُ العقيدةِ وثباتُ المبدءِ ما كانَ مِن حذيفةَ بنِ عتبةَ بنِ ربيعةَ فقد رأى أباه صريعًا ثم أمرَ به الرسولُ (ﷺ) أن يلقى في القَليبِ ـ البئرِ العميقِ ـ مع مَن قُتلَ مِنَ المشركين، فتغَيَّرَ وجهُ حذيفةَ وعلتْه سحابةٌ مِنَ الكآبةِ والحزنِ، وهو يرى جُثةَ أبيه عتبةَ تسحبُ بين الجُثثِ لالقائِها في القليبِ، فرآه الرسولُ (ﷺ)، فقالَ له يا حذيفةُ: لعلك قد دخلَك مِن شأن أبيكَ شيءٌ، فقالَ الشابُ المؤمنُ حذيفةُ: لا واللّه يا رسولَ اللّه ما شككتُ في أبي، ولا في مصرعِه، ولكنني كنتُ أعرفُ مِن أبي رأيًا وحلمًا وفضلًا، وكنتُ أرجو أن يهديَه اللّهُ للإسلامِ، فدعا الرسولُ(ﷺ)بخيرٍ، وقالَ له: خيرًا . فللهِ درُّ صحابةِ رسولِ اللّه (ﷺ) هل لنا في زماننا بشبابٍ كأمثالِهم تشربت قلوبُهم بالإيمان، وامتلأت أرواحُهم بطاعةِ الرحمنِ؟ هل لنا بجيلٍ تتمثلُ فيه هذه الشجاعةُ النادرةُ للدفاعِ عن حياضِ الإسلامِ بعيدًا عن التخنعِ والتخلعِ.

هيهاتَ أن يأتي الزمانُ بمثلِهم ... إنَّ الزمانَ بمثلِهم لبخيلُ

أيُّها الأحبةُ

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[1].

★★★

الحمدُ للّٰه لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ دعا وبلَّغ وبشَّرَ وأنذرَ وجاهدَ في اللّٰه حقَّ جهادِه (ﷺ)، وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه والتابعين ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الإخوةُ في اللّٰه

في بدرٍ أسرَ رسولُ اللّٰه (ﷺ) مَن أسرَ، وعفى عمَّن عفا إلا أفرادًا منهم زعيمُ الشركِ وقائدُ الضلالِ عقبةُ بنُ أبي معيطٍ لتجاوزِه حدَّ العفوِ والصفحِ، فأمرَ النبيُّ (ﷺ) بقتلِه فولولَ عقبةُ وسعلَ، وقالَ: يا ويلي علامَ أُقتلَ من بين من هاهنا، يا محمدُ اجعلني كرجلٍ من قومي، إن مننتَ عليهم مننتَ عليَّ، وإن قتلتهم قتلتني، وإن أخذت فداءً منهم فخذ مني، يا محمدُ مَن للصبيةِ؟ فقالَ(ﷺ): لهم النارُ. قدِّمه يا عاصمُ، واضرب عنقَه فقتلَه عاصمُ بنُ ثابتِ بنِ أبي الأقلحِ، ثم قالَ النبيُّ (ﷺ)لأصحابِه، أتدرون ما صنعَ هذا بي؟ جاءني وأنا ساجدٌ خلفَ المقامِ، فوضعَ رجلَه على عنقي، فما رفعَها حتى ظننتُ أنَّ عيني ستندران مِن رأسي، وجاءَ مرةً أخرى بسلا شاةٍ ـ وهو ما يعقبُ الولادةَ مِن أوساخٍ وقاذوراتٍ ـ فألقاه على رأسي، وأنا ساجدٌ فجاءت فاطمةُ، فغسلته عن رأسي.

وهكذا قضى المصطفى (ﷺ) على رؤوسِ الكفرِ، وانتهت معركةُ بدرٍ بنهايةٍ غيَّرت موازينَ القُوى الروحيةِ والسياسيةِ والعسكريةِ والاجتماعيةِ في الجزيرةِ العربيةِ، كما تدهورت سمعةُ قريشٍ، وهوى نفوذُها في أنحاءِ الجزيرةِ العربيةِ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم

(١) سورة نوح الآيات ١٠- ١٢ .

بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2].

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى .

(١) سورة آل عمران الآية: ١٢٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٠.

الخطبةُ السابعةُ والثلاثون

بمناسبةِ بدءِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي لا أولَ يثانيه، الآخرِ الذي لا آخرَ يدانيه، الظاهرِ الذي لا ظاهرَ يضاهيه، الباطنِ الذي لا باطنَ يواطيه، البعيدِ الذي لا بالمسافةِ نوافيه، القريبِ الذي يجيبُ دعوةَ داعيه، الأحدِ الذي لا أحدَ يحاذيه، الفردِ الذي لا أمدَ له فينقطعُ تماديه، العليمِ بما في السمواتِ وما تحت أراضيه، نحمدُه تعالى حمدًا يقبلُه منا ويوافيه، ويجفأ به عنا سلاليمَ عذابه ومهاويه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تقربُنا مِن تعاليه وتحجزُنا عن مناهيه، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُك ورسولُك الصابرُ لما يعانيه، الشاكرُ لأنعمِ ربِّه وأياديه، المتعلقُ بمولاه في رائحِه وغاديه، (ﷺ) وعلى أصحابه وأتابع ناديه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

مَن استمعَ لخطوبِ الأيامِ استغنى عن خُطَبِ الأنامِ، ومَن ارتدعَ عن ركوبِ الأثامِ، ارتقى أعلى درجاتِ الكرامِ، ومَن قدحَ بصيرتَه بزنادِ الاعتبارِ، أنارت له ظُلَمَ العواقبِ بمصابيحِ الاستبصارِ، فاجذبوا - رحمَكم اللّهُ - جوامحَ النفوسِ عن طلقِ الآمالِ واقمعوا طوامحَ الأهواءِ بذكرِ أمرِّ الكؤوسِ ومُودِعِكم مِنَ الرموسِ، وذلكم الموتُ المترصِّدُ لقبضِ أرواحِكم صباحًا ومساءً، المزعجُ لكم ضحى ودجى، فكيف بك أيُّها العبدُ الضعيفُ إذا استأثرَ بكَ الموتُ ووقعتَ أسيرًا وحيدًا حيرانَ بين مخالبِ أمِّ قشعم، فأسلمت لها روحَك رغمًا لأنفِك، فأُفردت حينئذٍ من نعمِك وأموالِك، وتقلدت قلائدَ أعمالِك، وتزودت مِنَ الدنيا ثوبَ أكفانِك، ووجدت مع

مولاكَ ما صنعتَه في إسرارِك وإعلانِك؟ فبماذا إلى الملكِ الدَّيان غدًا تعتذرُ؟ أم ماذا له تقولُ إذا قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] أعددتَ لسؤالِه جوابًا شافيًا؟ أم وجدت من نكالِه حجابًا وافيًا؛ هيهاتَ هيهاتَ أفحمَ واللهِ عن الجوابِ لسانُ المجيبِ، وتكلم على الأفئدةِ إعلانُ الوجيبِ، وشهدت الجوارحُ بمسطورِ الرقيبِ، وارتعدت الفرائصُ لهولِ اليومِ العصيبِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[2] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

عبادَ اللهِ

كلُّكم يدري أنَّ العلمَ شرفٌ ونورٌ، وأنَّ الجهلَ شرٌ وبوارٌ، وأنَّ العلمَ النافعَ مصدرُ الفضائلِ، وأنَّ الجهلَ مكمنُ الرذائلِ، وأنَّ العلمَ أعذبُ الموارِدِ، وأنَّ الجهلَ أعكرُ المشاربِ، وبالعلمِ النافعِ يتحققُ للأفرادِ والمجتمعاتِ بناءُ الأمجادِ، وتشييدُ الحضاراتِ، كما بالجهلِ تتزعزعُ الأركانُ، ويتصدعُ عامرُ البنيانِ فإلى مقاربةٍ بين نقيضين ضدين ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾[4] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[5]، وفي الحديثِ عن الصادقِ (عليه السلام): "ويلٌ لمن لا يعلمُ مرةً، وويلٌ لمن يعلمُ ولا يعملُ مرتين".

وهذه المقارنةُ الضديدةُ أدركَها سلفُ هذه الأمةِ، ففروا مِنَ الجهلِ وسقطوا في حمى العلمِ، وبذلوا في سبيلِه القليلَ والغمرَ والغاليَ والنفيسَ؛

---

(١) سورة الصافات الآية: ٢٤.
(٢) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.
(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.
(٤) سورة الرعد الآية: ١٩.
(٥) سورة الزمر الآية: ٩.

فهذا أحدُهم يقولُ: أبطأت عني نفقةُ والدي، وأنا ابنُ اثنتي عشرةَ سنةً أطلبُ العلمَ، فاضطررتُ إلى أن فتقت كُميّ قميصي فبعتُهما، ونقضَ أحدُهم وهو في ريعان شبابه سقفَ بيتِه فباعَ خشبَه ليتزودَ لطلب العلم، وعلى هذا النهجِ الرفيعِ تعاقبت طوائفُ الأولياءِ، وتوالت زُمرُهم في الميدان، فقامَ صرحُ العلمِ، وشُيّدت أركانُه، ودُونت العلومُ بألوانٍ مِنَ الصبرِ العجيبِ بظمأِ الهوجرِ وسهرِ الليالي وانقطاعِ النفقةِ في بلدِ الاغترابِ والمشاقِ الناصبةِ المتعاقبةِ؛ فنشأت أجيالٌ افتخرت بهم الحضارةُ الإسلاميةُ في شتى نواحي الحياةِ .

حتى انقلبتِ الموازينُ، وتبدلتِ الأحوالُ، فكثرت مواردُ العلمِ، وقلَّ واردُها، وطفحت مناهلُ المعرفةِ، وقلَّ ناهلُها؛ فإذا اتصلتَ بالحياةِ الحديثةِ، ونظرت حالَ الجيلِ عن كثبٍ وخالطت الناسَ، ودرست أحوالَهم، وأصغيت إلى حديثِهم رأيت الأغلبيةَ الساحقةَ لا يُقيمون للعلمِ وزنًا، ولا يعرفون للكتابِ حقًا، اختفت من قلوبِهم لذةُ العلمِ، وانمحت من أرواحِهم الدراسةُ وحبُ الكتابِ، ولا علاقةَ لهم بالمكتبةِ ومجالسةِ الكتابِ فمِن قائلٍ: الكتابُ للغبارِ ـ رحمَه اللهُ ـ ومِن متحدثٍ بفيه: عُمُري أربعون سنةً، ولا أملكُ كتابًا ـ عافاه اللهُ ـ .

وهكذا صارت الحياةُ كلُّها جهادًا في سبيلِ اللذاتِ مِنَ اللباسِ والطعامِ والهرجِ، وهكذا تُنحرُ الأعمارُ إلى غايةِ الرحيلِ إلى منازلِ الآخرةِ - واللهُ المستعانُ -.

أمةَ العلمِ والإيمان

وبمناسبةِ بدءِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ نبعثُ بهذه التوجيهاتِ نرجو أن يكونَ طرحُها حافزًا للهممِ، وأن يعيَ كلُّ واحدٍ منَّا دورَه ليتمَ ما نصبو إليه من عزٍّ ومنعةٍ ونصرةٍ ومجدٍ وقوةٍ.

التوجيهُ الأولُ: يجبُ أن يكونَ هناك اتحادٌ كليٌّ وجزئيٌّ بين وزارةِ التربيةِ والتعليمِ والمدرسةِ والبيتِ، إنَّ الأعوامَ المنصرمةَ تكشفُ ـ والأسفُ يملأُ جوانحَنا ـ أنَّ هناك شَرْخًا خطيرًا وصدعًا عميقًا بين هذه الأركان، فالمناهجُ ـ عليها السلامُ ـ والنشراتُ تصدرُ أسبوعيًا، وأغلبُها لا جدوى من ورائِها اللهم إلا أن تكونَ في بلبلةِ مسيرةِ التعليمِ وزيادةِ خلخلتِه، ونجدُ المدارسَ في وادٍ ثم لا تجدُ ارتباطًا بين أولياءِ الأمورِ وأولادِهم مِنَ البنين والبناتِ، فوليُّ الأمرِ لا يُكلِّفُ نفسَه ولا مرةً واحدةً ليقفَ على المستوى الأخلاقيِّ والتعليميِّ لأولادِه فنرجو أن يفقَه كلُّ أحدٍ دورَه، فالوزارةُ عليها أن تَدرسَ جيدًا خططَها بما يرفعُ من مستوى التعليمِ، وعلى المدرِّسِ أن يُخلِصَ في عملِه، وأن يقدِّمَ ما بوسعِه من معلوماتٍ وفوائدَ لطلابِه فلا يبخل وليجتهدَ في تثقيفِ نفسه أولًا وإلا ففاقدُ الشيءِ ماذا يعطيك؟

أمَّا أولياءُ الأمورِ فعليهم أن لا يخونوا أمانتَهم، وأن يتقوا اللهَ في أولادِهم، ففي الحديثِ الشريفِ: " فالأبُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه "، على الأبِ ألاَّ يبخلَ على ولدِه أو ابنتِه بزيارةٍ لكلِّ أسبوعين أو على الأقلِ في كلِّ شهرٍ مرةً ليتعرَّفَ على أحوالِهم في المدرسةِ، عليه أن يلبيَ دعوةَ مجلسِ الآباءِ، وأن يقدِّمَ ما ينفعُ لرفعِ مستوى الجيلِ من حلولٍ واقتراحاتٍ وبهذا التعاونِ البنَّاءِ المثمرِ يتحققُ المقصودُ، وتصبحُ المدارسُ صروحَ خيرٍ وهدىً وميادينَ توجيهٍ وتربيةٍ.

التوجيهُ الثاني: يكشفُ الواقعُ عن نفورِ الجيلِ مِنَ الكتابِ ومطالعةِ العلومِ، كما يوجدُ ضعفٌ ظاهرٌ في القراءةِ والكتابةِ، فيذهلُك الحالُ أنَّ طالبًا في الثاني عشر أو في جامعةٍ أو كليةٍ لا يعرفُ القراءةَ والكتابةَ، واسألوا – إن شئتم – المؤسساتِ فلديها الخبرُ اليقينُ، فيجبُ أن نغرسَ في نفوسِ الصبيانِ والناشئةِ حبَ العلمِ، ولا بُدَّ أن تقامَ في المدارسِ حصصٌ مكثفةٌ يحاضرُها متخصصون تغرسُ في نفوسِ الطلبةِ أهميةَ الكتابِ والقراءةِ والكتابةِ والمقارنةِ بين الأممِ المتعلمةِ والأممِ الجاهلةِ وعاقبةِ المتعلمِ وعاقبةِ الجاهلِ.

واللّهَ نسألُ أن يغيِّرَ ما بأنفسنا حتى يغيِّـرَ حالَنـا، وأن يـرزقَ الجميـعَ العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هـذا وأستغفرُ اللّهَ لي ولوالـدي ولكـم ولجميـع المـؤمنين، فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

★★★

الحمدُ للّه الذي علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ الأعزُ الأكرمُ، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبـدُه ورسـولُه الـداعي إلى السبيلِ الأقومِ، صلى اللّه وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلمَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا طلبةَ العلمِ الشريفِ ويا شبابَ الأمةِ

لا ينكرُ أحدٌ الجهدَ المبذولَ في البلادِ مِن تشييدِ المدارسِ وتـوفيرِ كافـةِ وسائلِ الراحةِ مع الخدماتِ التعليميةِ وتوفيرِ الكتبِ الدراسيةِ؛ وهذا كلُّـه بحاجةٍ إلى شكرٍ، والشكرُ لا يكـونُ إلا بالمثـابرةِ في طلـبِ العلـمِ واحتـرامِ مكانِ التعليمِ وتوقيرِ المدرسِ وعدمِ الإساءةِ إليه ليـؤديَ واجبَـه علـى أكمـلِ وجـهٍ والبعـدِ عـن السـلوكياتِ المنحرفـةِ وسفاسـفِ التصـرفاتِ والشـغبِ والفوضـى؛ فـإنَّ كـلَّ ذلـك بطـرٌ بـنعمِ اللّهِ، وكفـرانٌ لهـا ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[1].

وعلى المشاغبين الفاقدين للتربيةِ أن يدركوا أنَّ مَن يزرع خيرًا يحصـد غِبْطةً ومن يزرع شراً يحصد ندامةً، ولن يجتنيَ من شوكةٍ عنبةً .

ألا وصلوا وسلموا على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه .

(١) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

الخطبةُ الثامنةُ والثلاثون

الردُّ والانتصارُ لأمّنا عائشةَ بنتِ أبي بكرٍ (رضيَ اللّهُ عنها)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي خصَّ بحسنِ اصطفائِه نبيَّه محمدًا (ﷺ) وأهلَ بيتِه الأطهارِ، وحذَّرَ أيَّما تحذيرٍ مِن مغبةِ التعرضِ لمقامِهم باللعنِ والانتصارِ وقرَّبَ أقوامًا لحضرتِه وحجبَهم عن الأغيارِ وأبعدَ آخرين، فضربَهم بسيفِ البُعدِ والانتهارِ، سبحانه أنزلَ في كتابِه ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾[1] فطهرهن من مستنقعِ الأرجاسِ والأكدارِ، ورفعهن إلى مراتبِ الصديقين الأبرارِ.

فبشَّرَ خديجةَ ببيتٍ في الجنةِ فحصلَ لها العزُّ والفخارُ، وكانت سَودةُ ثانيَ أزواجِه المشهورةُ بالإيثارِ، وأنزلَ آياتِ التبرئةِ لعائشةَ فبشرى لها إلى يومِ القيامةِ هذا الثناءُ المعطارُ، ومَنَّ بالمزيدِ على حفصةَ فصامت الهواجرَ، وقامتِ الليالي والأسحارَ، وجادَ بالمعروفِ على الزينبين فحظيتا بالشرفِ الرفيعِ المِكثارِ، ووهبَ لهندٍ قلبًا عامرًا بالخيرِ المدرارِ وسقى صفيةَ ورملةَ شِرْبَ الزُّهدِ والوقارِ، ورزقَ ميمونةَ الكثرةَ في الأورادِ والأذكارِ.

نحمدُه تعالى ما هطلتِ الأمطارُ على الديارِ والأمصارِ، وما ساحت على البسيطةِ العيونُ والأنهارُ، ونشكره إلى حينِ انقضاءِ الأعمارِ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له الكريمُ الغفارُ الحليمُ الستارُ مكورُ الليلِ على النهارِ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه النبيُّ المختارُ(ﷺ) وعلى آلِه أولي الهيبةِ والوقارِ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٢ .

فيا عبادَ اللّه

أمَا لكم عبرةٌ فيمن قرضتهم الشهورُ والدهورُ في الماضي مِنَ السنين! أمَا لكم فكرةٌ فيمن صرعَ الموتُ قبلَكم مِنَ الأنامِ مِن شيخٍ وكهلٍ وشابٍ وطفلٍ وجنينٍ! أمَا اعتبرتُم بمن قبرتم مِن صديقٍ وشقيقٍ وخليلٍ وقرينٍ! إلى متى تلتفتون إلى علائقِ الدنيا كأنَّكم ما أنتم من الموتِ على يقينٍ، أغرتكم المهلةُ أم جادَ الزمانُ لكم بيقينٍ، اعمروا الدنيا بقدرِ الحاجةِ ولا تركنوا إليها فتمسَّكم النارُ، واركنوا إلى مالكِ يومِ الدينِ؛ باللّه عليك أبي وأخي اقبل نصحي قبلَ أن يعرقَ منك الجبينُ، ويشتدَّ نزعُك والأنينُ، ويُبكى عليك بماءِ الدمعِ المعينِ، وتحصلُ في قبرٍ مظلمٍ لا يظهرُ فيه النورُ ولا يُبينُ، ويبقى فيه كلُّ امرئٍ بما كسبَ رهينٌ، أمَا أنذرَك قولُ الحقِ المبينِ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]، أمَا وعظَك الدهرُ وأسمعَك الصوتُ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] زرِ المقابرَ، وجلس عندها جلوسَ الخاشعين، وتفكر في أصحابِها تفكرَ الخائفين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] ﴿ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4].

أيُّها المسلمون الأطهارُ

ثابتٌ في قلبِ كلِّ مسلمٍ أن رسولَ اللّه (ﷺ) وأصحابَه من بعدِه هم الإسلامُ ومادتُه المسرجةُ النيرةُ للعالمين، بهم نهضتِ الدعوةُ، واشتدَّ ظهرُها، وقوى عودُها، وعن طريقِهم وصلنا الإسلامُ، وأنَّ التعرضَ لهم والطعنَ فيهم حرامٌ لا يجوزُ لأنَّه طعنٌ في الإسلامِ، وفجوةٌ ينفذُ منها أعداءُ الإسلامِ،

---

(١) سورة القصص الآية: ٨٨.
(٢) سورة الرحمن الآيات: ٢٦ - ٢٧.
(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٩.
(٤) سورة الأعراف الآية: ١٦٩.

فلهم التوقيرُ والاحترامُ والمحبةُ والإكرامُ؛ وأنعم برجالٍ ونساءٍ لهم شرفُ الصحبةِ، وفيهم نزلَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[2].

حتى غدت ملةُ الإسلامِ وهي بهم ... من بعدِ عُربتِها موصولةَ الرحمِ
مكفولةً أبدًا منهم بخيرِ أبٍ ... وخيرِ بعلٍ فلم تيتم ولم تئمِ

ومع هذه المنزلةِ العظيمةِ والمكانةِ الرفيعةِ فلا غرابةَ أن يأتيَ أيُّ زمانٍ بأقزامٍ يهرفون بما لا يعرفون، ويحسدون الشمسَ على سراجِها، والقمرَ على نورِه، فذلك يسبُّ النبيَّ(ﷺ)، وهذا يهددُ ويزمجرُ بحرقِ نسخٍ من المصحفِ الشريفِ، ويزدادُ الأمرُ خطرًا حينما يزعمُ رجلٌ أنَّه يؤمنُ باللهِ ربًا وبالإسلامِ دينًا وبمحمدٍ نبيًا ورسولًا، فيقدحُ في زوجٍ من أزواجِ النبيِّ الطاهراتِ، وينالُ من شَرفِها، ويتطاولُ بلعنِها، ويقيمُ سهرةَ فرحٍ بيومِ وفاتِها، ولا عجبَ أن يخرجَ مثلُ هذا من رجلٍ لا يمثلُه فكرٌ، وليسَ له وزنٌ في أمةِ الإسلامِ، ولا يعرفُه أحدٌ، أحبَ الظهورَ والشهرةَ فلم يجد لها مصعدًا إلا بالمخالفةِ في سبِّ زوجِ النبيِّ (ﷺ)، وقديمًا قيلَ: "خالفْ تعرفْ".

أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

إنَّ الوقوفَ على ومضاتٍ من سيرةِ هذه البرَّةِ الصالحةِ والزوجةِ الطاهرةِ وبيانِ منزلتِها في الإسلامِ والدفاعِ عنها أمرٌ واجبٌ؛ ليكون ذلك ردًّا وردعًا للأقزامِ الموتورين الذين يتعرضون للجبالِ الشوامخِ، فمَن هي هذه الزوجةُ؟ وما منزلتُها؟ إنَّها المزملةُ بالمزايا السنيةِ، المدثرةُ بالأخلاقِ المرضيةِ، الراقيةُ في درجاتِ العلمِ ذرها البواذخُ، حبيبةُ الحبيبِ، المبرأةُ من العيوبِ، المعراةُ مِنَ ارتيابِ القلوبِ، إنَّها مَن كانَ القرآنُ العظيمُ سميرَها، والورعُ في كلِّ أمرٍ خدينَها، والعلمُ في كلِّ وجهةٍ قرينَها، والرسولُ (ﷺ) في

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.
(٢) سورة الزمر الآية: ١٨.

الحياةِ أليفَها، إنَّها زوجُ رسولِ اللهِ (ﷺ)، الصديقةُ بنتُ الصديقِ عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي قحافةَ (رضيَ اللهُ عنها وأرضاها ورضيَ عن أبيها وأرضاه).

إخوةَ العقيدةِ

أتدرون منزلتَها في قلبِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، قالت عائشةُ زوجُ النبيِّ (ﷺ): أرسلَ أزواجُ النبيِّ(ﷺ) فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ (ﷺ) إلى رسولِ اللهِ (ﷺ) فاستأذنت عليه، وهو مضطجعٌ معي في مرطي - أي في ثوبي - فأذنَ لها فقالت - يا رسولَ اللهِ -: إنَّ أزواجَكَ أرسلنني إليك يسألنك العدلَ في ابنةِ قحافةَ، فقالَ لها رسولُ اللهِ (ﷺ) أي بُنية! ألستِ تحبين ما أحبُّ، فقالت: بلى، قالَ: فأحبي هذه - يعني عائشةَ - وقالَ مرةً لأزواجِه: " لا تُؤذونني في عائشةَ فإنَّه واللهِ ما نزلَ الوحيُّ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكن غيرَها "، أبعدَ أقوالِ النبيِّ (ﷺ) وحبِّه لها نلتفت إلى أصواتِ النشازِ التي تهيمُ في كلِّ وادٍ، أبعدَ مكانتِها هذه، تهمُّنا أقوالُ الجاهلين، وفتاوى الخُنفشارين[1]، كلا واللهِ إنا إذًا لخاسرون .

أيُّها الموحدون

أتدرون منزلتَها في العلم، إنَّها أعلمُ الصحابياتِ على الاطلاقِ، وهي كبيرةُ محدِّثاتِ عصرِها، ونابغةُ الصحابياتِ في الذكاءِ والفصاحةِ والعلمِ والطبِّ، روت مِنَ الأحاديثِ عن النبيِّ (ﷺ) ألفي حديثٍ، ومئتي وعشرةِ أحاديثَ، وهي بنتُ ثمان عشرة سنةً لأنَّ النبيَّ (ﷺ) مات عنها، وهي في هذا السنِ، وحفِظت القرآنَ الكريمَ في حياةِ النبيِّ (ﷺ) وهي بنتُ خمسَ عشرةَ سنةً، فللهِ درُّها، ما أعظمَ حفظَها، وما أوسعَ علمَها وفقهَها.

فوقروا أحبتي في اللهِ أمَّكم عائشةَ، ودافعوا عنها، وحاموا عن حياضِها، وتدارسوا سيرةَ نبيِّكم الكريمِ وسيرةَ أصحابِه الكرامِ ليزداد حبُّكم وتعلقُكم بهم.

---

(١) كلمةٌ يتداولُها نُقَّادُ الأدبِ للشخصِ الذي يدَّعي الفهمَ والعلمَ، وهو لا يملكُ منهما شيئًا .

وليقرع سمعَ كلِّ متطاولٍ على اللهِ ورسولِه(ﷺ) وأصحابِه قولُ اللهِ تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلت، وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه ثم توبوا إليه، إنَّ ربي قريبٌ مجيبٌ.

★★★

الحمدُ للهِ تعالى على جزيلِ نوالِه، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه؛ وبعدُ:

فيا أيُّها الجيلُ المؤمنُ

امتازت أمُّنا الجليلةُ عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ عمَّن سواها بخصالٍ جمةٍ، قالت (رضيَ اللهُ عنها) ـ متحدثةً بتلك النعمِ ـ فُضلت بعشرٍ: لم يَنكح رسولُ (ﷺ) بكرًا غيري، ولا امرأةٌ أبواها مهاجران غيري، وأنزلَ اللهُ براءتي مِنَ السماءِ في حادثةِ الإفكِ، وكانَ ينزلُ عليه الوحيُّ وهو معي، وكنت أغتسلُ أنا وهو من إناءٍ واحدٍ، وكان يصلي وأنا معترضةٌ بين يديه، وقُبضَ بين سحري ونحري وحاضنتي وذاقنتي في حجرتي، وفي ليلتي، ودُفِنَ في حجرتي.

فكفتها هذه الخصالُ عزًّا وفخرًا إلى يومِ القيامةِ (رضيَ اللهُ عنها وأرضاها وجعلَ الجنةَ مستقرَها ومثواها وجمعنا بها في مراتبِ الصديقين والشهداءِ والصالحين) وحسن أولئك رفيقًا، آمين .

ألا وصلوا وسلموا على الحبيبِ المجتبى، كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٥٧ – ٥٨ .

الخطبةُ التاسعةُ والثلاثون

التلاعبُ بالأهلةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي أنزلَ الآياتِ المحكماتِ والمتشابهاتِ، وشرعَ الشرائعَ القيِّماتِ، ووقتَ لها المواقيتَ فمنها زمانياتٌ وأُخرُ مكانياتٌ، فرضَ على الناسِ الصلواتِ، وجعلَ مجمعَ الفضلِ في الأيامِ المعلوماتِ، وجعلَ من أيامِها عظيمةَ الفضلِ عرفات، نحمدُه تعالى أن جعلَ مِن تقلبِ الليلِ والنهارِ عبرًا وآياتٍ، ونشكرُه أن غرزَ الدقةَ المتناهيةَ في الشمسِ والقمرِ ليقوما بالحساباتِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له حاطنا بالعناياتِ، وشرفنا بالعباداتِ، ورغبنا في الباقياتِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه(ﷺ) بيَّن لنا ما حملتْه الآياتُ، وحددَ لنا مواقيتَ العباداتِ، وعددَ الركعاتِ والسجداتِ، وعلى آلِه وأصحابِه الذين ساروا على منهاجِه فسددوا الأفكارَ المرتجاتِ، وقوموا الطرائقَ المعوجاتِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

اتقوا اللّهَ فقد أمرَكم بتقواه وحبب إليكم الإيمانَ، واجتنبوا معاصيَه فقد كرَّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعِصيانَ، وراقبوه فإنَّه معكم يسمعُ ويرى في كلِّ مكان وأوانٍ، واشكروه حقَّ شكرِه فقد خوَّلَكم مالا يُحصى مِنَ النعمِ والإحسان، وحذروا بطشَه فقد حذَّرَكم نفسَه في محكمِ القرآن، وتذكروا أيامَه فيمن قبلَكم فقد قصَّ عليكم القصصَ حتى صارت لكم كالعيان، وتقربوا إلى اللّهِ بالطاعاتِ لتنالوا غرفَ الجنان، واعملوا لآخرتِكم فكأنَّكم بما لم يكنَ منها قد كانَ، واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه، فإنَّه دائمُ العفوِ والغفران وإياكم وهذه الدنيا التي كلُّ مَن عليها فانٍ، فإنَّ

نعيمَها إلى بؤسٍ، وزيادتها إلى نقصانٍ، فقد قالَ تعالى: ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]. واذكروا ربَّكم حقَّ ذكرِه ولا سيما في هذه الأيامِ بالقلوبِ والألسنِ والأركان ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[3] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

أيُّها البررةُ

يسمعُ كلُّكم عنِ الخليجِ الذي يفصلُ جزيرةَ العربِ عن فارسٍ، وبينهما ماءٌ إذ تعيشون على ساحلهِ بالنسبةِ إلى الآخرين لكن هناك خليجٌ آخرُ أكثرُ خطرًا وأطولُ مدى وأشدُّ عمقًا من خليجِكم هذا؛ وهو الخليجُ الذي وقعَ بينَ الإسلامِ والمسلمين، وأنَّ هناك خلجانًا وفجواتٍ بين الإسلامِ والمسلمين في العقائدِ والعباداتِ، وأشدُّ من ذلك أن تبتلى العقيدةُ والعبادةُ فتسيسُ تبعًا لفكرٍ مريضٍ أو جهلٍ موغلٍ سقيمٍ، فيتحكمُ رجالٌ لا يملكون حصافةَ الرجلِ السليمِ، وليس لهم قُلامةٌ مِن فقهٍ في الدينِ، فيفرضوا إرادتَهم، ويتحكموا في نُسُكِ الأمةِ المحمديةِ، وفي المقابلِ تُوارى بالحجابِ نظرةُ العلماءِ والراسخين الأتقياءِ، فتتحللُ العباداتُ وروحُها التحللَ الأكبرَ.

يا لك مِن قنبرةٍ بمعمرٍ ... خلا لك الجوُ فبيضي واصْفِري
ونقري ما شئت أن تنقري ... قد رحلَ الصيادُ فابشري[5]

---

(١) سورة غافر الآية: ٣٩ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ٧٦ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣١.
(٤) سورة الحشر الآية: ١٨.
(٥) مثلٌ يُضربُ في الحاجةِ يتمكنُ منها صاحبُها كما يشاءُ .

أيُّها الإخوةُ المؤمنون .. يرعاكم اللّهُ.

إنَّ تحجيمَ العباداتِ بمنظورٍ ضيقٍ كسِّمِ الخياطِ ومحاولةِ المغالبةِ الخفيةِ لفكرٍ ما زجٌّ بالناسِ إلى الهاويةِ والجحيم، يتحملُ أوزارَها الساعون حثيثًا إليها أولًا، كما تتحملُ الشعوبُ المسلمةُ المسؤوليةَ ثانياً، لأنَّها حاملةٌ لأمانةِ اللّه تعالى، فلا بُدَّ أن تدافعَ عن حياضِها، وأن تناقشَ مناقشةً علميةً هادفةً لكلِّ إشكالٍ أو خلخةٍ تطرأُ مِن أيِّ فردٍ أو أيِّ جهةٍ كانت .

ولما كانَ هذا الاضطرابُ الظاهرُ تكررَ مراتٍ حتى جعلَ الناسَ في حَيرةٍ من أمرِهم نوجهُ الحديثَ في نقاطٍ فاسمعوا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1].

النقطةُ الأولى: ثبت عنِ النبيِّ (ﷺ) أنَّه قالَ: " الشهرُ تسعٌ وعشرون ليلةً فلا تصوموا حتى تروه ـ أي الهلال ـ فإنَّ غُمَّ عليكم فأكملوا العدةَ ثلاثين"، وليسَ قولُه (ﷺ) خاصًا بشهرِ رمضانَ، فقد وقعَ الإجماعُ على أنَّ الشهرَ الهجريَّ لا ينقصُ عن تسعةٍ وعشرين يومًا، ولا يكونُ أكثرَ من ثلاثين يومًا.

النقطةُ الثانيةُ: يظنُ بعضُ المسلمين أنَّ الشهورَ الهجريةَ لا بُدَّ أن تكونَ متساويةً في جميعِ الدول، وأنَّ الصيامَ والحجَ لا بُدَّ أن يكونا متحدين، ولا سيما يومُ عرفةَ ويومُ الأضحى، وهذا لا يصحُّ ومردودٌ بأدلةٍ:

أولُها: أنَّ الخلفاءَ الراشدين ما ماتوا حتى انتشرَ الإسلامُ شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا؛ ومع ذلك ما ثبت عنهم أنَّهم كانوا يكتبون إلى الأفاقِ والبلدان بتعميمِ حكمِ الرؤيةِ لتكونَ متحدةً بين هذه البلدان.

ثانيًا: لا يصحُ أن تتحدَ العباداتُ بحالٍ مِنَ الأحوالِ، فمعلومٌ أنَّ الشمسَ تغربُ في مكانٍ قبلَ أن تغربَ في غيرِه، وهكذا الطلوعُ والفجرُ وغيابُ

(١) سورة الزمر الآية: ١٨ .

الشفقِ، وما من حركةٍ تتحركُها الشمسُ إلا وهي فجرٌ عندَ قومٍ وزوالٌ عند قومٍ، وغروبٌ عند قومٍ، فلا يصحُ أن توحَّدَ الصلاةُ مثلًا لأنَّ ذلك يقضي بأن يصليَ قومٌ العصرَ ليلًا أو فجرًا، بل نجدُ الخلافَ هذا في الدولةِ الوحدةِ، وهكذا الصومُ يختلفُ الإمساكُ والافطارُ والدخولُ والخروجُ بين بعضِ البلدان، فكما أنَّ الصلاةَ والصومَ لا يصحُ توحيدُهما، فكذا شهرُ الحجِ لا يصحُ توحيدُ دخولِه وخروجِه في الديارِ والمعمورةِ كافةً.

النقطةُ الثالثةُ: ثبت في الحديثِ الصحيحِ الثابتِ عن كُريبٍ أنَّ أمَ الفضلِ بنتِ الحارثِ بعثته إلى مُعاويةَ بالشامِ، قالَ كُريبٌ: فقدمت الشامَ فقضيت حاجتَها، واستهلَّ عليَّ رمضانُ وأنا بالشامِ، فرأيتُ الهلالَ ليلةَ الجُمُعةِ، ثم قدمت المدينةَ في آخرِ الشهرِ، فسألني عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ (رضيَ اللهُ عنهما) ثم ذكرَ الهلالَ، فقالَ: متى رأيتُم الهلالَ؟ فقلتُ: رأيناه ليلةَ الجُمُعةِ فقالَ: أنت رأيته، فقلتُ: نعم. ورآه الناسُ وصاموا وصامَ مُعاويةُ؛ فقالَ ابنُ عباسٍ (رضيَ اللهُ عنهما): لكنا رأيناه ليلةَ السبتِ، فلا نزالُ نصومُ حتى نكملَ ثلاثين يومًا أو نراه، فقلت: أوَلا تكتفي برؤيةِ معاويةَ وصيامِه؟ فقالَ: لا . هكذا أمرَنا رسولُ اللهِ "، والحديثُ صريحٌ على اختلافِ دخولِ الشهرِ وخروجِه بين البلدين، وأنَّه من أمرِ الرسولِ (ﷺ)حتى قالَ: لا . هكذا أمرَنا رسولُ اللهِ (ﷺ) أي بتحري دخولِ وخروجِ الهلالِ، ولئن كانَ الحديثُ خاصًا بنهايةِ شهرِ رمضانَ ودخولِ شهرِ شوالَ، فإنَّ الحكمَ المستنبطَ عامٌ لبقيةِ الشهورِ الهجريةِ .

وأيضاً ثبت عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ (رضيَ اللهُ عنهما) أنَّه قالَ: " لكلِّ قومٍ رؤيتهم" و" لكلِّ قومٍ يا أخي هلالُهم ".

فاتقوا اللهَ ـ أيُّها الموحدون ـ واسألوه صلاحَ الحالِ، واستغفروه إنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعًا إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

★★★

الحمدُ للّٰه ذي الجلالِ والإكرامِ والافضالِ والانعامِ، ثم الصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنامِ، المبتعثِ مِن عنصرِ الكرامِ، وعلى آلِه أعلامِ الإسلامِ وأصحابِه مصابيحِ الظلامِ؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللّٰه وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ (ﷺ) وشرَ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّها المسلمون الصالحون

يُلبِّسُ بعضُ المسلمين ـ هداهم اللّٰهُ ـ على إخوانهم، ويحاولون إقناعَهم لإيقاعِهم في الشبهاتِ فتجدُ مَن يقولُ: بأنَّ الهلالَ مرتفعٌ كبيرٌ، وهو ابنُ الليلةِ الثانيةِ، ولا يكونُ ابنُ الليلةِ الأولى ـ فيا إخوة – لا عبرةَ لِكبرِ الهلالِ ولا صغرِه ولا ارتفاعِه ولا انخفاضِه؛ وإنَّما العبرةُ برؤيتِه كما تدلُ على ذلك السنةُ المحمديةُ الثابتةُ عن رسولِ اللّٰه (صلى اللّٰهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلمَ) فقد روى أبو البَخْتري قالَ: خرجنا للعُمرةِ، فلما نزلنا ببطنِ نخلةَ، قال: تراءينا الهلالَ ، فقالَ بعضُ القومِ: هو ابنُ ثلاثٍ، وقالَ بعضُ القومِ: هو ابنُ ليلتين، قالَ أبو البَخْتري: فلقينا ابنَ عباس، فقلنا: إنا رأينا الهلالَ، فقالَ بعضُ القومِ: هو ابنُ ثلاثٍ، وقالَ بعضُ القومِ: هو ابنُ ليلتين، فقالَ: أيُّ ليلةٍ رأيتموه؟ قالَ: فقلنا : ليلةَ كذا وكذا، فقالَ: إنَّ رسولَ اللّٰه (ﷺ) قالَ: " إنَّ اللّٰهَ مدَّه للرؤيةِ فهو لليلةِ رأيتموه"، فتأملوا معي قد ظنَّ القومُ الهلالَ ابنَ ليلتين أو ثلاثَ ليالٍ ، فكانَ ابنَ ليلةٍ واحدةٍ.

فاتقوا اللّٰهَ ـ عبادَ اللّٰه ـ واعلموا أنَّ اللّٰهَ لا يقبلُ عبادةً موقتةً إلا في وقتِها فخذوا بالأحزمِ في دينكم فلا تتنصلوا من حكمِ اللّٰه، وتلقوا بالائمةِ لغيركم، وأنَّهم مسؤلون فكما هم مسؤلون أنتم كذلك مسؤلون أمامَ اللّٰه.

واعلموا أنَّكم تتفيأون ظلالَ العشرِ الغُرِّ المباركةِ مِن ذي الحجةِ التي أقسمَ اللهُ بلياليها، فقالَ: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾[1] فأكثروا مِنَ التهليلِ والتكبيرِ والاستغفارِ لفاطرِ السمواتِ والأرضِ؛ ومن بشائرِ الخيرِ التي تثلجُ الصدرَ في هذا المجتمع المسلمِ أن تصدحَ في الطرقاتِ التهاليلُ المباركةُ مِنَ الأطفالِ والناشئةِ للهِ ربِّ العالمين ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾[2] .

ألا وصلوا وسلموا على خاتمِ النبيين وقرةِ عينِ العارفين .

(١) سورة الفجر الآيات: ١- ٢.

(٢) سورة الجاثية الآيات: ٣٦ - ٣٧ .

الخطبةُ الأربعون

كانوا قرآنًا يمشي على الأرضِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه حمدًا كثيرًا كما أمرَ، سبحانَه خلقَ كلَّ شيءٍ بقدرٍ، والتقى الماءُ على أمرٍ قد قُدِرَ، وفَّقَ نبيَّه بأصحابٍ مقتفين له فيما صغرَ وكبرَ نجَّا آلَ لوطٍ بسحرٍ نعمةً لكلِّ عبدٍ شكرَ، بشَّرَ المتقين بجناتٍ ونهرٍ، وأنذرَ المكابرين بمسِ سقرَ.

إلهَنا لك الحمدُ بالأصالِ والبكرِ أمنا بكَ وبرسولِك وبالقدرِ.

إلهَنا نعوذُ بكَ من فتنتي الغنى والفقرِ ومن عذابِ القبرِ.

إلهَنا أمدَّنا بالاعانةِ والنصرِ ووفقنا في ساعاتِ العصرِ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له إرغامًا لَمن جحدَ به وكفرَ، وأشهدُ أن سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ، اللهم فصل وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه ما اتصلت عينٌ بنظرٍ وأُذنٌ بخبرٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أهلَ الجملةِ الغراءِ

جاءَ في الأثرِ: إنَّ الروحَ إذا خرجت مِنَ الجسدِ ومضى عليها سبعةُ أيامٍ، تقولُ: يا ربِ ائذن لي حتى أنظرَ إلى جسدي ما حالُه ؟ فيقالُ لها: اذهبي فتأتي الروحُ إلى القبرِ، فتنظرُ إليه فتراه متغيرًا يسيلُ من منخرِه وفمِه وعينيه ماءٌ، فتقولُ له: صرت إلى هذا الحالِ بعد نضارةِ جسمِك، ثم تمضي وبعدَ سبعةِ أيامٍ أُخرى تقولُ: يا ربِ ائذن لي حتى أنظرَ إليه ما حالُه؟ فقالَ لها: اذهبي فتراه وقد تحوَّلَ الماءُ صديدًا، والذي في عينيه

قيحًا، والذي في أنفِه دمًا، فتقولُ له: صرتَ إلى هذا الحالِ ثم بعدَ سبعةِ أيامٍ تستأذنُ فيؤذنُ لها فتنظرُ إليه من بعيدٍ فتراه، وقد صارَ الصديدُ دودًا، وقد سقطت عيناه على وجهه، والدودُ يدخلُ في فمِه، ويخرجُ من منخرِه فتقولُ: صرت إلى هذا الحالِ بعد النعيمِ والدَّلالِ.

فيا عبدَ اللهِ انظر إلى حالِك كيف تصيرُ بعدَ الموتِ؟ وكيف تطلبُ العودَ وقد حصلَ الفوتُ فأنت عمَّا يرادُ بك غافلٌ، وفي بحارِ الآمالِ غارقٌ، أوقرٌ في أذنيك عن النصائحِ؟ أغشاوةٌ في قلبِك عن جميعِ المصالحِ!

تاللهِ ما ينفعُ المرءَ في قبرِه غيرُ التقى والعملُ الصالحُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

أيُّها الأحبةُ في اللهِ.. يا حفظَكم اللهُ.

إنَّ لكلِّ مجتمعٍ رموزًا وقادةً يمثلون قيمَهُ، ويطبقون أوامرَه ونواهيَه، ويوجهون الأمةَ من لجةِ اليمِّ إلى برِّ السلامِ والأمانِ، ورموزُ المجتمعِ الإسلاميِّ هم صحابةُ رسولِ اللهِ(ﷺ)، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وأفضلُهم أهلُ السابقةِ مَن محصتهم الفتنُ، ونقتهم المحنُ هؤلاءِ هم الجدولُ الفيَّاضُ الذي ينتشلُ الأمةَ من ركامِها، ويرجعُ بالأمةِ إلى قيادةِ الأممِ، كيف لا. وقد كانوا ـ رضيَ اللهُ عنهم ـ مثالًا عجيبًا في فهمِ تعاليمِ الإسلامِ وتنفيذِ أوامرِ القرآنِ الكريمِ، قد كانوا أشدَّ الحذرِ مِن أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليمٌ؛ هذا حالُهم فما حالُنا؟!

بعد أن تركَ بعضُ المسلمين مما عُلمَ مِنَ الدينِ بالضرورةِ، وتساهلَ كثيرٌ منهم في الصلاةِ والزكاةِ، وفي كثيرٍ من تعاليمِ الإسلامِ، وضربوا بعرضِ الحائطِ كثيرًا من أوامرِ القرآنِ الكريمِ وزواجرِه. ألم يقلِ الحقُ:

(١) سورة ال عمران الآية: ١٠٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[1] فأصبحَ كثيرٌ من المسلمين غارقين في الربا إلى أذقانِهم.

ألم يقلِ العزيـزُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2] فصارَ الخمرُ في أسواقِ المسلمين، ويُشربُ في بعضِ بيوتِ المسلمين، ويقدمُ وجبةً في الفنادقِ .

ألم يقلِ الدَّيانُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[3] فأضحى اليهودُ والنصارى أولياءَ لشعوبِ الإسلامِ، ألم يقل . ألم يقل، فإنا للّٰهِ وإنا إليه راجعون .

فإليكم أحبابَ رسولِ اللّٰهِ صورًا تطبيقيةً من صحابةِ رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) للآيةِ الثانيةِ مِن سورةِ الحُجراتِ ليتضحَ البونُ الشاسعُ والهوةُ السحيقةُ بين ذلك الجيلِ والأجيالِ التي خلفت، فألقوا إليَّ أسماعَكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[4].

قَدِمَ وفدُ تميمٍ على رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) وطلبوا المفاخرةَ وبيانَ منزلتِهم عن غيرِهم، فقامَ خطيبُهم فافتخرَ، ثم قامَ الصحابيُّ ثابتُ بنُ قيسٍ فخطبَ خطبةً بليغةً جَزْلةً، فغلبهم، وقامَ شاعرُهم وهو الصحابيُّ الأقرعُ بنُ حابسٍ، فأنشدَ أبياتًا، ومنها قولُه:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٨ .
(٢) سورة المائدة الآية: ٩٠ .
(٣) سورة المائدة الآية: ٥١ .
(٤) سورة ق الآية: ٣٧ .

وإنَّ لنـــا المِربـــاعَ في كـــلِّ غـــارةٍ تكـونُ بنجـدٍ أو بـأرضِ التـهائمِ

فقامَ الصحابيُّ حسانُ بنُ ثابتٍ، فأجابَه، ومِن قولِه:

بـني دارمٍ لا تفخـروا إنَّ فخـرَكم يقـودُ وبالًـا عنـدَ ذكـرِ المكـارمِ

فحدثَ التراشقُ، فقالوا: خطيبُهم أخطبُ من خطيبِنا، وشاعرُهم أشعرُ من شاعرِنا، فارتفعت أصواتُهم بالحضرةِ النبويةِ، والنبيُّ (ﷺ) ساكتٌ لا يتكلمُ، ويسمعُ ما يدورُ، فنزلَ قولُ الحقِّ جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[1] فلما نزلت هذه الآيةُ الكريمةُ احتجبَ الصحابيُّ الجليلُ ثابتُ بنُ قيسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فلَزمَ بيتَه، وقالَ: أنا خطبتُ يومَ المفاخرةِ وارتفعَ صوتي عن غيري بحضرةِ النبيِّ (ﷺ)، وكانَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ رجلًا جهيرَ الصوتِ يلازمُ رسولَ اللهِ (ﷺ) لا يفارقُه عندَها يلزمُ بيتَه لا يكادُ يخرجُ إلا لأداءِ المكتوبةِ، فافتقدَه النبيُّ الكريمُ (صلواتُ ربي وسلامُه عليه)، فقالَ ـ بحضرةِ أصحابِه ـ: مَن يأتيني بخبرِ ثابتٍ؟

فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ: أنا يا رسولَ اللهِ، فانطلقَ هذا الأنصاريُّ فجاءه، فإذا هو في بيتِه منكسُ الرأسِ، فقالَ له: مالك يا ثابتُ؟ فردَّ عليه: شرٌ واللهِ، فقالَ له: ما ذاك؟ قالَ: أتعلمُ بأني رجلٌ جهيرُ الصوتِ وكثيرًا ما يعلو صوتي صوتَ رسولِ اللهِ (ﷺ)، وقد علمت ما نزلَ في كتابِ اللهِ، واللهِ ما أحسبُني إلا حُبِطَ عملي، وأني من أهلِ النارِ، فيرجعُ الأنصاريُّ إلى النبيِّ (ﷺ)، ويقول ـ يا رسولَ اللهِ ـ: مِن أمرِه كذا وكذا، ويقولُ: كذا وكذا، فقالَ النبيُّ (ﷺ) للأنصاريِّ: إرجع إليه، وقل له: لستَ من أهلِ النارِ أنت من أهلِ الجنةِ يا ثابتُ، فذهبَ إليه وأخبرَه، فقالَ ثابتُ: " رضيتُ ببشرى اللهِ ورسولِه، لا أرفعُ صوتي على رسولِ اللهِ أبداً "،

(١) سورة الحجرات الآية: ٢ .

وقد تحققت بشارةُ رسولِ اللهِ (ﷺ) لثابتٍ فقد سقطَ شهيدًا في معركةِ اليمامةِ في حربِ مسيلمةَ الكذابِ، فرضيَ اللهُ عن ثابتَ بنِ قيسٍ .

وتذكرُ كتبُ السيرِ: لما نزلتِ الآيةُ الكريمةُ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾[1] قالَ أبو بكرٍ الصديقِ (رضيَ اللهُ عنه) لرسولِ اللهِ (ﷺ): "لا أكلمُك إلا الإسرارَ وأخا الإسرارِ حتى ألقى اللهَ "، وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ فاروقُ الأمةِ ــ رضيَ اللهُ عنه ـ بعد نزولِ هذه الآيةِ لا يسمعُه النبيُّ (ﷺ) حتى يستفهمُه .

هكذا كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ (ﷺ) اختلطَ القرآنُ وتعاليمُه بعروقِهم ودمائِهم، فصاروا قرآنًا يمشي على الأرضِ، فرضيَ اللهُ عنهم وأرضاهم وحشرنا معهم.

أيُّها السادةُ المؤمنون

إلهجوا بالاستغفارِ فإنَّ ربَّكم يقولُ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[2].

★★★

الحمدُ للهِ تعالى على جزيلِ نوالِه، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه؛ وبعدُ:

(١) سورة الحجرات الآية: ٢ .
(٢) سورة النساء الآية: ١١٠ .

فيا أيُّها المؤمنون

لقد كانَ خليفةُ رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) أبو بكرٍ الصديقِ (رضيَ اللّٰهُ عنه) إذا قدمَ وفدٌ، وقد أرسلَ إليهم مَن يعلمُهم كيف يُسْلمون ويأمرُهم بالوقارِ وخفضِ الصوتِ عندَه (ﷺ)؛ فلتكوني ـ أمةَ الإسلامِ ـ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ، ولتعيشي روحَ القرآن الكريمِ واقعًا عمليًا كصحابةِ رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) فبذلك يعودُ مجدُّك الشامخُ وعزُّك الباذخُ.

هذا وصلوا وسلموا على النعمةِ المسداةِ والرحمةِ المهداةِ .

الخطبةُ الحاديةُ الأربعون

الحَثُ عَلى إستِنْزالِ الغَيْثِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي خلقَ الأرضَ وأسكنَ هياجَ الماءِ من تحتِ أكنافِها[1]، وحملَ شواهقَ الجبالِ الشُّمخَ البُذَّخَ[2] على أكتافِها، فأجرى ينابيعَ العيونِ من عرانينِ[3] أنوفِها[4]، وفرَّقَها في سهوبِ[5] بيدائِها وأخاديدِها، وعدلَ حركتَها بالراسياتِ من جلاميدِها[6] وذواتِ الشناخيبِ[7] الشُمِّ من صياخيدِها[8]، سبحانه سبَّحته الأبحرُ فلتطمَ أواذيُّ[9] أمواجِها، واصطفقت[10] تقذفُ بأثباجِها[11]، وترغو زبدًا[12] كالفحولِ عند هياجِها؛ نحمدُه تعالى حمدًا ينعشُ قلوبَنا مِن سباتِها، ويفكُها من أغلالِها وأقفالِها، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً يزيحُ ظلامَ الشكوكِ صبحُ يقينِها، وتمنعُ قائلَها مِن السبعِ وشررِ جحيمِها، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ لرفعِ كلمةِ الإسلامِ وتشييدِها، وخفضِ كلمةِ

---

(١) أكنافها: جوانبها .
(٢) البُذَّخ: العظيمة .
(٣) عرانين: أوَّل كلِّ شيء .
(٤) أنوفها: مجاريها وطرقَها .
(٥) سهوب: أجواف .
(٦) جلاميدها: صخورها .
(٧) الشناخيب: أعالي الجبالِ .
(٨) صياخيدها: الصخرُ الذي لا تعملُ فيه المعاملُ .
(٩) أواذي: أمواج .
(١٠) اصطفقت: اضطربت وتحركت .
(١١) بأثباجها: ما في محاني ضلوعِها .
(١٢) ترغو زبدًا: رغوة البيضاء التي تعلو الماءَ عندَ هيجانِه .

الكفرِ بتوهينِها (ﷺ) وعلى آلِه وصحبِه ليوثِ الغابةِ وأُسدِ عرينِها؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

أوصيكم بتقوى اللّه الذي ألبسَكم الرِّياشَ، وأسبغَ عليكم المعاشَ، أوصيكم بذكرِ الموتِ وإقلالِ الغفلةِ عنه، وكيف غفلتُكم عمَّا ليسَ يغفلُكم، وطمعُكم فيمن ليسَ يمهلُكم، فكفى واعظًا بأمواتٍ عاينتموها، حُملوا إلى قبورِهم غيرَ راكبين، وأُنزلوا فيها غيرَ نازلين، وفُتحوا منها غيرَ فاتحين، وضُموا في طباقِ الأرضِ غيرِ دافعين، ألا ترون ملكَ الموتِ كيف فرشَ بساطَه بينكم، وألقى عصاه عندَكم، فلا تمرُّ يومٌ أو يومان إلا وقد سمعنا عن وفاتِ فلانٍ أو فلانةٍ، هيهاتَ هيهاتَ المهربُ والتأخيرُ، ولو أنَّ أحدًا يجدُ إلى البقاءِ سلمًا أو إلى دفعِ الموتِ سبيلًا لكانَ ذلك لسليمانَ بنِ داودٍ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ الذي سُخِّرَ له ملكُ الجنِ والإنس معَ النبوةِ وعظيمِ الزلفةِ، فلمَّا استوفى طُعمتَه، واستكملَ مُدتَه رمته قِسيُّ الفناءِ بنبالِ الموتِ، فتذكروا واعتبروا واعملوا لمنقلبِكم ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[1] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[2] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[4].

أيُّها المؤمنون

الالتجاءُ إلى اللّه في جميعِ مراحلِ الحياةِ والاطراحِ على عتبةِ عبوديتِه إطراحَ الفقيرِ الكسيرِ والارتماءِ في أحضانِ رحمتِه ارتماءَ الطفلِ

---

(١) سورة الأعلى الآيات: ١٦- ١٧ .
(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٤ .
(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٧.
(٤) سورة البقرة الآية: ٢٨١.

الصغيرِ في أحضانِ أمِه، والإيمانُ القويُّ بأنَّ اللهَ هو النافعُ والضارُّ، والناصرُ والخاذلُ، وأن لا مانعَ لما أعطى، ولا معطيَ لما منعَ، ولا كاشفَ لضرِّه، ولا ممسكَ لرحمتِه، ولا سهلَ إلا ما جعلَه سهلًا، وهو يجعلُ الحزنَ سهلًا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[1].

هذا الإيمانُ كانَ يوحي للمؤمنين بالابتهالِ في الدعاءِ وإطالةِ الوقوفِ ببابِ الكريمِ وشدةِ الالتزامِ بأعتابِه والإلحاحِ في المسألةِ، نعم. هكذا كانت عُدَّةُ الأنبياءِ، كما حكى القرآنُ المجيدُ عنهم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] والنتيجة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[3]، وعن ذي النون يُونُسَ، قالَ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[4] فكانَ الجوابُ من ربِّ الأربابِ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[5].

لقد ظلتِ الأمةُ الإسلاميةُ عبرَ مراحلِ قرونها على صلةٍ بأبوابِ السماءِ في كلِّ أمرٍ يحزبُها، وكانَ صالحو الأمةِ يستنزلون ببركةِ الدعاءِ الآثارَ المعنويةَ من تمكينِ صلتِهم باللهِ وإظهارِ عجزِهم وضعفِهم، وأنَّهم مفتقرون إلى مددِه وقعتِ الآثارُ الحسيةُ أم لم تقع.

---

(١) سورة الشورى الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأنبياء الآية: ٨٣.
(٣) سورة الأنبياء الآية: ٨٤.
(٤) سورة الأنبياء الآية: ٨٧.
(٥) سورة الأنبياء الآية: ٨٨.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

كانَ سلفُ الأمةِ الصالحِ إذا تأخرتِ السماءُ عن دفقِ غيومِها خرجوا طالبين سنةَ الاستسقاءِ متبذلين متواضعين متخشعين متضرعين، وقد خرجَ على هذا الحالِ نبيُّكم محمدٌ (ﷺ) في شهرِ رمضانَ سنةَ ستٍ من الهجرةِ إلى المصلى يَستسقي.

وفي السيرةِ النبويةِ: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ (ﷺ)، فقالَ - يا رسولَ اللّه -: " قد أتيناك وما لنا بعيرٌ يئطُ ولا صبيٌّ يَغِطُّ "، ومرادُ الأعرابيِّ الاشتكاءُ مِنَ الضرِّ الذي هم فيه من شدةِ الجدبِ والحاجةِ النازلةِ بهم وبمواشيهم؛ فقامَ (ﷺ) يجرُّ رداءَه حتى صعدَ المنبرَ، فحمدَ اللّه وأثنى عليه ثم رفعَ يدَه إلى السماء، وقالَ: " اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريًا مُريعًا غدقًا عَجِلًا غيرَ رائثٍ نافعًا غيرَ ضارٍ؛ يملأُ به الضرعَ، وينبتُ به الزرعَ، وتُحيي بهِ الأرضَ بعد موتِها، وكذلك تخرجون"، فما ردَّ يدَه إلى نحرِه (ﷺ) حتى التفتِ السماءُ بأوراقِها، وجاءت بمطرٍ غزيرٍ كأفواه القِربِ حتى جاء مَن يصيحُ الغرقَ الغرقَ، فردَّ رسولُ اللّه (ﷺ) يدَه إلى السماء، فقالَ: " اللهم حوالينا ولا علينا"، فانجابَ السحابُ وأحدقَ بالمدينةِ كالإكليلِ فتبسمَ رسولُ اللّه (ﷺ) حتى بدت نواجذُه، وخرجَ عمرُ بنُ الخطابِ (رضيَ اللّهُ عنه) للاستسقاءِ، وهكذا استمرَ الحالُ حتى تضافرت عواملُ الإفسادِ في جسمِ العالمِ الإسلاميِّ، فأحدثت فيه عللًا كثيرةً وأمراضًا خطيرةً، واختلت أعضاؤُه .

فانعكست وضائفُ الأعضاءِ يشمُ من عين، ومن أنفٍ يسمعُ، ويسعى على بطنٍ، ورجلٌ تدمعُ، هذا هو حالُ جسمِ العالمِ الإسلاميِّ تعززُه بطالةٌ في الجانبِ الروحيِّ، وعملٌ في الجانبِ الماديِّ بكلِّ طاقتِه، تشدُّ أزرَه الحياةُ الماديةُ المعاصرةُ حتى إنَّك لتجدُ كثيرًا مِنَ المسلمين قطعَ صلتَه بالربِّ الكريمِ أو كادَ .

أيُّها الموحدون البررةُ

إنَّ الديارَ تعاني مِن شحِّ المياهِ حتى لا ترى في جوِّ السماءِ قَزْعةً من سحابٍ لأسابيعَ وشهورٍ، وقد تضررت كثيرٌ مِنَ الزروعِ والثمارِ والناسِ والبهائمِ، وجفت كثيرٌ مِنَ الآبارِ، وتدهورت الأفلاجُ وتبعَ هذا الجفافَ الغلاءُ في المعيشةِ فأحيوا ـ رحمَكم اللهُ ـ سنةَ صلاةِ الاستسقاءِ، وتقربوا مِنَ الكريمِ الرحيمِ، فإنَّه لِمَنَ الحرمانِ العظيمِ أن تُهملوا هذه السنةَ في مثلِ هذه الأيامِ، أُخرجوا ومعكم الصبيانُ والحُيَّضُ والبهائمُ إلى الصحراءِ ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

★★★

حمدًا للهِ، وصلاةً وسلامًا على رسولِ اللهِ، وعلى آلِه وصحبِه ومن وآلِه؛ وبعدُ:

فيا أيُّها الجيلُ المؤمنُ

اطلبوا الغيثَ مِن مولاكم جلَّ وعلا، وأحسنوا الظنَّ به، ولا تقنطوا، وأصلحوا فسادَ قلوبِكم، وطهروها من أدران الحسدِ والغلِّ والشحناءِ، وأدوا زكاةَ أموالِكم، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم، ولا تنقصوا المكيالَ والميزانَ، وتوبوا من ذنوبِكم، فإنَّ كلَّ هذا يحجبُ غيثَ السماءِ.

يروى أنَّ بني إسرائيلَ قحطوا قحطًا شديدًا، فأتوا نبيَّ اللهِ عيسى - عليه السلام - فقالوا: يا نبيَّ اللهِ لو خرجتَ عندَنا فاستسقيتَ لنا فخرجَ وخرجَ الناسُ معه حتى اسودَّتِ الجبالُ من كثرتِهم، فقالَ نبيُّ اللهِ عيسى ـ عليه السلام ـ: مَن كانَ منكم قد أذنبَ ذنبًا، فليرجع فرجع أناسٌ، ثم قالَ ثانيةً فرجعَ منهم أناسٌ، فما زالَ يقولُ كذلك حتى رجعَ الناسُ كلُّهم، ولم يبق معه إلا رجلٌ واحدٌ أعورُ، فقالَ نبيُّ اللهِ عيسى ـ عليه السلامُ ـ مالك يا فتى؟ ألم تُصب ذنبًا، فقالَ: أمَّا ذنبٌ أعلمُه فلا إلا أني

(١) سورة هود الآية: ٥٢ .

كنتُ يومًا أصلي فمرت بي امرأةٌ فنظرتُ إليها بعيني هذه، فما جاوزتِ المرأةُ حتى أدخلتُ إصبعي في عيني فانتزعتها.

فقالَ له نبيُّ اللّٰه عيسى ـ عليه السلامُ ـ أنت صاحبي، قم فادعُ حتى أؤمنَ على دعائِك، فدعا الرجلُ وأمَّنَ نبيُّ اللّٰه عيسى ـ عليه السلامُ ـ على دعائِه، فتخللتِ السماءُ سحابًا ثم صبَّت عزاليها فسقاهم اللّٰهُ مطرًا تامًا وغيثًا عامًا. ولا يُشكِلُ عليكم قلعُ العينِ بأنَّه محرمٌ في شرعِنا فإنَّه قد حُرِّمَ في شرعِنا ما لم يحرم في غيرِه.

ومن سيرةِ المتأخرين: ما حدث في سنةِ ثمانيةٍ وستين وثلاثمائة وألفٍ للهجرةِ الإسلاميةِ أصابَ عُمانَ جدبٌ شديدٌ وقحطٌ عظيمٌ، فخرجَ الإمامُ العلاَّمةُ محمدُ بنُ عبدِ اللّٰه الخليليُّ ــ رحمةُ اللّٰه عليه ـ فسرحَ خيالُه قائلًا: (كنا نستغيثُ فتنزلُ الأمطارُ مباشرةً، وتزحمُ الأوديةُ، والآنَ نستغيثُ ولا يزالُ ماؤُنا غورًا، فظلَ يحاسبُ نفسَه، وبعد ذلك كتبَ الإمامُ كتبًا ثلاثةً متفقةَ المضمونِ لثلاثةٍ من كبارِ العلماءِ، جاءَ فيه: " أمَّا بعدُ: فقد كانَ نبيُّ اللّٰه داودُ ـ عليه السلامُ ـ يخرجُ في الليلِ متنكرًا يسألُ الناسَ عن سيرتِه، وعمَّا ينقمون عليه، وأريدُ منك أن تبيِّنَ لي إن كانَ ينقمُ عليَّ شيءٌ من الأمورِ وتبيِّنه)، فكانتِ الإجاباتُ منهم متقاربةً: " أيُّها الإمامُ إنا لا نعيبُ عليك في حكمٍ ولا في قسمٍ، ولقد سرتَ في هذا الزمانِ سيرةً أصبحت غرةً في جبينِ الدهرِ، ولكنَّ القصورَ مِن قبلِ العملِ واقتدى الأولُ بالآخرِ، واتسعَ الخرقُ، فانظروا في الأمرِ، واللّٰه يوفقُكم لصلاحِ الأمةِ "، فقامَ الامامُ باللازمِ وأصلحَ الفاسدَ.

فاتقوا اللّٰهَ ـ عبادَ اللّٰه ـ وحاسبوا أنفسَكم واستجيبوا لأحسنِ القولِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

(١) سورة الزمر الآية: ١٨.

الخطبةُ الثانيةُ الأربعون

الإعجازُ العلميُّ في القرآنِ الكريمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الكبيرِ المنان، الواحدِ الأحدِ الكريمِ الديان، الذي أبدعَ على غيرِ مثالٍ نظامَ الأكوان، واخترعَ الأشياءَ في أعجبِ تقديرٍ وأغربِ بنيانٍ، بيده عواقبُ الحدثان، تنزَّه عن الزمان والمكان، سبحانه الرحيمُ الرحمنُ، أشارَ إلى باهرِ عظمتِه وقدرتِه في آيِ القرآن، لا نُحصي ثناءً عليه، وهو البادئُ بالإحسان، والحمدُ للّٰهِ الذي لا يبلغُ غايةَ حمدِه إنسانٌ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، لا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، الباقي وكلُّ مَن عليها فانٍ، شهادةً سعدَ قائلُها يومَ الفزعِ الأكبرِ بفضيلةِ الأمان، ونشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى الثقلان الذي تصاغرت ببعثتِه دولتا الفرسِ والرومان، وشمخت بيوتُ اللّٰهِ، وتقاصرت النواقيسُ والصُلبانُ، اللهم صلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحابِه ساداتِ أهلِ الإيمان؛ أمَّا بعدُ:

فيا أهلَ الملةِ الحنيفيةِ البيضاءِ

أوصيكم ونفسي بتقوى اللّٰهِ في السرِ والإعلان، وأنهاكم ونفسي عن معاصي الجبارِ فإنَّها مِن أماني النفوسِ ودسائسِ الشيطان، وأحذِّرُكم ونفسي زخارفَ الدنيا فإنَّ نهايتَها البلاءُ، وكلُّ مَن عليها فانٍ، فكم بغت الموتُ مِن إنسانٍ، وأحثُّكم ونفسي على التأهبِ للقاءِ للّٰهِ تعالى، فكأنَّكم به وقد كانَ، وأذكرُكم وإياي الوقوفَ بين يدي اللّٰهِ سبحانه في يومٍ تشيبُ فيه الولدانُ، يا له مِن يومٍ تُجمعُ فيه الخلائقُ، ويُنشرُ فيه الديوانُ، ويَفِرُّ فيه المرءُ من جميعِ الصحبِ والإخوان، وتجدُ كلُّ نفسٍ هنالك مِن أعمالِها

جميعَ ما قد كانَ، وتشهدُ الجوارحُ والبِقاعُ ما صدرَ من إساءةٍ وإحسانٍ، ويلتمسُ المذنبُ شفيعًا، فلا يجدُ إلا مَن أذنَ له الرحمنُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[1] ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللهِ

اسمعوا إلى حبيبِكم محمدٍ (ﷺ) ماذا يقولُ؟ يحضرُ الجُمُعةَ ثلاثةُ نفرٍ: فرجلٌ حضرَها يلغو فذلك حظُّه منها، ورجلٌ حضرَها بدعاءٍ، فهو رجلٌ دعا اللهَ إن شاءَ أعطاه وإن شاءَ منعَه، ورجلٌ حضرَها بإنصاتٍ وسكوتٍ ولم يتخط رقبةَ مسلمٍ، ولم يؤذ أحدًا فهي كفارةٌ إلى الجُمُعةِ التي تليها وزيادةِ ثلاثةِ أيامٍ، وذلك بأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾[3].

فاسمعوا إلى حديثِ الجُمُعةِ، وأصغوا لتحرزوا الثوابَ الواردَ في الحديثِ الشريفِ.

عبادَ اللهِ

القرآنُ الكريمُ هو المعجزةُ المتفجرةُ في كلِّ آنٍ، الخالدةُ على مرِّ الأزمان، وهو الآيةُ الكبرى التي أيَّدَ اللهُ بها خاتمَ النبيين محمدًا (ﷺ)، فوجدَ فيها الفوجُ المؤمنُ الأولُ أبلغَ البيان، ويجدُ الناسُ اليومَ سلسلةً لا نهايةَ لها مِنَ الإعجازِ، تتجلى في أسلوبِ القرآنِ البلاغيِّ أو في نظامِه

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٢) سورة الطلاق الآيات: ٢ - ٣.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٦٠.

الاجتماعيِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ أو في نظرتِه للإنسان أو في إشاراتِه العلميةِ للكون والخلقِ والحياةِ؛ وحتى في ترتيبِ آياتِه وكلماتِه، وتعدادِ حروفِه، وقد جمعَ اللهُ كلَّ هذا في ستِ كلماتٍ حينَ قالَ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1] صحيحٌ أنَّ القرآنَ لم ينزل كتابًا في الطبِ أو في أيِّ فرعٍ مِنَ العلومِ، وهو قبلَ كلِّ شيءٍ منهاجٌ للإنسانِ وعقيدةٌ للحياةِ، ولكنَّ اللهَ أودعَ فيه من الآياتِ الباهرةِ والحقائقِ الصريحةِ ما يشدُّ أركانَ العقيدةِ، ويعمقُ الإيمانَ ما يجعلُ الشعورَ والأعضاءَ تخرُّ ساجدةً للهِ هاتفةً من أعماقِها ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[2].

أيُّها الموحدون

هاكم قطوفًا مِن إعجازِ القرآنِ الكريمِ، فتأملوا وتدبروا ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[5].

قالَ جلَّ وعلا: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[6] تُعرضُ هذه الآيةُ الكريمةُ حقيقةً علميةً ثابتةً في أسلوبٍ بلاغيٍّ دقيقٍ شبَّهَ اللهُ صدرَ الكافرِ الضَّالِ بمَن يصَّعدُ في السماءِ فيشعرُ بالضيقِ والحرجِ، وتؤكدُ الحقائقُ العلميةُ أنَّ الارتفاعَ في الجوِ لمسافاتٍ عاليةٍ يسببُ ضيقًا في

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٨.
(٢) سورة الكهف الآية: ١.
(٣) سورة الروم الآية: ٢١.
(٤) سورة الروم الآية: ٢٣.
(٥) سورة الروم الآية: ٢٤.
(٦) سورة الأنعام الآية: ١٢٥.

التنفسِ وشعورًا بالاختناقِ يزدادان كلما زادَ الارتفاعُ حتى يصلَ الضيقُ إلى درجةٍ حرجةٍ وصعبةٍ جدًّا، أمَّا سببُ ضيقِ التنفسِ فيعودُ لشيين هما: انخفاضُ نسبةِ الأكسجين في الارتفاعاتِ العاليةِ وانخفاضُ الضغطِ الجويِّ؛ لقد أدَّى الجهلُ بهذه الحقيقةِ إلى حدوثِ ضحايا خلالَ محاولةِ الصعودِ إلى الجوِ بالبالوناتِ أو الطائراتِ البدائيةِ، أمَّا الطائراتُ الحديثةُ فأصبحت تُجهزُ بأجهزةٍ لضبطِ الضغطِ الجويِّ والأكسجينِ ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

إخوةَ الجملةِ الغراءِ

إنَّ بعضَ الحمقاءِ دفعَهم جهلُهم إلى تركِ زوجاتِهم لأنهنَّ لا ينجبْنَ إلا إناثًا، وهذا الفعلُ من أدرانِ الجاهليةِ المنتنةِ البغيضةِ، وقد يغمزُ الأخُ أخاه الذي وهبَه اللهُ الإناثَ، فيسميه: البنتَ أو أبا البناتِ، ولا حبذا، فمَن منَّا لم يأتِ مِن أُنثى، فكلُّنا أبناءُ أنثى، ثم قد فصلَ القرآنُ الكريمُ هذه القضيةَ، وردَّ على هؤلاءِ الجهلةِ، وبيَّنَ أنَّ تحديدَ جنسِ الجنين، لا علاقةَ له بالمرأةِ، وإنَّما المسؤولُ عن تحديدِ جنسِ الجنين الرجلُ على حسبِ النطفةِ التي يلقيها، فإن كانت تحملُ الصبغةَ الجنسيةَ الذكوريةَ كانَ ذكرًا وإن كانت تحملُ الصبغةَ الجنسيةَ الأنوثيةَ كانَ أنثى؛ وتأملوا معي قولَ الرحيمِ الرحمنِ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[2]، وقالَ الخلاقُ العليمُ: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾[3] فالنطفةُ التي تُمنى لا تكونُ إلا من الرجلِ ثم في الآيةِ الثانيةِ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ الضميرُ (منهُ):

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٥.
(٢) سورة النجم الآيات: ٤٥ - ٤٦.
(٣) سورة القيامة الآيات: ٣٧ - ٣٩.

عائدٌ إلى المنيِّ أي جعلَ مِن مَنيِّك يا رجلُ الزوجين الذكرَ والأنثى، والحمدُ للّه ربِّ العالمين.

أحبتي في اللّه

كثرما ـ كثيرًا ما ـ يردُ لفظُ الخضرةِ في آياتِ القرآن الكريم، والتي تصفُ حالَ أهلِ الجنةِ أو ما يحيطُ بهم مِنَ النعيمِ في جوٍ رفيعٍ منَ البهجةِ والمتعةِ والاطمئنان النفسيِّ، فنجدُ في سورةِ الكهفِ: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[1] وفي سورةِ الرحمنِ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] وفي سورةِ الإنسان: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[3]؛ إنَّ العلمَ الحديثَ يؤكدُ تأثيرَ الألوان على أعماقِ النفسِ الإنسانيةِ، وقد أثبتتِ التجاربُ أنَّ اللونَ الأزرقَ يُشعِرُ الإنسانَ بالبرودةِ، والأحمرَ بالدفءِ، والأصفرَ يُنشطُ الجهازَ العصبيَّ، ووصلَ العلماءُ أنَّ أحسنَ الألوانِ هو اللونُ الأخضرُ، فهو يبعثُ السرورَ داخلَ النفسِ، ويثيرُ فيها بواعثَ البهجةِ وحبَّ الحياةِ، كما أنَّه يسرُّ البصرَ، كما أنَّ طولَ موجتِه وسطى، فليست بالطويلةِ كاللونِ الأحمرِ، وليست بالقصيرةِ كاللونِ الأزرقِ لذلك أصبحَ اللونَ المفضلَ في المشافي، ومِنَ الطريفِ أنَّ في لندنَ جسرًا يُعرفُ بجسرِ الانتحارِ لأنَّ أغلبَ حوادثِ الانتحارِ تتمُ مِن فوقِه حيث تمَّ تغييرُ لونِه الأغبرِ القاتمِ إلى اللونِ الأخضرِ الجميلِ مما سببَ إنخفاضَ حوادثِ الانتحارِ بشكلٍ كبيرٍ.

بارَكَ اللّهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

(١) سورة الكهف الآية: ٣١.
(٢) سورة الرحمن الآية: ٧٦.
(٣) سورة الإنسان الآية: ٢١.

الحمدُ للّٰه الذي جعلَ التفكرَ في مصنوعاتِه، والنظرَ في آياتِه وسيلةً لرسوخِ اليقينِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين وإمامِ المتقين وشفيعِ المذنبين محمدٍ وعلى الأئمةِ الأطهارِ المنتجبين؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّ عمادَ الإسلامِ

وردت في القرآن الكريم لفظتا السمعُ والبصرُ معًا تسعةَ عشرَ مرةً، وذُكرت في سبعةَ عشرَ موضعًا لفظةُ السمعِ قبلَ لفظةِ البصرِ منها قولُه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[1] والواقعُ أنَّ كلًا مِنَ السمعِ والبصرِ مِنَ الحواسِ الثمينةِ الغاليةِ في الإنسان، ولكن ذكرُ السمعِ قبلَ البصرِ في القرآن يكادُ أن يكونَ قاعدةً مطردةً، وقد ظهرت بعضُ الحكمِ اعتمادًا على مكاسبِ العلمِ الحديثِ منها.

أولًا: تبدأُ وظيفةُ السمعِ بالعملِ قبلَ وظيفةِ البصرِ، فالجنينُ يسمعُ الأصواتَ في نهايةِ الحمل، بينما تبدأُ عمليةُ الأبصارِ بعدَ الولادةِ بأيام.

ثانيًا: تعلمُ النطقِ يَتمُّ عن طريقِ السمعِ بالدرجةِ الأولى، فإذا وُلدَ الإنسانُ وهو أصمٌ فإنَّه يصعبُ عليه الانسجامُ مع المحيطِ الخارجيِّ، ويحدثُ لديه قصورٌ عقليٌّ وتردٍ في ذهنه ووعيه، بينما هناك الكثيرُ مِنَ الذين حُرموا نعمةَ البصرِ منذ الولادةِ قد تعلموا وبلغوا درجةً راقيةً مِنَ الإدراكِ والعلم.

ثالثًا: السمعُ لا يتوقفُ عن العملِ حتى وأنت نائمٌ تستيقظُ الأمُ لبكاءِ طفلِها، ويتبرمُ أبٌّ إذا سمعَ صوتًا مزعجًا يقطعُ عليه لذةَ نومِه، أمَّا البصرُ فتظلُ العينان مغلقتين لا تبصرُ شيئًا .

رابعًا: السمعُ مسؤولٌ عن وظيفتي السمعِ والتوازن بينما البصرُ مسؤولٌ عن وظيفةِ الإبصار.

خامسًا: السمعُ يخترقُ الحواجزَ، فأنت تسمعُ ما لا تراه .

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

سادسًا: السمعُ يعطيك حقيقةً واحدةً، أمَّا البصرُ فتختلفُ ولو حدثَ انفجارٌ مِن بعيدٍ، فالكلُ يسمعُه بنفسِ القوةِ، أمَّا آثارُه فعلى حسبِ وصولِ الرآئي إلى المكان. فتقوا اللّهَ وتدبروا آياتِ الكتابِ الحكيمِ.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ الكريمِ محمدٍ وآلِه أجمعين .

(١) سورة النمل الآية: ٩٣.

الخطبةُ الثالثةُ والأربعون

بمناسبةِ الإنقلابِ الشعبيِّ التونسيِّ[1] على زينِ العابدين بنِ عليٍّ[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي لا تدركُه الأوهامُ والظنونُ، ولا تحويه الأفكارُ والعيونُ، ولا تنالُه الآفاتُ والمنونُ، الذي أنزلَ الكتابَ المكنونَ، وأرسلَ السحابَ الهَتُونَ، وأجرى الفلكَ المشحونَ، ونزعَ الملكَ المأفونَ، وذلَّ بمشيئته الأرذلونَ، سبحانَه أخرجَ رطبَ الثمارِ من يابسِ الغصونِ، وخلقَ الإنسانَ مِن صلصالٍ مِن حمأٍ مسنونٍ، وللّه في خلقِه شؤونٌ لا يُسألُ عمَّا يفعلُ، وهم يسألونَ، إنَّما أمرُه إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ له كن فيكونُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له خلقَ الحركةَ والسكونَ، وبسطَ الأرضَ وبأكنافِها السهولُ والحزونُ، وابتلى العبيدَ بحالتي العزِّ والهُونِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه النبيُّ العربيُّ الأمينُ المأمونُ، أخرجَه الجليلُ من نسبٍ عريقٍ مصونٍ، ومِن فرعٍ طيبِ الغصونِ(ﷺ) وعلى ناصريه أبي بكرٍ وعمرَ وسائرِ أصحابِه الذين قضوا بالحقِ وبه كانوا يعدلونَ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) خطبُ الانقلاباتِ والثوراتِ على الحُكامِ المستطرةِ في هذا الكتابِ، كانت متعايشةً مع الواقعِ بمعنى أني خطبتها في نفسِ فترةِ الحدثِ، ولا بُدَّ مِنَ الإشارةِ أنَّ البهجةَ والفرحةَ التي سرت في صدري، وعبرت عنها في خطبي تلاشت بعدَ الانفلاتِ والهرجِ والمرجِ الذي أعقبَ هذه الثوراتِ والطائفيةِ والتنازعِ الذي جعلَ هذه الثوراتِ فاشلةً، جنت منها الدولُ المنتفضةُ الويلاتِ والبواراتِ فقلنا: " الصبرُ على البلهِ خيرٌ مِنَ الصبرِ على المجنونِ ".

(٢) تاريخ الانقلابُ يومَ السبتِ ١٠/ صفر/١٤٣٢ هجرية، وذلك بعدَ الظلمِ والاستبدادِ الذي عاشَه الشعبُ التونسيُّ نحو عقدين مِنَ الزمان أو يزيدُ فقد أقدمَ أحدُ المواطنين بعدَ أن منعَه العسكرُ مِنَ البيعَ اشتكى لشرطيَّة فضربته على خدِّه فأقدمَ على حرقِ نفسه منتحرًا، وبعدها توالتِ المظاهراتُ حتى قامت مظاهرةٌ شعبيةٌ عارمةٌ أطاحت بحكمِ ابنِ عليٍّ، وفرَّ إلى جدة بالسعوديةِ .

فيا عبدَ اللهِ

أمرُك عجابٌ ادَّعيت معرفةَ مولاك على طريقِ الإجمالِ، وتلفظت بكلمةِ التوحيدِ كتلفظِكَ ببعضِ الأقوالِ، وتكبرت عن تعلمِ ما يجبُ على مثلِك في مثلِه السؤالُ، وانخنست عن مجالسِ الذكرِ، أفأنت على اللهِ تختالُ؟ كلا. لا قبولَ لما عملت ولا إقالةَ إن ندمت؛ ولستَ بمعذورٍ عن التعلمِ والسؤالِ، أتظنُ البكاءَ مع غيرِ الجميلِ ينفعُ؟ أو الموعظةَ بغيرِ العلمِ تردعُ؟ أو الخشوعَ لدى الخطبِ يدفعُ؟ حاشا للهِ أن تسكنَ الخشيةُ قلوبَ الجاهلين، أو يُفزِعُ الوعظُ ضمائرَ المتكبرين؟ أو تلتذُ بحلاوةِ الإيمانِ مسامعُ الغافلين، فما كلُّ مَن ادَّعى الحبَ صدقَ، ولا كلُّ مهرولٍ لغيرِ طريقٍ سبقَ.

فيا معشرَ الجمعِ الغفيرِ

تاللهِ ليقرعنَّكم سوطُ الحمامِ ـ سوطُ الموتِ ـ ثم لتوبخنَّكم أهوالُ القيامِ؟ فإلى كم تتكالبون على الدَّنياتِ؟ وتتعاونون على الخزيَّاتِ؟ وتنطقون بما ليس في الطويَّاتِ فارفضوا ـ عبادَ اللهِ ـ ما تتشاغلون به من الأشغالِ التي لا تفيدُ، واتركوا ما تتجاهلون به مِنَ الجهلِ الذي يقصمُ اللديد، وأعدوا الزادَ ليومِ الوعيدِ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٧.
(٢) سورة النساء الآية: ١ .
(٣) سورة التوبة الآية: ١١٩.

أيُّها المؤمنون

اسمعوا إلى هذا الخبرِ المثيرِ: لما نزلَ القائدُ الفاتحُ طارقٌ بالجزيرةِ الخضراءِ أمرَ بالسفنِ فأُحرقت، فجاءَه رجالٌ مِنَ الجيشِ ولاموه على فعلِه، وقالوا: لقد قطعت بنا الحبال فكيف نرجعُ إلى بلادِنا، وقد أحرقت السفن؟ فقالَ لهم: (أنا لا أفكرُ في الرجوعِ، وسنبقى هنا وهذا وطنٌ لنا، فإنَّ كلَ ما كانَ للّه مِن أرضٍ وبلادٍ وطنٌ لنا، لا فرقَ في ذلك بينَ العجمِ والعربِ والشرقِ والغربِ) نعم. هذا هو المسلمُ الحقُ وطنُه العالمُ كلُّه؛ ليس بشرقيٍّ ولا غربيٍّ، ينشرُ دعوةَ الإسلامِ، ويتفاعلُ مع أحداثِ الوطنِ الإسلاميِّ والعربيِّ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (٩٢)[1] " مَن لم يحدث نفسَه بأمرِ المسلمين فليس منهم ".

إخوةَ العقيدةِ

غيرُ غائبٍ على أحدٍ ما تعانيه الأمةُ الإسلاميةُ من الخطوبِ المحدقةِ التي تَصُمُّ الأسماعَ والآذانَ، فلا يكادُ المتابعُ لهمومِ أمتِه ومآسي إخوانه، يحسُّ بالأملِ حتى يحيطَ به الإحباطُ والألمُ، وهو يرى ويسمعُ القضايا الإسلاميةَ تزدادُ تعقيدًا، فما بينَ دولٍ يجتهدُ خزنتُها في تكريسِ الانفتاحِ بلا حدودٍ ولا ضوابطَ على العالمِ الخارجيِّ متجهين إلى علمانيةِ دولِهم وشعوبِهم، يجعلون الإسلامَ هامشًا على صفحاتِ حكمِهم، وأخرى يقومُ على عرشِها جبارٌ عنيدٌ، ومَن حولَ العرشِ يسبحون بحمدِه، وثالثةٌ تصادرُ الأفكارَ وتحاسبُ أيَّ كلمةٍ تدعو إلى يقظةِ الناسِ هذا من ناحيةٍ فكريةٍ، وفي الجهةِ المقابلةِ نرى دولةً مسلمةً يحيطُ بها موجُ الفقرِ من كلِّ مكان، وثانيةٌ انفصلت عروقُها أو كادت، وأهمُّ ما يؤرقُ بالَ الغيورين أنَّ الأرضَ المباركةَ تأنُ منذ نصفِ قرنٍ أو يزيدُ تحت أيدي الصهاينةِ المعتدين واليهودِ الغاصبين .

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٩٢.

إنَّ شبحَ التدهورِ المقيتِ الذي يحلُّ بساحةِ الأمةِ الإسلاميةِ جعلَ كثيرًا مِنَ المسلمين يقنطُ مِنَ الحالِ ويييأسُ من الوضعِ المتردي، إنَّه شبحٌ أرخى السدولَ فلا نرى إلا ظلامًا دامسًا يغشانا" إلا المصائبَ والرزايا والبلاءَ والهمَ والأوصابا والأحزانا.

أحبتي في اللّه

إنَّ هذه النظرةَ مرفوضةٌ قطعًا أعني نظرةَ اليأسِ والقنوطِ؛ فالحقُ تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[1] ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[2] وقد كانَ الحبيبُ (ﷺ) يعجبُه الفألُ الحسنُ حتى في أحلكِ الظروفِ، وفي المثل: "الخيرُ كامنٌ في الشر" ولئن كانَ الوضعُ مؤلمًا، فإنَّ النورَ يولدُ من أرحامِ الظُلُماتِ وما أشرقَ نورُ الإسلامِ إلا بعدَ مخاضٍ عسرٍ عاشَه الجاهليون؛ والمتابعُ لتأريخِ الإسلامِ والمسلمين يجدُ تاريخَهم كشيءٍ منفوخٍ، فكلما ازدادَ انتفاخًا وورمًا بالأزماتِ والمحنِ انفجرَ بقوةٍ، فما نُكِبَ الإسلامُ في ناحيةٍ من نواحي العالمِ، ولم يخسر في جانبٍ دولةً إلا وقامت له دولٌ، فما نُكِبَ العالمُ الإسلاميُّ، ونُكِبت بغدادُ بغارةِ التتارِ، وانطمست معالمُ الحضارةِ الإسلاميةِ هناك إلا وكانت الدولةُ الإسلاميةُ في الهندِ حينها تنتشرُ وتزدهرُ، ونُكب المسلمون في العهدِ الأخيرِ بفلسطينَ الإسلاميةِ العربيةِ ولكن في نفسِ فترةِ النكبةِ قامت للمسلمين دولتان، إحداهما: باكستان والأخرى: إندونيسا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[3].

أيُّها المؤمنون

وإنَّ مِن الانتصاراتِ التي تثلجُ الصدرَ وتريحُ البالَ وتدلُ بصدقٍ ويقينٍ، أنَّ الشعوبَ الإسلاميةَ بخيرٍ، وأنَّها تدافعُ عن حقوقِها، وعن إرادتِها،

---

(١) سورة يوسف الآية: ٨٧ .

(٢) سورة الحجر الآية: ٥٦ .

(٣) سورة الصف الآية: ٨ .

وأنَّها لا تسمحُ بمصادرةِ فكرِها الانتفاضةُ الشعبيةُ التونسيةُ التي حملت لنا كثيرًا مِنَ الدروسِ:

أولًا: إنَّ حصانةَ الأمةِ الإسلاميةِ هي في وعيِ كلِّ فردٍ من أفرادِها في بلوغِه المستوى الذي يجعلُه لا يقبلُ ولا يرضى أن يعيشَ ذليلًا تحت حكمِ متعسفٍ طاغٍ يسلبُ حريتَه وكرامتَه، ولا يسمحُ في بيوتِ اللهِ أن تُرفعَ ويذكرَ فيها اسمُه، إنَّ قوةَ الرفضِ مِن كلِّ فردٍ لكلِ نظامِ استبداديٍّ تعسفيٍّ، هي أعظمُ قوةٍ تتكسرُ عليها الأنظمةُ الطاغوتيةُ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾[1].

وأتركُ الدرسَ الثانيَ بعد جلسةٍ قصيرةٍ تلهجون فيها باستغفارِ الغفورِ الرحيمِ البرِّ الكريمِ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي قذفَ بالحقِ على الباطلِ، فإذا هو زاهقٌ، قاهرُ الجبابرةِ وكلُّ آثمٍ فاسقٍ، ولينصرنَّ اللهُ مَن ينصرُه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ الإيمان

ثانيًا: إنَّ الظلمَ والاستبدادَ والتجبرَ على عيالِ اللهِ لا يدومُ، وعاقبةُ الظلمِ إلى خُسرٍ، والظالمُ لن يفرَّ من قبضةِ العدلِ ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢﴾[2]، وقالَ سبحانه: ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥﴾[3] فالإسلامُ يقولُها واضحةً:

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٥.
(٢) سورة النمل الآية: ٥٢.
(٣) سورة النمل الآية: ٨٥.

الإنسانُ حرٌّ لا تتسلطُ عليه قوةٌ إلا قوةُ خالقِه، الإنسانُ مكرمٌ عزيزٌ لا يُذلُّ بالقوةِ ولا بالمادةِ ولا بالخضوعِ لغيرِ اللهِ.

ثالثًا: مصادرةُ الرأيِّ والكلمةِ ما عادت تجدي نفعًا في عهدِ الانفتاحِ الحضاريِّ، وتدفقِ المعلوماتِ من وسائلِ الاتصالِ الحديثِ، فإنَّ مصادرةَ الفكرِ والمخادعةَ والتضليلَ وتلهيةَ الناسِ بالتوافهِ عن طموحاتِهم الحقيقيةِ، أصبحت مكشوفةً، ومَن يعتقدُ بخلافِ ذلك فهو كغبيٍّ وضعَ يديه على عينيه في رائعةِ النهارِ[1] فلم ير الشمسَ وظنَّها أنَّها توارت عن عيون العالمين .

رابعًا: على الحكوماتِ أن تفتحَ قنواتِ الاتصالِ بينها وبين شعوبِها، وأن توفرَ العيشَ الكريمَ والراحةَ لكافةِ أفرادِ شعبِها، وأن تكونَ قريبةً منه، كما عليها أن توفرَ أسبابَ الأمانِ، وعليها أن توزعَ الثروةَ على أُسسٍ عادلةٍ بما تقبلُه الشعوبُ لأنَّها ثروتُه وصمامُ الأمانِ لهذا كلِّه وملاكُ أمرِه أن يكونَ الإسلامُ هو الحاكمُ في مصيرِ هذه الشعوبِ المسلمةِ، وأن يكونَ الأمرُ والنهيُ والإبرامُ والنقضُ منبثقًا عن الوحيين القرآنِ والسنةِ، وأن يكونَ الإسلامُ لهذه الحكوماتِ جوهرًا لا عرضًا وجسمًا لا شبحًا؛ فإذا تحققَ ذلك ذهبت ضغائنُ الصدورِ، وامتنعَ القيلُ والقالُ، وحينها على الشعوبِ أن تساندَ الحكوماتِ، وأن تقفَ في صفِّها حفاظًا على الأمنِ والمُنجزاتِ ودَفعًا لعجلةِ التقدمِ والرقيِّ.

خامسًا: قتلُ النفسِ وحرقُها أمرٌ مرفوضٌ قطعًا بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ في الإسلامِ قالَ جلَّ وعلا: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2] وقد رأينا عبرَ وسائلِ الإعلامِ للتعبيرِ عن الحالِ مثلَ هذه العملياتِ الانتحاريةِ، وأمَّا مَن أطلقَ عليهم بالشهداءِ ممن قتلوا أنفسَهم لظروفِ المعيشةِ وضغوطِ الحياةِ، فهذه مشكلةُ أمةٍ ـ واللهُ المستعانُ ـ .

---

(١) رائعة النهار: معظمُه، وأوَّلُ بوادرِه .

(٢) سورة النساء الآية: ٢٩.

سادسًا: يرددُ بوغاءُ[1] الناسِ بأنَّ الإسلامَ لا علاقةَ لـه بالسياسـةِ، وعلـى رجالِ الدينِ أن يبعـدوا أنفسَـهم، والحكومـةُ الإسـلاميةُ غـيرُ ممكنـةٍ ولـو قامت لرجعت بالشعوبِ إلى عصورِ الانحطاطِ وهذا كلامٌ كسرابِ البيـدِ لا يتكأُ حتى على عصى غليظٍ، فالإسلامُ هو في الأصـلِ سياسـةٌ، وقـد مـارسَ نبيُّنا محمدٌ (ﷺ) السياسةَ، فأرسلَ رسـائلَهُ يـدعو ملـوكَ الأرضِ وحكامَهـا للإسلامِ سياسيًا، والخضوعِ له سياسـيًا، فهـو لم يشـرح في رسـائلِه عبـاداتٍ واكتفى بالإذعانِ السياسيِّ فقط على أنَّه إسلامٌ كاملٌ.

وإذا كانَ الإسلامُ لا يصلحُ لقيـادةِ الـدولِ ولا علاقـةَ لـه بالسياسـيةِ، فهل هؤلاءِ الجبابرةُ الذين يربطون الحبـالَ علـى رقـابِ العبيـدِ كقطعـانِ ماشيةٍ في وقتِ شاتٍ في جنحِ ليلٍ بهيمٍ صالحون للسياسةِ كلا وربي.

نأمـلُ مِـنَ اللهِ مولانـا أن يُتـيحَ نشـرَ لـواءِ المهتـدين، ويُـريحَ ضـعفاءَ المسـلمين، وينسـفَ دعـائمَ المتجـبرين، جـبرَ اللهُ حـالَ الإسـلامِ والمسـلمين بطلعةِ بطلٍ نبيلٍ يُذيقُ كلَّ بطْريرٍ العذابَ الوبيلَ، لا قامت للباغين قائمـةٌ ولا زالت طيورُ المنايا عليهم حائمـةً، ومـا برحـت عصـافيرُ رؤوسِـهم منـهم مذعورةً هاربةً، لا تركَ اللهُ لهم في الأرضِ مقعدةً ولا في السماءِ مصعدةً

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

---

(١) بوغاء: سفلتُهم وحمقاهم .

الخطبةُ الرابعةُ والأربعون

الوحدةُ الإسلاميةُ ونبذُ الفرقةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الواحدِ الكريمِ، الواجدِ القديمِ، الماجدِ المنزهِ عن الولدِ والوالدِ، المقدسِ عن المشاركِ والمساعدِ، المتعالي عن المضادِ والمعاندِ، المحمودِ بجميعِ المحامدِ، الذي يسبلُ سترَه الجميلَ على العاصي، وهو ناظرٌ إليه ومشاهدٌ، ويمنُ برفدِه الجزيلِ على عبدِه الذليلِ، ويبلغُه جميعَ المقاصدِ الذي فضَّلَ هذه الأمةَ المحمديةَ، فكانت أمةً وسطًا، وعلى الأممِ خيرَ شاهدٍ، وحذَّرَها مِنَ الشقاقِ والمسالكِ القدائدِ سبحانه، مفجرُ الأنهارِ من صمِّ الأحجارِ والجلامدِ، ومزهي الأزهارِ مِنَ العودِ اليابسِ الجامدِ، ومخرجِ الثمارِ من أفنانِ الأغصانِ تُسقى بماءٍ واحدٍ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، العدلُ الرشيدُ شهادةً صادرةً عن خالصِ التوحيدِ، ننجو بها مِنَ الفزعِ الأكبرِ يومِ الوعيدِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين وأفضلُ خلقِ اللّٰهِ أجمعين، الذي تصاغرَ لنبوتِه كلُّ فدّادٍ[1] ومعاندٍ، وأقرَّ بصدقِ ما جاءَ به مِنَ الدينِ الواصبِ[2] كلُّ راصدٍ محاقدٍ، اللهم صل وسلم على سيدِنا محمدٍ وآلِه أهلِ الإفضالِ والمحامدِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها العبيدُ

إنَّ اللّٰهَ قضى بضربةِ قدرٍ هي أقربُ لأحدِكم مِن حبلِ الوريدِ، وحكمَ في برئتِه حكمًا ماضيًا ما لأحدٍ عنه محيصٌ ولا مَحِيدٌ، فسلمَّ لهذا الحكمِ إرغامًا لازمًا كلُّ فقيرٍ وغنيٍ وحقيرٍ وبطلٍ صنديدٍ، إنَّه الموتُ وسكرتُه ذلك

---

(١) فداد: غليظُ الكلامِ.

(٢) الواصب: الثابتُ الدائمُ.

ما كنتَ منه تحيدُ، إنَّه الموتُ السالبُ للذةِ العيشِ الرغيدِ بالتنغيصِ والتنكيدِ، إنَّه الموتُ المذلُ لكلِّ جبارٍ عنيدٍ، إنَّه الموتُ الباترُ لحبلِ الأملِ المديدِ، إنَّه الموتُ مَنْ أخذَ الآباءَ والجدودَ والأطفالَ مِنَ المهودِ، إنَّه الموتُ مَن حلَّ بساحةِ المأمورِ والأميرِ والولدِ والوليدِ، إنَّه الموتُ المعفرُ للوجوهِ بالترابِ والصعيدِ، إنَّه الموتُ مَن أخمدَ الأممَ في سجنِ الأجداثِ إلى يومِ الوعيدِ، فهل مِن عاقلٍ فينا يعتبرُ بمصرعِهم، وقد ساروا بأجمعِهم إلى منازلِ التفريدِ؟ أين أهلُ المدنِ والحصونِ والقصرِ المشيدِ، أمَا أصبحَ منهم ذو مِرَّةٍ ومَريرةٍ وذو البأسِ بعدَ القربِ والإيناسِ في ظلمةِ اللحدِ وهو وحيدٌ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣﴾[2].

إخوةَ الإيمان

لعلكم زُرتم غابةً ما فرأيتم أنواعًا مِنَ السباعِ والأنعامِ والطيورِ، ففيها الأسدُ يهجمُ على فريستِه مِن الغزلانِ والذئبُ يغرزُ أنيابَه في الحملِ، والطائرُ الجارحُ يهجمُ على فراخِ الورقاءِ، إنَّ هذه الأممَ تجري على غريزةِ الغالبِ والمغلوبِ، فكلُّ أمةٍ من أممِ الغابةِ تحاولُ الحفاظَ على جنسِها ونوعِها على حسابِ النوعِ الآخرِ.

إنَّ أممَ الغابةِ يختلُ فيها نظامُ الوَحدةِ والتوافقِ فيفنى نوعٌ على حسابِ آخرَ حكمةً مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ.

---

(١) سورة الحج الآية: ١.

(٢) سورة لقمان الآية: ٣٣.

وإذا جئنا إلى أمةِ البشرِ وجدناها تتفقُ بدءًا في الرجوعِ إلى أصلٍ واحدٍ التراب، " كلُّكم لآدمَ وآدمُ من ترابٍ"، وجدنا هناك روابطَ متينةً وعهودًا ومواثيقَ وحقوقًا حتى بينَ المسلمِ والذميِّ والكافرِ، بينما تنغرزُ الرابطةُ الإسلاميةُ وتذوبُ كافةُ الخلافاتِ بينَ المسلمين بعضُهم مِن بعضٍ، إنَّ هذه الرابطةَ بينَ أفرادِ المسلمين أطنبَ القرآنُ العظيمُ في ترسيخِها، وحذَّرَ من اجتثاثها، والتعرضِ لبريقِها الناصعِ بالتشويهِ، وهكذا ترادفت أحاديثُ المختارِ (ﷺ) في تأكيدِها، فالحقُ يقولُ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[1] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[2] ويقولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] وفي السنةِ الغراءِ على صاحبِها ـ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ: " إنَّما المؤمنونُ إخوةٌ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا "، وقالَ (ﷺ): " تعرضُ الأعمالُ يومَ الإثنين ويومَ الخميسِ فيُغفرُ لمَن لا يُشركُ باللهِ شيئًا إلا رجلًا بينه وبين أخيه شحناءُ"، يقولُ: " دعوا هذين حتى يصطلحا" .

أيُّها الموحدون الأبرارُ

إنَّ هناك جهادًا في غيرِ جهادٍ ونضالًا في غيرِ عدوٍ، إنَّ معسكراتِ الغابةِ تَحِلُّ بين ظهراني المسلمين، إنَّها خطرٌ مُحدقٌ يُشعلُ جذوتَه، ويُضرمُ نارَه شرذمة قليلون مِن دعاةِ الفتنةِ الذين يُصدِّعون بنيانَ الأمةِ الإسلاميةِ من غيرِ واضحِ سبيلٍ، ولا هدى ولا كتابٍ منيرٍ، إنَّهم سطحيو التفكيرِ الذين يحملون بذورَ الشقاقِ والفرقةِ بين المسلمين، إنَّهم من يَحْصُرون الإسلامَ العظيمَ في أفكارِهم الحرجةِ واتجاهاتِهم الضيقةِ، وقد تسخرت لهذه الشرذمةِ قنواتٌ فضائيةٌ يظهرُ فيها هؤلاءِ يلبسون لَبُوسَ الاستقامةِ، وينطقون بكلِّ حرقةٍ زاعمين أنَّهم يدافعون عن بيضةِ الإسلامِ وركنِها

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٥٢.

(٣) سورة الحجرات الآية: ١١.

المشيدِ، ويزعمون أنَّهم على شيءٍ وما هم بشيءٍ، إنَّها شرذمة تصرخُ بملءِ فيها: (نحن الحقُ)، وما سواها فهو كفرٌ وضلالٌ مبينٌ، وظهرت مواقعُ في الحاسوبِ تدورُ فيها رحى معاركَ طاحنةٍ بين الإخوةِ المسلمين، فهذا يسفِّهُ ذاك، وهؤلاء يفسقون أولئك، وآخرُ يجعلُ جنةَ النعيمِ إرثًا له عن باقي المسلمين، ويحكمُ ثانٍ بأنَّ النارَ لمخالفيهم من الموحدين.

وتقعُ الأمةُ الإسلاميةُ التي جاءت لمحوِ كلِّ عصبيةٍ مِنَ اللون والجنسِ والوطنِ إلى إنشاءِ الأخوةِ الإسلاميةِ فريسةَ التفريقِ والتكفيرِ والعصبياتِ المذهبيةِ والدينيةِ التي ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ، وتمركزت في جسمِ أمةِ الإسلامِ أركانُ الشقاقِ والخلافِ بين طوائفِ المسلمين، واتسعتِ الهوةُ حتى اتسعَ الخَرْقُ على الراقعِ، وحاولَ الغوغاءُ المارقون أن يبلغوا أسبابَ السمواتِ، ويثيروا النعراتِ المذهبيةَ والطائفيةَ بينَ المسلمين في الدولةِ الواحدةِ، فأضحى العالمُ الإسلاميُّ بسببِهم بين معسكراتٍ مختلفةٍ ـ واللهُ المستعانُ ـ .

والحالةُ ما سمعتم، فلا بُدَّ مِنَ الوقوفِ لوضعِ الدواءِ على هذا الداءِ الخبيثِ الذي يحاولُ أن يتطورَ ليكونَ طاعونًا ينثرُ وَحدةَ المسلمين، ويجتثُّ الروابطَ الإسلاميةَ في صفِ الموحدين، وتوضيحُ الدواءِ بهذه الحقنِ التي تأتيكم:

أولًا: إنَّ مِن أخطرِ ما أصيبت به هذه الأمةُ في الأونةِ الأخيرةِ مرضَ الاختلافِ والمخالفةِ حتى شملَ العقائدَ والأفكارَ والتصوراتَ والأراءَ إلى جانبِ الأذواقِ والتصرفاتِ والسلوكِ؛ وكأنَّ كلَّ ما لدى الأمةِ الإسلاميةِ مِن أوامرَ ونواهٍ يحثُّها على الاختلافِ أو يدفعُها إليه، الأمرُ بعكسِ ذلك تمامًا، فإنَّ كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِنا (ﷺ) ما حرصتا على شيءٍ بعدَ التوحيدِ كحرصِها على تأكيدِ وحدةِ الأمةِ ونبذِ الاختلافِ، فاللهُ جلَّ وعلا يقولُ:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، ويقولُ سبحانه: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2] وفي السنةِ المطهرةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ: " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا".

إخوة العقيدة

إنَّ المتأملَ لأوامرِ ونواهي الإسلامِ يجدُها إنما جاءت في مضمونها لدعمِ وتغذيةِ جانبِ الوَحدةِ الإسلاميةِ بين المؤمنين، فما رأيُ هؤلاءِ الإخوةِ الذين يظهرون على الشاشاتِ، ويملأون مواقعَ الحاسبِ بالسبِّ والاتهامِ لإخوانهم الموحدين أن يجتمعوا معنا على كلمةٍ سواءٍ، وأن يتركوا التفسيقَ والتكفيرَ، ومعنا أكثرُ مِن ملتقى، فنحن مسلمون جميعًا نعترفُ بحقيقةِ الإسلامِ الناصعِ وجميعِ طوائفِ المسلمين تَدينُ بأصولِ الدينِ، فربُّ المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها هو اللهُ الواحدُ، ونبيُّنا محمدٌ (ﷺ)، وكتابُنا القرآنُ الكريمُ، وقبلتُنا الكعبةُ المشرفةُ نحن نتفقُ على فرائضِ الإسلامِ الخمسِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍ؛ وهناك الأعيادُ والزواجُ وأحكامُهما نلتقي عليها جميعاً، ولا تختلفُ باختلافِ الزمانِ والمكانِ، فليتقِ اللهَ كلُّ مسلمٍ ولنُوسع أفقَ تفكيرِنا لنحتويَ إخوانَنا الموحدين المؤمنين على اختلافِ مذاهبِهم وطوائفِهم.

أحبتي في الله

أكثروا من الاستغفارِ، فاللهُ الغفورُ الرحيمُ يقولُ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

★★★

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٦.
(٣) سورة النساء الآية: ١١٠.

الحمدُ للّهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَه؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللّه وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ (ﷺ) وشرَ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيتُّها النفوسُ الزكيةُ بالإيمان

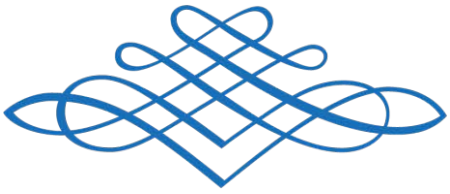
أمَّا **الحقنةُ الثانيةُ** فعلى هؤلاءِ الذين يثيرون الاختلافَ بينَ المسلمين أن يفقهوا ويفهموا أنَّ غايةَ ما يتحدثون عنه مسائلُ فرعيةٌ لا يسألُنا عنها ربُّنا في اليومِ المشهودِ، ومعظمُ المسلمين في العالمِ لا يعبأون بهذه المسائلِ أصلًا وفرعًا، إن تضخيمَ هذه المسائلَ الجزئيةَ عند هؤلاءِ حتى تستغرقَهم إلى درجةِ أنَّهم لا يرون شيئًا آخرَ عَفَنٌ فكريٌّ كما أنَّ تحجيمَ الإسلامِ الحقِّ في طائفةٍ بعينها بحيث يصبحُ تفسيرُ الآياتِ والأحاديثِ بما يوافقُ هذا اللونَ من التحزبِ الفكريِّ مسخٌ يقودُ بنا إلى مقولةِ الجاهليةِ: " كذَّابُ ربيعةَ أفضلُ مِن صادقِ مضرٍ ".

ثالثًا: مِنَ اليقينِ والمسلمِ به أنَّ مَن يفسِّقُ المؤمنين الموحدين علانيةً في التلفازِ والصحفِ والحاسبِ لا يخرج أن يكونَ فعلُه أعراضًا للمشكلةِ الثقافيةِ، وخللًا في البُنيانِ الفكريِّ، وهذا مرضٌ طافحٌ بحاجةٍ إلى توجيهٍ فكريٍّ سليمٍ ومناقشةٍ علميةٍ هادفةٍ كضمانةٍ ضروريةٍ لتعديلِ هؤلاءِ النشازِ، فعلى منظمةِ المؤتمرِ الإسلاميِّ والرابطةِ الإسلاميةِ والمجامعِ الإسلاميةِ في العالمِ الإسلاميِّ أن تقومَ بواجبِها في توجيهِ هؤلاءِ وترشيدِهم وتوجيهِ القنواتِ والمواقعِ التي ينطلقون منها، وعلى الطبقةِ المعتدلةِ الواعيةِ أن تتصلَ بهؤلاءِ بعيدًا عن التشنجاتِ والردودِ الثائرةِ التي تفاقمُ من سريانِ الداءِ فإنَّ إصلاحَ هؤلاءِ من أهمِ مصالحِ الإسلامِ في هذا الزمانِ، واللّهَ نسألُ أن يهديَ المسلمين إلى صراطٍ مستقيمٍ.

أحبابَ رسولِ اللّهِ (ﷺ)

إنَّكم تتفيأون ظلالَ الربيعِ الأنورِ، فيه مولدُ نبيِّكم (ﷺ)، فاغتنموا هذه المناسبةَ الغاليةَ في الاقتداءِ به وقراءةِ سيرتِه (ﷺ) ومحبتِه، وإنَّ من تمامِ

محبتِه الأكثارَ مِنَ الصلاةِ والسلامِ عليه، كما أمركم في محكمِ كتابِه المجيدِ حيث قالَ عزَّ قائلًا عليمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].



(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٦.

الخطبةُ الخامسةُ والأربعون

بمناسبةِ الثورةِ الليبيةِ وتنبيهاتٌ للمتعصمين في عُمان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي تنجابُ بأمرِه ظلةُ شعوبِ الإسلامِ بيقظةٍ ساريةٍ ظافرةٍ، وتستلقي على أذقانها عروشُ الطاغينَ حقيرةً صاغرةً، وتزهو العدالةُ في حُلِها ناصعةً ظاهرةً، وتتحطمُ براثنُ الفسادِ في ربعِها الداثرِ بأيدٍ مؤمنةٍ صالحةٍ، سبحانَه سهامُ الأوهامِ دونَ الإصابةِ عن حقيقتِه ساقطةٌ وأيدي الأفهامِ عندَ تناولِ ذاتِه غالطةٌ، لا تدركُه الأبصارُ ولا تضبطُه ضابطةٌ، دبَّرَ أمورَ ملكِه من غيرِ وزيرٍ ولا واسطةٍ، خرجت عن الاحصاءِ كلماتُه فكلَّت كلُّ لاغيةٍ ولاغطةٍ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً لجميعِ شواردِ السعادةِ رابطةٌ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه الذي بعثَه ليجاهدَ الذين أعمالُهم في الآخرةِ حابطةٌ، ويُعلِّمَ الناسَ الكتابَ والحكمةَ ويزكيَهم ويصلحَ منهم كلَّ نفسٍ للصالحِ بالسيءِ خالطةٌ، ففعلَ ما أُمِرَ به وصدعَ بالحقِ حتى ظهرَ أمرُ اللّهِ بعزِّ كلِّ راضيةٍ وذُلِّ كلِّ ساخطةٍ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آلِه وأصحابِه بعددِ كلِّ نفسٍ صبيةٍ أو شابةٍ أو ماشطةٍ؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها المؤمنون الأحبابُ

إنَّ في مواعظِ الأيامِ والليالي لعبرةً لذوي البصائرِ، وركائبَ أمواتٍ تُزعجُ عن مقصوراتِ القصورِ، ثم تُحملُ إلى مضائقِ القبورِ، فكم قد شاهدتُم من جُثَثِ أعيانٍ في بقاعِ القاعِ قد صُفَّت، وكم عاينتُم من نواعمِ أبدانٍ في مدارجِ الأكفانِ قد لُفَّت، وكم أبصرتم من عرائسِ أسادٍ إلى

(١) ألقيتُ هذه الخطبةَ في: ٦ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ ١١ مارس ٢٠١١م .

الألحادِ قد زُفَّت، فيا لها من غايةٍ يستبقُ إليها العبادُ، ويا له من مضمارٍ يتناوبُه منهم جوادٌ بعدَ جوادٍ، ويا له من هولٍ شديدٍ بعدَه أهوالٌ شِدَادٌ، فتنةُ قبورٍ ونفخٌ في الصورِ وبعثرةُ القبورِ؛ وتحصيلٌ لما في الصدورِ فاستعدوا ـ رحمكم اللهُ وإياي ـ لهذه الأهوالِ، ولا تغرنَّكم كواذبُ الآمالِ فإنَّ ما توعدون لآتٍ، وليس بينَ العبدِ وبينَ القيامةِ إلا المماتُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ ﴾[2].

أهلَ الهدى والحجى

لا تزالُ رياحُ التغييرِ تهبُّ بنسائمِها الرطبةِ النَّديةِ على دولِ العالمِ الاسلاميِّ والعربيِّ بصحوةٍ شابةٍ عارمةٍ، جعلها ربُّنا تعالى بمشيئتِه وسابقِ حكمِه تنبعثُ من رجلٍ فقيرٍ بسيطٍ، كان نسيًا منسيًا، وقد يجعلُ اللهُ سرَّه في أضعفِ خلقِه ليعلمَ كلُّ أحدٍ بأنَّ مشيئةَ اللهِ نافذةٌ متى شاء؛ وفي أيِّ وقتٍ شاءَ؟ وأنَّ القنوطَ والضجرَ من أيِّ واقعٍ مطيئةُ الضعفاءِ الضالين، وفي التنزيلِ عن العزيزِ الحكيمِ: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[3] وهكذا طارتِ الصحوةُ من تونسَ، وحطَّت في مصرَ، وفرَّخت في ليبيا، وسائرِ دولِ عالمِنا، وسنكونُ صريحين في تحليلِ الواقعِ ولتسمحنا أمُّ اللغاتِ العربيةِ، فلسنا بحاجةٍ إلى الكناياتِ والتورياتِ أو اللفِ والدوران والقذفِ من بعيدٍ، فكلُّ شيءٍ مكشوفٌ، ووسائلُ الاتصالِ الحديثةِ فضحت كلَّ أحدٍ.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣٥.

(٢) سورة الحج الآيات: ١ - ٢.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٦.

عبادَ اللّه

كشفَ الواقعُ قناعَه بكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ الانفصامَ الخطيرَ والسدَ المنيعَ بين الحكوماتِ والمحكومين، ففي وقتٍ كانَ الحاكمُ الصديقُ (رضيَ اللّهُ عنه) يقولُ لرعيتِه: " إني وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، إن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني "، إلى رجلٍ يقولُ لأميرِ الدولةِ وحاكمِها الراشدِ عمرَ (رضيَ اللّهُ عنه) " لا سمعَ لك ولا طاعةَ "، ويحاسبُه الرجلُ على رقعةِ ثوب، إلى رجلٍ يقولُ للفاروقِ: " إن رأينا فيكَ اعوجاجًا قومناه بسيوفِنا فيردُّ الأميرُ العادلُ: " الحمدُ للّه أن جعلَ في الأمةِ مَن يقوِّمُ اعوجاجي بسيفِه "، هكذا يجبُ أن تكونَ العلاقةُ بين الحاكمِ والمحكومِ وفقًا لضوابطِ الشرعِ الحنيفِ ليستريحَ الراعي وتستريحَ الرعيةُ؛ فكلٌّ يكملُ الآخرَ، ولكن تلاشت هذه العلامةُ، وانصرفَ الحُكّامُ عن قيودِ الشرعِ الحميدِ، فقالَ أحدُهم: " مَن أوصاني بتقوى اللّه قطعتُ عنقَه "، إلى حاكمٍ يقولُ لرعيتِه المؤمنةِ: " لو كانَ عندي منصبٌ لألقيتُه في وجوهِكم"، ويصفُ هذا الشعبَ الذي يطالبُ بكرامتِه بالمجنون ومتعاطي الخمورِ والكحول، إلى حاكمٍ يُرسلُ الخيولَ والجمالَ لقمعِ المطالبين بالعزةِ والكرامةِ إلى آخرَ يُرسِلُ الطائراتِ والدباباتِ، إلى حاكمٍ آخرَ امتلأت قصورُه وبنوكُ الأرضِ بأموالِ شعبِه الفقيرِ المسكينِ البائسِ، إلى تصريحاتٍ تصفُ الأحرارَ بالقاعدةِ والتنظيماتِ، وأنَّهم صغارٌ أطفالٌ أو دهماءُ مرتزقةٌ مدفوعون ومجندون مِنَ الخارجِ من جهاتٍ أو الشريعةُ الإسلاميةُ تمنعُ المسيراتِ والاعتصاماتَ، وهذا كلُّه كذبٌ وافتراءٌ بل هي الحريةُ التي دعا إليها الإسلامُ على أنظمةِ الجورِ والاستبدادِ.

أيُّها الموحدون

إنَّ الانفصامَ الذي وقعَ بينَ الحاكمِ وزمرتِه والمحكومين عبرَ عقودٍ مِنَ الزمنِ فرضَ واقعًا مريرًا تفشت فيه صنوفُ الفسادِ الإداريِّ في مرافقِ الحياةِ كافةً، ولا سيما الدينيةُ منها، واتضخمت حبالُ الفقرِ، واشتدَّت

أحزمةُ البطالةِ، وشاعت الرشاوى واسدأسدتِ المحسوبياتُ والسرقاتُ والاختلاساتُ، وكلما نُبهوا أعرضوا ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[1].

وكلما تكلَّمَ متكلمٌ لجموا فاه، وحذَّروه من أنَّه يتدخلُ فيما لا يعينه، فكانتِ النتيجةُ انتفخت الكرةُ حتى انفجرت في وجوههم، وحملوا نعوشَهم بأكفِّهم، وأصبحوا مذعورين مِنَ المصابِ الجللِ الذي قضَّ مضاجعَهم؛ فكانتِ الانتفاضاتُ الشعبيةُ المباركةُ، وإنَّ من بينِ الانتفاضاتِ التي تستحقُ الذكرَ والاطراءَ الانتفاضةَ الليبيةَ المؤمنةَ، هذه الانتفاضةُ التي خرجت مِن دولةِ ليبيا دارِ القرآن، فهي مِن أكثرِ الدولِ الإسلاميةِ يحفظُ أهلُها القرآنَ الكريمَ . مِن ثرى ليبيا: الشيخان أبو الربيع بن هارون وأبو منيب؛ مِن تربةِ ليبيا أمُّ ماطوسَ المرأةُ الصالحةُ الناسكةُ، مِن ليبيا الشيخُ العالمُ القدوةُ أبو زكريا يحيى بن أبي الخيرِ الجناوني ــ رحمَه اللهُ تعالى ـ مؤلفُ كتابِ الوضعِ الكتابُ الجديرُ بالقراءةِ، وأن يكونَ في بيتِ كلِّ مسلمٍ ليعرفَ دينَه .

هذا البلدُ المؤمنُ الموحدُ ابتلاهُ اللهُ بجبَّارٍ عنيدٍ مستبدٍ ظلاَّمٍ للرعيةِ، إنَّه زعيمُ الضلالِ والفسادِ والعنادِ، ولو لم تكن من خطايا عقيدِ الضلالِ إلا أنَّه نكَّلَ بالشيخِ المؤمنِ على يحيى معمر ـ رحمَه اللهُ ــ، وهدمَ بيتَه، وسوَّى به الأرضَ، وهدمَ المسجدَ الذي يصلي فيه الشيخُ بنالوتَ مِن غيرِ ذنبٍ ولا وزرٍ ولا جريرةٍ لكفاه جرمًا عندَ ربِّه جلَّ وعلا، ولو لم تكن من مآثمِه إلا أنَّه سجنَ الشيخَ المجاهدَ الغيورَ عَمْرًا الناميَّ في سجنِ بُوسليمٍ وهدمَ بيتَه بنالوتَ ثم أخفاه قسرًا من سنة أربعٍ وأربعمائةِ سنةٍ وألفٍ للهجرةِ إلى يومِنا هذا اختفت أخبارُه لكفاه ذنبًا عند اللهِ؛ وكم وكم فعلَ بأمثالِهم، والآنَ ما يصنعُه مِنَ الوحشيةِ والابادةِ ما تَشِيبُ من هولِه الولدانُ ـ عاملَه اللهُ بما يستحقُ ـ.

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٩.

أحبتي في اللّهِ

إنَّ ربَّكم جلَّ وعلا يقولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، ونبيُّكم الكريمُ (ﷺ) يقولُ لكم: " مثلُ المؤمنينِ في توادِّهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى "، وإنَّ إخوانَكم في ليبيا يلتمسون توادَّكم وتراحمَكم وتعاطفَكم معهم، فأعينوهم بما تقدرون عليه من مساعداتٍ إنسانيةٍ وبرفعِ معنوياتِهم ليزولَ هذا الظالمُ وزمرتُه، وأهمُ مِن ذلك كلِّه الدعاءُ، فهو مفتاحٌ لكلِ ضائقةٍ، ومخرجٌ لكلِّ نازلةٍ، فلا تبخلوا عليهم فيومٌ لكم ويومٌ عليكم.

ربنا خلِّص إخوانَنا المستضعفين في ليبيا، وفي فلسطينَ وفي سائرِ بلادِ الإسلامِ مِن القومِ الظالمين المعتدين، ربنا ثبِّت أقدامَهم، ومزِّق أعدائَهم، وجمعهم على كلمةِ الحقِ والدينِ؛ ربنا نعوذُ بك من الزلازلِ والبراكينِ والكوارثِ والمحنِ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه غفورٌ كريمٌ برٌ رحيمٌ.

★★★

الحمدُ للّهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه وآلِه وصحبِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ العقيدة

الجميعُ يتابعُ عن كثبٍ الحراكَ في الساحةِ العُمانيةِ والاعتصاماتِ والكتاباتِ، وهناك تنبهاتٌ مهمةٌ يحتِّمُ الصالحُ العامُ وحبُ الوطنِ التنبيهَ عليها.

أولًا: على الوزراءِ الجددِ أو القدامى أن يُدركوا عظمَ مسؤليتِهم للمواطنين، وأن يفتحوا قلوبَهم ويتعاملوا بكلِّ إخلاصٍ وأمانةٍ وشفافيةٍ، وأن يحاربوا الفسادَ في وزارتِهم والإهمالَ والتسيبَ والمحسوبيةَ أو أيَّ صورةٍ من صورِه.

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٠.

ثانيًا: الاعتصاماتُ والمسيراتُ والمطالبةُ بالحقوقِ ومحاربةُ الفسادِ حقٌّ مشروعٌ، وهي حقوقٌ مسموحٌ بالتعبيرِ عنها، وليسَ من حقِّ أحدٍ أن يصادرَها إلا أنَّه يجبُ على المعتصمين أن تكونَ مطالبُهم تُبنى على أُسسٍ ثلاثةٍ: أن تكونَ محددةً ومعقولةً ومشروعةً لتتمكنَ الجهاتُ المعنيةُ والمختصةُ من دراستِها وتنفيذِها.

ثالثًا: لا يجوزُ من أيِّ معتصمٍ أن يتعرضَ لرجالِ الأمنِ أو المسؤولين بالسبِّ والشتمِ والإهانةِ بأيِّ وسيلةٍ كانت، بل بالحكمةِ والمناقشاتِ والإلحاحِ ستنفذُ المطالبُ - بإذن اللهِ - كما على رجالِ الأمنِ ألاَّ يتعرضوا لإخوانِهم وأبناءِ وطنِهم المطالبين بحقوقِهم.

رابعًا: الاعتصاماتُ والمسيراتُ في الشوارعِ الرئيسةِ والسريعةِ ومحاصرةِ الدوارتِ ومنعِ الشاحناتِ مِنَ العبورِ والتعرضِ للمواني أسلوبٌ غيرُ حضاريٍّ، لا يقرُّه أحدٌ، فلا تعالجُ الاخفاقاتُ بإخفاقاتٍ وعشوائيةٍ وهمجيةٍ .

خامسًا: حرقُ الممتلكاتِ العامةِ كمراكزِ الشرطةِ والأسواقِ أو الخاصةِ كالمحلاتِ والمساكنِ فسادٌ مرفوضٌ، وقد زجرَ الحقُّ جلَّ وعلا عنه، فقال:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[1].

سادسًا: الارجافُ والمبالغاتُ في نقلِ الأحداثِ والدعوةِ إلى عصبيةٍ، ليست من شأنِ هذا البلدِ المسلمِ الذي عُرفَ بأصالتِه وتماسكِه.

وأهمُّ مِن ذلك كلِّه على الجميعِ ألاَّ تقتصرَ مطالبُهم على خدمةِ رغباتِ البطنِ والدنيا، فأهمُّ المطالبِ أن توجدَ مؤسساتٌ دينيةٌ فاعلةٌ تُعنى بالقرآنِ والسنةِ تُخرِّجُ جيلًا مِنَ الرجالِ والنساءِ يحملون أخلاقَ القرآنِ الكريمِ والنبيِّ الرحيمِ، وأن ترجعَ مادةُ التربيةِ الإسلاميةِ كأهمِّ مادةٍ يدرسُها الطلبةُ في مدارسِهم وجامعتِهم وكلياتِهم بمادةٍ علميةٍ سمينةٍ واسعةٍ، وأن يُمنعَ الاختلاطُ، ونحن على يقينٍ بأنَّ القيادةَ التي يلتفُ

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٦.

حولَها الشعبُ قادرةٌ على تحقيقِ جميعِ المطالبِ، وإن شاءَ اللّٰهُ الخيرُ قادمٌ، ومستقبلُ هذا الشعبِ زاهرٌ.

هذا وصلوا وسلموا على صاحبِ الخلقِ العظيمِ .

الخطبةُ السادسةُ والأربعون

الإنكارُ على محلاتِ ومطاعمِ بيعِ وشربِ الشيشةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي أنزلَ علينا ذكرًا، فأحلَّ لنا أمرًا وحرَّمَ علينا زجرًا، قضى ورسولُه (ﷺ) مَن أتلفَ نفسَه متعمدًا جاء شيئًا نكرًا، وأوجبَ له في الآخرةِ حميمًا وقِطرًا، سبحانَه أحاطَ بحوادثِ الدنيا والآخرةِ خُبرًا، وجعلَ لكلِّ شيءٍ قدرًا، وأسبلَ رعايتَه على الخلائقِ سترًا، جنَّبَ المتقين عسرًا، وحرَّمَ الظالمين يسرًا، أحمدُه على نعمِه شكرًا، وأسلمُ لقضائِه صبرًا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نعدُّها ليومِ القيامةِ ذخرًا، ونستمدُّها على الأعداءِ نصرًا، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه إلى البريةِ عُذرًا أو نُذرًا، فدعا إلى اللّه سرًّا وجهرًا، ونشرَ رحمتَه على العالمين نشرًا، اللهم صلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه، وأدم لهم أجرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

انهضوا في استعمالِ ما يقربُكم من دارِ القرارِ، وارفضوا مِنَ الأعمالِ ما يدنيكم لجهنمَ دارِ البوارِ، فإنَّها المصيبةُ الجامعةُ والعقوبةُ الواقعةُ، يا لها مِن دارٍ انقطعَ مِنَ الرجالِ رجاءُ حلالِها، وامتنعَ مِنَ الفناءِ بقاءُ نكالِها، وشعارُ أهلِها الويلُ الطويلُ، ودثارُهم البكاءُ والعويلُ، وسرابيلُهم الخزيُّ الوبيلُ، يُقطَّع منهم الحميمُ أمعاءً طالما ولغت بأكلِ وشرابِ الحرامِ، وتُضعضعُ منهم الجحيمُ أعضاءً طالما أسرعت إلى اكتسابِ الآثامِ، قد انهلَّت عليهم الأناتُ، وحلَّت بهم المَثُلاتُ، فجلودُهم محددةٌ بالعذابِ ووجوهُهم مسودةٌ لسوءِ الحسابِ، والزبانيةُ يدخلون عليهم من كلِّ بابٍ،

يقولُ المنتقمُ الجبارُ لملائكتِه: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾[1]، ينادون إلهًا غرَّهم في العاجلةِ حِلمُه فخالفوه، وحقَّ عليهم في الآجلةِ حكمُه لما آسفوه، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

أيُّها الأحبةُ النبلاءُ

اسمعوا وعوا: قبلَ فترةٍ مِنَ الزمنِ طافَ أجنبيٌّ شبهَ الجزيرةِ العربيةِ، وألَّفَ عن رَحلتِه تلك مذكرةً، وفي معرضِ حديثِه عن رَحلتِه في بعضِ أرجاءِ عمانَ، قالَ: " ولم أجد أيَّ عربيٍّ يشربُ الخمرَ فلا يوجدُ كحولٌ هنا لأنَّه يذهبُ بالعقلِ، ويُعرِّضُ شاربَه للإثمِ وربما القتلِ "، واقعٌ جديرٌ بالإشادةِ والتسطيرِ.

لماذا لا يشربون الخمرَ ولا تُوجدُ الكحولُ؟ الجواب: لأنَّ الناسَ عَلِموا مِن كتابِ ربِّهم وسنةِ نبيِّهم (ﷺ) أنَّ الخمرَ والكحولَ رجسٌ مِن عملِ الشيطانِ، قالَ سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[3] لأنَّهم علموا قولَ النبيِّ(ﷺ) أنَّ الخمرَ ما أسكرَ كثيرُه فقليلُه حرامٌ، وأنَّها جماعُ الإثمِ، لأنَّهم علموا أنَّ الكحولَ مِنَ الخبائثِ التي أشارَ إليها القرآنُ الكريمُ بقولِه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[4] لأنَّهم

---

(١) سورة ص الآية: ٥٩.
(٢) سورة المؤمنون الآية: ١٠٧.
(٣) سورة المائدة الآيات: ٩٠ – ٩١.
(٤) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

عَلِموا أنَّ شراءَ هذه الخبائثِ النكراءِ سببٌ لهدرِ المالِ وضياعِه وتبذيرِه، والحقُ يقولُ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1] لأنَّهم عَلِموا أنَّ استخدامَها مداعةٌ لهلاكِ النفسِ وقتلِها، والرحمنُ الرحيمُ يقولُ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، كانوا يفقهون بأنَّ الخمرَ والكحولَ سببٌ لذهابِ العقلِ وخبالِ التفكيرِ وبلادةِ التصرفِ الذي ينزلُ بالإنسانِ إلى دَركاتٍ هي أحطُّ ما خلقَ اللهُ مِن حيوانٍ، يقولُ مولانا جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] وقد ساعدَ هذا الوعيَّ وجودُ جهاتٍ مسؤولةٍ كانت في منتهى الأمانةِ والمسؤوليةِ لدحرِ كلِّ مفسدةٍ والقضاءِ عليها في مهادِها، بل ورحمِ أمِّها، هذا الجهاتُ تعقبت أوكارَ الفسادِ الخفيةِ وجرجرتها إلى العدالةِ؛ فارتاحَ الرعاةُ والرعيةُ.

نعم . لم تكنِ الخمورُ والكحولُ موجودةً، كما قالَ الأجنبيُّ لأننا بلدُ النظافةِ والطهارةِ إلا أنَّ الموازينَ اختلت، والأفكارَ تبلَّدت فضاعَ الرعاةُ، وفسدتِ الرعيةُ، وما أشبه الليلةَ بالبارحةِ[4].

أيُّها المؤمنون

إنَّ فسادَ الرعاةِ والرعيةِ نجمت عنه تبعةٌ ثقيلةٌ مِن تمكنِ الرزايا المهلكةِ والأخطارِ المحدقةِ؛ وكانَ من تلك الرزايا الخطيرةِ السماحُ ببيعِ الخمورِ، وانتشارُ المحلاتِ التي تبيعُ الدخانَ والشيشةَ والتبغَ، وتجاوزَ الأمرُ إلى منحِ التراخيصِ والتصاريحِ لبيعِ الشيشةِ في المطاعمِ والمقاهي علانيةً. إنَّ الوضعَ يدقُ آذانَ الخطرِ بزيادةِ خطرةٍ مرعبةٍ لمتناولِ الدخانِ

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٧.
(٢) سورة النساء الآية: ٢٩.
(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٢.
(٤) مثلٌ يضربُ في تساوي الناسِ في الشرِ والخديعةِ.

والشيشةِ والتبغِ، بل تنافستِ المطاعمُ والمقاهي في عرضِها بأنواعِها وبأرخصِ الأثمانِ، بل وظهرت في بيوتِ بعضِ المسلمين في مجالسِهم وغرفِهم بين أولادِهم وبناتِهم، والحالةُ هذه هناك نداءاتٌ عاجلةٌ:

النداءُ الأولُ: إلى وزارةِ البلدياتِ ومديرياتِها فهي تتحملُ أكبرَ المسؤوليةِ في كارثةِ انتشارِ الدخانِ والشيشةِ والتبغِ؛ إذ هي المسؤولةُ عن منحِ التراخيصَ للمطاعمِ والمقاهي لتناولِ الشيشةِ ولا تمنعُ المحلاتَ والمجمعاتَ مِن بيعِ الشيشةِ، وإلا لما تجرأتِ المطاعمُ والمحلاتُ بالمجاهرةِ في إشهارِها، فمن الخيرِ لوزارةِ البلدياتِ إن كانت صادقةً في حبِّ الوطنِ والمواطنِ أن تمنعَ ذلك وهي قادرةٌ بمَدَّةِ القلمِ، وأن تسحبَ التراخيصَ، وأن تشددَ الرقابةَ، مِن الخيرِ لوزارةِ البلدياتِ ألاَّ تصغيَ لشرذمةٍ فاسدةٍ متعفنةِ الفطرةِ تقولُ بالحريةِ والانفتاحِ على الآخرين، فكأني بهؤلاء يصدقُ فيهم:

كمثلِ حمارٍ كانَ للقرنِ طالبًا ... فآبَ بلا أذنٍ وليسَ لهُ قرنُ

إنَّ مَن يقولُ: المساجدُ عن يمينك، والباراتُ عن يسارك، وأنت حرٌّ لكم دينُكم ولي دينٌ، والساحةُ تقضي ذلك، وهناك مَن يطلبُ هذه، هذا كلامٌ ساقطٌ بالمرةِ، فنحن أمةٌ مسلمةٌ نظيفةٌ، يحكمُنا قولُ الكتابِ والسنةِ لا قولُ المجانينِ والغوغاءِ، والقرآنُ والسنةُ واضحان في منعِهما القاطعِ في تحريمِ الخبائثِ التي تهلكُ المالَ والصحةَ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

النداءُ الثاني: إلى وزارةِ الصحةِ نجدُ في المستشفياتِ والمجمعاتِ الصحيةِ النشراتِ والصورَ، شيشةٌ يلتفُ حولَها ثعبانٌ، وصورةُ جمجمةٍ بجنبِ

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

الدخان والتبغ، وهذه علاجاتٌ هزيلةٌ يصدقُ عليها قولُ الحكيم: عُثيثةٌ تَصرِمُ جلداً أملسًا[1] فلا تُعالجُ المشكلةُ من جذعِها ورأسِها، بل من جذورِها على وزارةِ الصحةِ مع هذه العلاجاتِ المتواضعةِ أن تطالبَ من الجهاتِ المسؤولةِ منعَ هذه الخبائثِ، على وزارةِ الصحةِ أن تقدمَ احتجاجًا ضدَ وزارةِ البلدياتِ لتكفَّ عن منحِ التراخيصِ، على وزارةِ الصحةِ أن ترسلَ التقاريرَ للجهاتِ المسؤولةِ والبلدياتِ لتُبينَ لها أنَّ المجتمعَ ولا سيما فئةُ الشبابِ يغرقون في أوحالِ هذه الخبائثِ، وهم يتجهون إلى الخطرِ .

النداءُ الثالثُ: إلى الدعاةِ والمصلحين خصوصًا والمجتمعِ عمومًا، فالجميعُ مسؤلون أمامَ اللهِ يجبُ عليهم الأمرُ بالمعروفِ والنهيُّ عن المنكرِ، يجبُ أن يقفَ المجتمعُ صفًا واحدًا لمنعِ الظواهرِ التي تهددُ بنيانَ المجتمعِ، وتفتكُ بشبابِه وبناتِه، إنَّ من غيرِ المقبولِ أن نقيمَ الصلاةَ، ولا نرفعُ كلمةً لأمرٍ بالمعروفِ أو نهيٍّ عن منكرٍ، إنَّ مِن غيرِ المقبولِ أن نأتيَ بعباراتٍ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ. إنا للهِ وإنَّا إليه راجعون، قصمَ اللهُ المفسدين، ثم نعتبرُ هذه العباراتِ كافيةً، وقد نكرنا المنكرَ بقولِها، هذه سذاجةٌ وحماقةٌ، جاءت أمُّ المؤمنين زينبُ بنتُ جحشٍ ــ رضيَ اللهُ عنها ـ إلى رسولِ اللهِ (ﷺ)، فقالت ـ يا رسولَ اللهِ ـ أنهلكُ وفينا الصالحون؟ فقالَ لها: (ﷺ): نعم . إذا كَثُرَ الخبثُ.

النداءُ الرابعُ: يا أمةَ الإسلامِ يا أيُّها الشبابُ خصوصًا يا بناتَ المسلمين لا تنخدعوا ـ الشيشةُ أو الأرجيلةُ أو الرشبةُ ــ محرمةٌ في إسلامِكم، قاتلةٌ لصحتِكم، مضيعةٌ لمالِكم، فلا تَنْجَرُّوا مع قرناءِ السوءِ، لا تنخدعوا ببيعِها وأسمائِها الكاذبةِ (المعسلُ – الروحيُّ)، فإنَّ وراءَ هذه الأسماءِ ما لا يقلُ عن (٤٠٠٠) ألف مادةٍ قاتلةً أقلُّها الموادُ المشعةُ والمسرِّطنةُ وبعضُ المبيداتِ الحشريةِ التي تدخلُ في تركيبِها، إنَّ وراءَ هذا السُّمِ ضياعَ الدنيا والآخرةِ، ولا تنفعُ الندامةُ والمنى.

إذا تمنيتُ بتَّ الليلَ مغتبطًا ... إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

---

(١) مثلٌ يُضربُ للرجلِ يجتهدُ أن يؤثرَ على الشيءِ، فلا يقدرُ عليه .

بارَكَ اللّٰهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم فاستغفرُه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

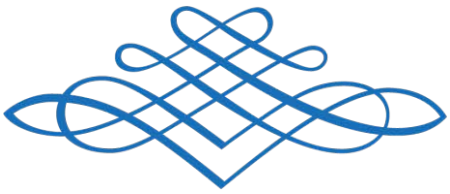
★★★

الحمدُ للّٰه، وأصلى وأسلمُ على المُتوجِ بجواهرِ الكمالِ ما هتفتِ الورقاءُ على غصنٍ ميَّادٍ، وما همى المُزنُ فأغاثَ اللّٰهُ تعالى به العبادَ والبلادَ، وعلى آلِه والتابعين لهم بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون الآمرون بالمعروفِ والناهون عن المنكرِ

إنَّ مما يعزُّ في النفسِ، ويضيقُ به الصدرُ ذرعًا أن نشاهدَ بعضَ المحلاتِ والمطاعمِ التي تبيعُ الشيشةَ علانيةً، فلذا لا بُدَّ أن ندركَ المأسةَ التي نعيشُها جميعًا، وعلينا أن نتكاتفَ لحمايةِ بلادِنا عُمانَ من هذه الخبائثِ، على الجميعِ أن يقولَ لوزارةِ البلدياتِ: لا لمحلاتِ الشيشةِ والتبغِ في سائرِ بلادِنا الحبيب على المشايخِ والرشداءِ والأعيان أن يرفعوا أصواتَهم إن كانوا محبين لهذه التربةِ العُمانية التاريخيةِ الحضاريةِ الطيبةِ، إن كانوا محبين لأولادِهم وشبابِهم وبناتِهم .

اللهم قد بلغت، ألا وصلوا وسلموا على نبيِّنا وحبيبِنا وأسوتِنا محمدٍ وعلى آلِه أجمعين، والتابعين بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ .



الخطبةُ السابعةُ والأربعون

الردُّ على الشبهاتِ المتعلقةِ بمحلاتِ الخمورِ والشيشةِ والمراقصِ والنوادي والدخان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه مستحقِ الحمدِ ومستوجبِه، مدبرِ الأمرِ ومقلِّبِه، العالمِ بطائعِه ومكذبِه، الذي أرسلَ الرياحَ لإثارةِ سحبِه، سبحانَه مهدَ الأرضَ للإنسانِ لقضاءِ حَصَبِه، وأغدقَ علينا من نعمِه، وحذرنا مِن نقمِه، أحلَ الحلالَ ولا تثريبَ في طلبِه، وحرَّمَ الحرامَ وأوجبَ الخسرى لمرتكبِه، جعلَ للخيرِ رجالًا تشبثُ به، وللباطلِ أقزامًا تموجُ في لججِه، وترتكُم في ليلِ حُجُبِه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تخففُ عنا النَّزعَ في كُربِه، وتهوِّنُ علينا البلاءَ في قُبَبِه، ونشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه المختارُ مِن عربِه، الصاعدُ عن كلِّ البريةِ في رتبِه الذي شقَّ الظلامَ عن سُدَفِه فصلواتُ اللّه وتسليماتُه على أحمدَ المختارِ مِن زكيِّ العنصرِ وأطيبِه، المخصوصُ بأشرفِ كتبِه، وعلى آلِه وصحبِه وذوي نسبِه، ما لمعَ آلٌ بسبسبِه، وهمعَ خالٌ بصيِّبِه، وتغنى الورقُ في طَربِه وتقاذفَ الدُّرُ في عَجَبِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

تذكروا صعقتي النفخِ في الصورِ يومَ البعثِ والنشورِ، يومَ الكشفِ عن المستورِ، يومَ النَّسفِ للجبالِ، يومَ الجزعِ والأهوالِ، يومَ المشيبِ للأطفالِ، يومَ الوضعِ لذواتِ الأحمالِ، فهنالك يحقُّ الذّلُ والصغارُ على كلِّ ظالمٍ

(١) بعدَ أن خطبتُ خطبةً بعنوان " الإنكار على محلاتِ ومطاعمِ بيعِ وشربِ الشيشةِ " أثارَ المرجفون الذين يتلذذون برؤيةِ السُّمومِ والانحرافِ يفتكُ بشبابِنا وبناتِنا والمجتمعِ فتكًا؛ فقاموا وقعدوا – كعادتهم – وأثاروا الشبهات والتمويهات لتضليلِ البسطاءِ والعامةِ؛ فعقبَّت عليهم بخطبةٍ مِن جزئين بعنوان :" الردِّ على الشبهاتِ المتعلقةِ بمحلاتِ الخمورِ والشيشةِ والمراقصِ والنوادي المرضيةِ والدخان " .

متكبرٍ جبارٍ، ويؤتى بجهنمَ بارزةً، وقد علا لهيبُها سعيرًا، وقواصفُ صعقاتِها تُرادفُ شهيقًا وزفيرًا، وتبرَّزُ النارُ لتعذيبِ الأشقياءِ، وترى المجرمين يومئذٍ قد شوَّه اللهُ صورَهم، وعظَّمَ أجسامَهم لمواقعةِ الجحيمِ، فضرسُ أحدِهم كالجبلِ، وظلمةُ وجوهِهم كالليلِ البهيمِ، وأقدامُهم قد جُمعَت مع نواصيهم من خلفِهم فطوقت، وجلودُهم من أغشيةِ سرابيلِ القطرانِ عليهم تمزقت، وأمعاؤُهم من إساغةِ شربِ اليحمومِ تقطعت، وأغطيةُ النارِ ودَركاتُها عليهم قد انطبقت، وتدبروا - إن شئتم - قولَ ذي البطشِ الشديدِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1] فالحازمُ اللبيبُ مَن أنجدَ نفسَه مِنَ البوارِ، واتخذَ جُنةً مِن عقبى الدارِ النارِ.

أيُّها الجمعُ

أوصيك بوصيةِ اللهِ للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2] ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[3] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾[4].

---

(١) سورة الزخرف الآيات: ٧٤ - ٧٨.
(٣) سورة النساء الآية: ١٣١.
(٣) سورة الحجرات الآية: ١٣.
(٤) سورة الزمر الآية: ٢٠.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

ألقوا السمعَ لكلمةِ الخيرِ. وبلغوا، فإنَّ اللّهَ سائلُكم غدًا، هل نصرتم دينَه أم خذلتموه. في بلدٍ أوربيٍّ إباحيٍّ لا يخطرُ بفكركم أنَّ به شيئًا ممنوعًا مِنَ الملذاتِ والشهواتِ، حدثت قصةٌ في مشفى راقٍ يتوفرُ فيه كبارُ الأطباءِ والخبراءِ والأدواتُ المستخدمةُ عزيزةُ النظيرِ في غيرِه، فقد نُقلت امرأةٌ أُصيبت بكسرٍ في رجلِها، وأكدت صورُ الأشعةِ أنَّ أنسجةَ كسرِها تلتئمُ بسرعةٍ، فقدَّمَ لها الطبيبُ المعالجُ تهنئةً لسرعةِ شفائِها، وأشارَ كبيرُ الجراحين للطبيبِ: أن اطلب منها العودةَ إلى بيتِها بعدَ أربعٍ وعشرين ساعةً، لأنَّها استطاعت أن تمشيَ دون أن تستندَ على شيءٍ، وجاءت ابنتُها تزورُها، فقالَ لها الطبيبُ: والدتُك تتمتعُ بصحةٍ جيدةٍ الآن، وعليكِ أن تحضري غدًا لترافقيها إلى البيت، فتوجهتِ البنتُ إلى أمِّها، وقالت لها: اتفقنا أنا وزوجي أن نحجزَ لكِ سكنًا بإحدى دورِ العجزةِ، فخرجت البنتُ عن أمِّها وبعدَ بضعِ ساعاتٍ مرَّ الطبيبُ بسريرِ المرأةِ فشاهدَ انهيارًا سريعًا يطرأُ على جسمِها، ولم تمضِ أربعةٌ وعشرون ساعةً حتى ماتت المرأةُ لا بسببِ كسرِ رجلِها، ولكن من جرَّاءِ قلبٍ كسيرٍ ضربته أزمةٌ روحيةٌ نفسيةٌ.

أحبابَ المصطفى (ﷺ)

هذه القصةُ الواقعيةُ تعطينا صورةً مِنَ التناقضِ الذي يعاني منه العالمُ في كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ حياتِه، ففرضَ العالمُ بكلِّ قوةٍ الحياةَ الماديةَ، ووفرَ أسبابَها، بينما مسخَ الحياةَ الروحيةَ والأخلاقيةَ، وهدَّ بنيانَها، وقد طارت عدوى الأوربين إلى العالمِ الإسلاميِّ ومكَّنتها أنظمةٌ هاروتيةٌ ماروتيةٌ، تسيرُ بشعوبِها سيرًا حثيثًا إلى الاتجاهِ الغربيِّ الماديِّ والحياةِ العلمانيةِ الاباحيةِ، وأعانتها نفوسُ الضعفاءِ والمارقين والمندسين، وقد نجحت هذه الأنظمةُ والمغامزون لها إلى حدٍّ مخيفٍ في تمكينِ الحياةِ الماديةِ وإقصاءِ الحياةِ الروحيةِ والأخلاقيةِ، وقد وُلد مِن رحمِ هذه الحالةِ البلاءُ مثنى وثلاثَ ورباعَ في شتى مرافقِ الحياةِ، وكانَ من جملةِ ما

ظهرَ في أسواقِ المسلمين: محلاتُ بيعِ وشربِ الشيشةِ، والمراقصُ الليليةُ، والنوادي المرضيةُ، والمخامرُ، ومحلاتُ الدخانِ والتبغِ.

وقد طلبَ بعضُ المسلمين غلقَها مِن أوَّلِ يومٍ من فتحِها، وفي أفواهِهم ماءٌ، وعلى أيديهم عناءٌ، وأرجلُهم تمشي على استحياءٍ من أجلِ ذلك رجعوا بخُفي حُنين، واحترقت دورُهم فصرخوا من جُبٍ، فما جارهم عمروٌ ولا زيدٌ، ولو صدقَ فيهم قولُ الحقِ: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[1] لبدلوا الحالَ وأرجفوا أهلَ المَحَالةِ.

ولا جبانُ القومِ يومَ الوغى ... مثلُ الشجاعِ الثائرِ الباسلِ
ولا فتى لاعبَ قيْناتِه ... كضاربٍ بالسيفِ والذابلِ

ومع أنَّ طلبَ الإغلاقِ كانَ مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا؛ ظهرت ردودٌ على المطالبين بإغلاقِها ببعضِ الأفكارِ المنخنقةِ والأقوالِ الموقوذةِ والردودِ المتردية والشبهِ النطيحةِ؛ وقد اغترَّ بها بعضُ الضعفاءِ وانساقَ إليها بعضُ الدهماءِ؛ فكان قذفُها بكلمةِ الحقِ وكسرُها بزنادِ الهدى أمرًا حتميًا، لا مفرَّ منه.

الشبهةُ الأولى: فتحُ هذه المحلاتِ تندرجُ في إطارِ الحرياتِ الشخصيةِ المكفولةِ لكلِّ أحدٍ في الوطنِ. قبلَ كلِّ شيءٍ جميعُ المحلاتِ المذكورةِ لم تكن موجودةً في البلادِ لتمسكِ الناسِ بإسلامِهم وبُعدِهم عن هذه المحرماتِ، كما أنَّ الزعامةَ كانت على صلةٍ قويةٍ بالوحيين، فلا تسمحُ بها علانيةً، بل تطاردُ أوكارَها الخفيةَ، وفي العصرِ المتأخرِ ظهرت بقوةٍ، وقد أسرت الفتيانَ والفتياتِ نتيجةً لا مناصَ عنها لتهميشِ الأوامرِ والنواهي الإسلاميةِ وإقصائِها عن روحِ المجتمعِ، فوجودُ هذه المحلاتِ حالةٌ حديثةٌ ساندَها غربةُ الناسِ في دينِهم تحتَ شعارِ: الحريةُ الشخصيةِ، والجوابُ مِن وجوهٍ:

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥٤.

أولًا: هذا البلدُ مسلمٌ، وينصُ دستورُه على أنَّ ديانةَ الشعبِ الإسلامُ، وأنَّ مصدرَ التشريعِ الإسلامُ المتمثلُ في الكتابِ والسنةِ، إذًا الإسلامُ يحرمُ قطعًا الخبائثَ مِنَ الخمورِ والشيشةِ والدخانِ، كما يرفضُ أيَّ نوعٍ من التحللِ الأخلاقيِّ مِنَ المراقصِ والنوادي، ومعنى هذا أنَّ الحريةَ الشخصيةَ مكفولةٌ في إطارِ الدستورِ الإسلاميِّ.

ثانيًا: فرقٌ بين الحريةِ الشخصيةِ والعبثيةِ والانفصامِ الشخصيِّ، فأنت حرٌّ في معاشِك وزواجِك ومسكنِك، وفي أمورٍ كثيرةٍ، ولكن هذه الحريةُ في نطاقِ أمرِ اللهِ ورسولِه (ﷺ) وإلا لتحولتِ الحريةُ إلى عبثيةٍ، فقد يطالبُ الشواذُ باسمِ الحريةِ الشخصيةِ الزواجَ المثليَّ، ويطالبُ أخونا الزواجَ بخمسِ نساءٍ أو ستٍ، ويطالبُ فئامٌ توفيرَ أماكنَ للبغيِ، فهل يصحُ أن تفتحَ هذه المحلاتُ أو نذعنَ لهذه المطالبِ تحتَ شعارِ: الحريةُ الشخصيةُ، هذا لا يقولُه مَن يتخبطُه الشيطانُ مِنَ المسِ، فمن بابِ أولى لا يقولُه العقلاءُ .

إخواني الحقُ يناديكم في سورةِ آلِ عمرانَ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1] فذكروا اللهَ واستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ، وهو وليُّ الحمدِ والفضلِ، أقامَ أمرَ الخليقةِ على منهاجِ الحقِ وقسطاسِ العدلِ، فكرَّمَ الإنسانَ وميَّزَه بنعمةِ العقلِ، وللهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه أولي النائلِ الجزلِ؛ أمَّا بعدُ:

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٥.

فيا أيُّها الذين أمنوا

أمَّا الجوابُ الثالث عن شبهةِ الحريةِ الشخصيةِ، فإنَّ الأشخاصَ الذين يفتحون هذه المحلاتَ والجهاتِ التي تدعمُها الواقعُ أنهم يخلطون بين الحريةِ الشخصيةِ التي كفلَها الإسلامُ في إطارِ الكتابِ الكريمِ والسنةِ الغراءِ وبينَ الانفصامِ الشخصيِّ والجهوي فالعقلاءُ مجمعون وأصحابُ الفطرِ السليمةِ متفقون على أنَّ المحلات المذكورةَ ليست مِن الحريةِ الشخصيةِ بل هي انفصامٌ ومرضٌ يعاني منه أشخاصٌ يفتحونها ويرتادونها، فكلُّنا مجمعون على أنَّ الخمرَ والدخانَ والشيشةَ مضرةٌ بالصحةِ والعقلِ والمالِ، والمراقصُ والنوادي مضرةٌ بالأخلاقِ والدينِ والمجتمعِ، ومفهومُ ذلك أنَّ الانفصامَ في شخصيةٍ أو جهةٍ مرضٌ لا يجوزُ أن يروَّجَ له باسمِ الحريةِ الشخصيةِ، وعلى هؤلاءِ أن يعالجوا أنفسَهم المريضةَ، ويؤبوا إلى رشدِهم قبلَ فواتِ الأوان.

رابعًا: لا مجالَ للحريةِ الشخصيةِ، ولا نفاذَ لها بعد أمرِ اللهِ تعالى ورسولِه (ﷺ) لأيِّ شخصٍ أو أيِّ جهةٍ كانت في دولةِ الإسلامِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، وقالَ جلَّ في علاه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2] ومِنَ الشبهاتِ غلقُ المحلاتِ ليس حلًا، وغلقُها صعبٌ لأنَّ القانونَ يكفلُ ذلك، وأصحابُ المحلاتِ يحتجون ويطالبون تعويضات باهضة، إذا تمَّ غلقُها، ولا فائدةَ مِنَ الكلامِ لا أحدَ يسمعُنا، هذه الشبهاتُ وغيرُها سنناقشُها في الخطبةِ القادمةِ إن منَّ اللهُ علينا بذلك .

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

---

(١) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

الخطبةُ الثامنةُ والأربعون

الردُّ على الشبهاتِ المتعلقةِ بمحلاتِ الخمورِ والشيشةِ والمراقصِ والنوادي المرضيةِ والدخان (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه موجدِ العبادِ مِنَ العدمِ، ومعدمِهم بعد أن أوجدَهم، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، معيدِ كلِّ خلقٍ كما بدأَه وهو السميعُ البصيرُ الذي أحلَّ الطيبَ وجعلَه الكثيرَ، وحرَّمَ نقيرَ الخبيثِ وشددَ عليه النكيرَ، نحمدُه حمدًا يليقُ بشأنه العليِّ الكبيرِ، ونشكرُه على إنعامِه الجمِّ وإحسانه الكبيرِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نتقي بها من عذابِ السعيرِ، ونستضيءُ بمشكاةِ هداها ونستنيرُ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ المبعوثُ بالترغيبِ والترهيبِ والتحذيرِ، اللهم صلِّ وسلم على سيدِنا محمدٍ الذي نبعَ الماءُ من بينِ أصابعِه فروى الجمَّ الغفيرَ، وأشبعَ ألفًا بكفٍ مِن طعامٍ وظللَه الغمامُ مِنَ الهجيرِ، وعلى آلِه وأصحابِه الذين لم يبلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه مَن أنفقَ مثلَ أحدٍ مِن ذهبٍ أو ثبيرٍ صلاةً وسلامًا يبهرُ شذاهُما العنبرَ والعبيرَ، ويقهرُ سناهُما الشمسَ المسرجةَ والقمرَ المنيرَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

هل اتعظتم يومًا وأنتم تتلون آياتِ التنزيلِ حين تصفُ جهنمَ وأنكالَها وجحيمَها، إنَّها - تاللّٰهِ - بيتُ الأحزانِ والخزيِ والهوانِ، ليس لجاحدِها منها أمانٌ، وحقَّ عليهم الخلودُ فيها والنِّسيانُ، يا لها من دارٍ محتومٌ بلاؤُها، معدومٌ رجاؤُها، مظلمةٌ مسالكُها، مُبهمةٌ مهالكُها، شرابُ أهلِها الحميمُ، وعذابُ أهلِها أبدًا مقيمٌ، لهم فيها مِنَ الحياتِ والعقاربِ كالبغالِ الدُّهمِ،

والحمرِ أصنافٌ ليس لها عديدٌ، ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، ينادون من فجاجِها وشعابِها مِن ترادفِ عذابِها: يا مالكُ حقَّ علينا الوعيدُ، يا مالكُ قد أثقلنا الحديدُ، يا مالكُ قد نضجت منا الجلودُ، يا مالكُ أخرجنا منها فإنا لا نعودُ، وهيهاتَ هيهاتَ الخروجُ ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] فيا بني الإسلامِ، هل لكم بجهنمَ طاقةٌ؟ أم هل لكم على عذابِها صبرٌ؟ يا بني الإسلامِ طاعةُ اللهِ عليكم أهونُ من هذا فأطيعوه وامتثلوا أوامرَه واجتنبوا نواهيَه واتقوه ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4] ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[5] ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[6].

أيُّها المؤمنون الأبرارُ

استثمروا هذه الدقائقَ المحدودةَ في سماعِ الخطبةِ وعدمِ الانشغالِ عنها بتجارةِ الشيطانِ الغفلةِ والسِّنةِ والنومِ. غرسَ مزارعون بذورًا من شجرِ الحنظلِ والقتادِ وسَهروا عليه بالسقيِ والرعايةِ، وأحيوا لياليَهم في سبيلِه ووقفوا في وهجِ الشمسِ، وفي البردِ القارسِ ليحرسوا هذا الشجرَ، فلما جاءت بأكلِها الطبيعيِّ أنزلوا جامَ غضبِهم، وتبرموا وتضايقوا.

---

(١) سورة الحج الآية: ٢١.
(٢) سورة السجدة الآية: ٢٠.
(٣) سورة فاطر الآية: ٣٦.
(٤) سورة يوسف الآية: ٩٠.
(٥) سورة النساء الآية: ٧٧.
(٦) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .

أيُّها السادة الموحدون

هل فعلُ المزارعين شيءٌ معقولٌ؟ بالتأكيدِ إجابتُكم: فعلُ المزارعين شيءٌ غيرُ معقولٍ وغيرُ طبيعيٍّ، بل هي البلادةُ في أنصعِ صورِها لأنَّ طبيعةَ الشجرةِ هي طبيعةُ الشجرةِ، منذ خلقَ اللّٰهُ الأرضَ، فشجرةُ الحنظلِ ستعطي الحنظلَ، وشجرةُ الزيتونِ ستعطي الزيتونَ، وشجرةُ الرمانِ ستعطي الرمانَ، فمِنَ الخبالِ أن نتوهَم في شجرِ الحنظلِ أن يأتيَ بأكلِ الزيتونِ والرمانِ. وحالُ هؤلاءِ المزارعين هو حالُ حكّامِ هذا الزمانِ في ديارِ الإسلامِ ووزرائِهم ومقربيهم مِن سدنةِ الحكمِ، فقد زرعوا البلايا والرزايا عبرَ عقودٍ مِنَ الزمنِ، وتركوا الدينَ الحنيفَ خلفَ ظهورِهم، والآن يجنون ما زرعوه مِنَ الحنظلِ والقَتَادِ، فلو زرعوا الزيتونَ والرمانَ مِن الاهتمامِ بالإسلامِ والإصلاحِ في مرافقِ دولِهم قاطبةً، وتطهيرِ مجتمعاتِهم مِن أوحالِ الخبائثِ والفسادِ لما دارت عليهم دائرةُ السَّوءِ.

عبادَ اللّٰهِ

ونحن في زمنٍ يصدقُ فيه قولُ الحقِ جلَّ وعلا: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[1] في زمنِ اجتثاثِ شجرِ الحنظلِ والقَتادِ وغرسِ شجرِ الزيتونِ والرمانِ، فإنَّ هذا الغرسَ لا بُدَّ أن يقومَ على قاعدةٍ عريضةٍ هي: المجتمعُ المسلمُ المخلصُ الغيورُ على محارمِ اللّٰهِ أن تنتهكَ، فإذا تأسست هذه القاعدةُ من صفوةِ المخلصين لأمتِهم، فإنَّه ليس بوسعِ حكومةٍ أو مؤسسةٍ أو قانونٍ أن يفرضَ نفسَه على هذه القاعدةِ، بل سترتمي الحكومةُ ومؤسساتُها في حضنِ الإرادةِ الشعبيةِ صاغرةً.

وفي دولةٍ يَدينُ أغلبُ سكانِها بغيرِ الإسلامِ، انتشرت تجارةُ الخمرِ والكحولِ في كلكتِه، وهي كُبرى مدنِ الهندِ، ومركزُ الإنجليزِ آنذاك، وكان أغلبُ سكانِ هذه المدينةِ يدينون بالإسلامِ، فقامَ أحدُ المصلحين مع أصحابِه في كلكتِه بالوعظِ والنصحِ وحذَّرَهم مِن نقمِ اللّٰهِ تعالى، وتوَّبَهم عن

(١) سورة الصف الآية: ١٣.

المعاصي، فكسدتِ الخمورُ والكحولُ في أسواقِها، وأقفرت واعتذر الخمارونُ عن دفعِ ضرائبِ الحكومةِ متعللين بكسادِ السُّوقِ وتعطلِ تجارةِ الخمرِ والكحولِ، فقامت قاعدةٌ عريضةٌ مِنَ الناسِ في هذه الدولةِ البوذيةِ الهندوسيةِ، يدفعُهم إيمانُهم العميقُ في قلوبِهم واصطفوا يدًا واحدةً، وطلبوا إغلاقَها، وغُلقت عن بكرةِ أبيها لماذا؟ لأنَّ المجتمعاتِ الحيةَ تشكلُ الواقعَ كما تمليه عقيدتُها عليها وعاداتُها وتقاليدُها المنبثقةُ من إيمانها بخلافِ المجتمعاتِ الميتةِ؛ وإن كانت في جزيرةِ الإسلامِ فهي رُخمٍ تنتشرُ فيها الرذائلُ، وهي هامدةٌ.

إذ قيـــلَ يـــارخمُ انطقـــي ... في الطـــيرِ إنَّـــك شـــرُ طـــائر
فأتـــت بمـــا هـــي أهلُـــه ... والعـــيُ مِـــن شـــللِ المحـــاور

إخواني في اللّه

إنَّ من بينِ شجرِ الحنظلِ التي تزرعُ حثيثًا ليجنيَ قطوفَها شبابُنا وبناتُنا، شُربَ الشيشةِ، وقد تحدثنا عنِ الموضوعِ لخطورتِه في خطبتين سابقتين أزعجنا فيهما الجهات المسؤولةَ والمجتمعَ إن كانَ حيًّا ليقومَ بدورِه لإغلاقِ هذه المحلاتِ، وفنَّدنا زعمَ مَن يقولُ: بأنَّ بيعَ وشرابَ الشيشةِ حريةٌ شخصيةٌ ونواصلُ اليومَ نقضَ الشبهةِ الثانيةِ، وهي: غلقُها صعبٌ لأنَّ القانونَ يكفلُ بيعَها ولا يمنعُها، والردُّ : إنَّ أيَّ قانونٍ يتحدثُ عن قضايا اجتماعيةٍ مصيريةٍ، لا بُدَّ وأن يعرضَ على الشعبِ والمثقفين منه على وجهِ الخصوصيةِ، ولا يصبحُ نافذَ المفعولِ إلا إذا كانت قوةٌ من ورائِه تسندُه، وهي قوةُ الشعبِ المحبين لأمتِهم، فالقانونُ الذي كفلَ بيعَ وشربَ الشيشةِ والخمورِ في هذا المجتمعِ المسلمِ الذي تحرِّمُ عقيدتُه ذلك مَن صاغَه؟ وهل تمَّ عرضُه حتى يتمَّ التصويتُ له أو عليه، نحن نتحدى أنَّه إذا تمَّ عرضُه سيصوتُ المجتمعُ المحبُ لوطنه والمشفقُ على شبابِه وبناتِه مائةٌ بالمائةِ ضدَ قانون بيعِ وشربِ الشيشةِ، فليتم استفتاءُ المجتمعِ إذ لا يجوزُ أن تفرضَ القوانينُ جُزافًا لهدمِ المجتمعِ، وأن تصغيَ هذه القوانينُ

لشواذِ المجتمعِ والمهلوسين من عتاريفِ[1] الغوغائيةِ والسذجِ بينما يُهملُ رأيُ المجتمعِ بأسرِه.

ثانيًا: القانونُ الذي كفلَ بيعَ وشربَ الشيشةِ والخمورِ والمسكراتِ وضعيٌّ مِنَ الإنسان مناقضٌ لعقيدةِ الإسلامِ التي يدينُ بها المجتمعُ ومجاهرٌ لآياتِ القرآن التي نؤمنُ بها، فالحقُ يقولُ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾[2] وعليه فلا يصحُ أن نقبلَ إنسانًا بقانونه حاكمًا ومشرعًا للإنسان فلا يتمتعُ بهذا الحقِ إلا خالقُ الإنسان وحاكمُه المطلقُ اللّٰهُ جلَّ وعلا.

ثالثًا: إنَّ الذين صاغوا القوانينَ أصدروها بمحضِ إرادتِهم وفرضوها قسرًا على المجتمعِ المؤمنِ يستطيعون في الوقتِ نفسه تعديلَها وإلغائَها، متى شاؤا فهل صعبٌ أن نلغيَ قانونًا يعمقُ القذارةَ والخبائثَ في المجتمعِ، وينشرُ الأمراضَ والأوبئةَ! الجوابُ عندكم .

الشبهةُ الثالثة: أصحابُ المحلاتِ التي تبيعُ الشيشةَ هددوا بطلبِ تعويضاتٍ ماليةٍ باهضةٍ تصلُ إلى مائةٍ وخمسين ألفَ ريالٍ في حالِ تمَّ إغلاقُها وعدمُ السماحِ ببيعِها، وهذه الشبهةُ أدقُ مِن خيطٍ باطلٍ، وأخفى مِن العدمِ .

أولًا: مِن منظورِ الشرعِ الإسلاميِّ المحرماتُ ليستِ مالًا، وأواني الخمرِ والشيشةِ والكحولِ يجوزُ إتلافُها، فقد أمرَ رسولُ اللّٰهِ (ﷺ) بضربِ درةِ خمرٍ في الحائطِ، وقالَ: "هذا شربُ من لا يؤمنُ باللّٰهِ واليومِ الآخرِ "، ولو كانت مالًا لما أمرَ النبيُّ (ﷺ) بكسرِها، فهذه التعويضاتُ التي يطلبُها هؤلاءِ يتامى الأخلاقِ عن ماذا؟! أعلى دانةِ أخلاقِهم ومجاهرتِهم ببيعِ الخبائثِ أم عن ماذا؟!

---

(١) عتاريف: هم الخبيثون الفاجرون .

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

ثانيًا: إنَّ هذه الشبهةَ يجبُ أن تكونَ معكوسةً لترتدَ على وجوهِ قائلِها، فالمجتمعُ المدنيُّ والمؤسساتُ المتضررةُ من حقِّها المشروعِ أن تحاكمَ هذا القانونَ، وأن تطلبَ تعويضات من هذه المحلاتِ بسببِ ترويجِها علانيةً لانحرافِ المجتمعِ ونشرِ الأمراضِ والأوبئةِ وإهدارِ المالِ العامِ لعلاجِ مرضى الشيشةِ والمسكراتِ .

إخوةَ الإسلامِ

أتركُ الشبهةَ الرابعةَ بعد جلسةٍ قصيرةٍ تستغفرون فيها ربَّكم الغفورَ الرحيمَ البرَّ الكريمَ.

★★★

الحمدُ للّه، والصلاةُ والسلامُ على إمامِ المتقين الأبرارِ وخيرِ مَن طلعَ على غُرّةِ جبينِه ضوءُ نهارٍ، وعلى آلِه ومناصريه الأخيارِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الذين أمنوا

أمَّا الشبهة الرابعة التي يروجُ لها دعاةُ الشيشةِ وتجارُ التبغِ والمسكراتُ: نحن بلدُ السِّياحةِ والانفتاحِ فيجبُ أن تكونَ فنادقُنا وأسواقُنا متوفرةً فيها الشيشهُ والخمورُ والمسكراتُ وإلا لكسدت السيِّاحةُ؛ والجوابُ: كثيرٌ من المسلمين يذهبون للسياحةِ في دولِ الغربِ، فهل منعتِ الجهاتُ المسؤولةُ هناك الخمورَ والشيشةَ والمسكراتَ لعيون هؤلاءِ المسلمين وإسلامِهم مع أنَّ الحقَ عندنا أم أنَّ إسلامَنا أرخصُ سلعةٍ من عقائدِهم الفاسدةِ، فلماذا نتساقطُ ونتركُ إسلامَنا وأمرَه ونهيَه تحت هذا التبريرِ التافهِ.

ثانيًا: ليس هدفُ السِّياحِ وغرضُهم في رَحلاتِهم مصُ الشيشةِ وعبُّ الخمرِ، كما يتوهم المتحذلقون[1] عندنا، وهم يحترمون عاداتِ البُلدان، ويرضخون لكلِّ ما تطلبُه تلك الدولُ بل كثيرٌ من السِّياحِ في القديمِ تأثروا ودخلوا في الإسلامِ عندما يزورون بُلدانَ المسلمين، ويرون ما فيها من النظافةِ والنظامِ

(١) المتحذلقون: المدعون للعلمِ والمعرفةِ، المتظاهرون بعلمِه وبالظفرِ والكياسةِ .

والتمسكِ بإسلامِهم وعاداتِهم وتقاليدِهم، ثم الطَّيبُ مباحٌ كلُّه، والخبيثُ قليلٌ فلماذا نجاهرُ مع عواقبِه الوخيمةِ !

ثالثًا: هل نُخرِّبُ البلادَ والعبادَ تحت مظلةِ السِّياحةِ، فالمواطنُ أولى بالرعايةِ والعنايةِ، والدولةُ قائمةٌ على المواطنِ الصالحِ لا على مراعةِ ما يطلبُه السائحُ، وإن كانَ فيه ضررٌ بالغٌ على الدولةِ والمواطنِ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ فقد ظهرَ الحقُ لذي عينين وانجلى الغشا، فاجتهدوا في دحضِ المنكراتِ ومحاربتِها التي تسعى لتمكينِها في المجتمعِ شرذمةٌ فاسدةٌ، فإنَّها إذا تمركزت أصبحت عادةً سائغةً لا تستطيعون عليها فِكاكًا، وستُخربون الأجيالَ القادمةَ بأيديكم. أيُّها المؤمنون.

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرِه ... إذا استوت عنده الأنوارُ والظُلَمُ

ألا وصلوا وسلموا على النعمةِ المسداةِ والرحمةِ المهداةِ.

الخطبةُ التاسعةُ والأربعون

محلاتٌ مشبوهةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه أصبحت له الوجوهُ خاضعةً عانيةً، وأمستِ القلوبُ من عظمتِه وجلةً هائمةً، انقادت لأمرِه البحارُ ساكنةً وهائجةً، واستسلمت لمشيتِه الجبالُ الصمُّ فمتى شاءها كانت كثبانًا فانيةً، سبحانه حذَّرَ المجاهرين ما زالت نفوسُهم عميةً عاندةً أن يصلوا نارًا حاميةً، وأن يُسقوا من عينٍ أنيةٍ، وتسحبُهم على وجوهِهم زبانيةٌ، نحمدُه سبحانه على الحالين، ونستغفرُه سرًا وعلانيةً، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً عليةً سامية، ونشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ذو الهمةِ العاليةِ والخصالِ الحميدةِ الزاكيةِ، صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ ما انهلَّ مزنٌ بخيراتِه الطاميةِ وابتسمَ فجرٌ بالتسابيحِ العاليةِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

زرعُ أعمالِكم قد دنا للحصادِ، وزادُ أيامِكم قد آذنَ بالنفادِ، ويومُ غفلتِكم قد أطالَ الرُّقادَ، واللّٰه ستندمون يومَ تفرُّون عن إخوانِكم وأمهاتِكم وآبائِكم، قد كَثُرَ فيكم الوعظُ وفي الآذان وقرٌ، فأين الحسراتُ على فواتِ أمسٍ؟ أين الدموعُ على متاعبِ ظلمةِ القبرِ والرمسِ؟ أين ما أعددتموه ليومٍ لا تَجزي فيه نفسٌ عن نفسٍ؟ أين الأعمالُ الصالحةُ ليومٍ تخشعُ فيه الأصواتُ فلا تسمعُ إلا الهمسَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا

عَظِيمًا ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾[2].

أيُّها المؤمنون

قامت ثوراتٌ في معظمِ بُلدانِ المسلمين ضدَ الأنظمةِ الفرعونيةِ الهامانيةِ التي تحكمُ بمقامعَ من حديدٍ، وعندَ التأملِ إلى هذه الثوراتِ نجدُ أنَّها تنطلقُ مِن وعيٍ عميقٍ وثقافةٍ واسعةٍ، فعلى جورِ هذه الأنظمةِ وضربِها بالنارِ على هذه الثوراتِ والمسيراتِ إلا أنَّ الخارجين فيها لم يتعرضوا للممتلكاتِ الخاصةِ والعامةِ، فكانت بحقٍ ثوراتٌ ومسيراتٌ ناصحةٌ، وأقربُ جارٍ لنا اليمنُ السعيدُ، لم يتعرضوا ولم يخلوا بالآدابِ الإسلاميةِ، وهذا بخلافِ ما حدثَ في بلادِنا فقد خرجت بعضُ المسيراتِ المطالبةِ بالاصلاحِ والتعديلاتِ، ولكن صاحبَ ذلك حرقٌ للمتلكاتِ الخاصةِ والعامةِ، وتعطيلُ المصالحِ وقطعُ الشوارعِ، وغيرُ ذلك، وكلُّ شعبٍ يُعبِّرُ عن ثقافتِه، فكلُّ إناءٍ بما فيه ينضحُ، فقد عكسَ ما حدثَ بكلِّ جدارةٍ أن مجتمعَنا لم يصلْ إلى حدِّ النضجِ والوعيِ وإدراكِ المسؤوليةِ، ولكن هناك سؤالٌ ملحٌ يطرحُ نفسَه بقوةٍ: لماذا تَجرَّدَ كثيرٌ مِن شبابِنا عن الأخلاقِ الإسلاميةِ ومعالي الأمورِ، فما همُّه إلا شبعٌ وريٌّ وسهراتٌ مريبةٌ إلى أنصافِ الليالي، ومَن الذين غرسَوا فيهم ثقافةَ الانتقامِ والعدوانيةِ وعدمِ المبالاةِ بمرافقِ الدولةِ والمصالحِ الخاصةِ والعامةِ!!

الجوابُ: يتحملُ المسؤولون القسطَ الأوفرَ مِن وزرِ الإنحرافِ الأخلاقيِّ الذي أخذَ يتجهُ عبرَ عقودٍ مِنَ الزمنِ إلى التضخمِ والتراكمِ ولا سيما هذه السنواتُ الآخيرةُ؛ وفي المثلِ: يداك أوْكتا وفوك نفخَ، ولقائلٍ أن يحتجَّ: لماذا هذا التجني الخطيرُ، والجوابُ: الواقعُ يتحدثُ عن نفسِه قبلَ الكلماتِ .

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

إنَّ النظرَ إلى مرفقٍ واحدٍ فقط مِن مرافقِ مجتمعِنا، وهي الأسواقُ دعكم مِنَ التعليمِ والإعلامِ وغيرِهما، نرى أسواقَنا يتضخمُ فيها سرطانُ الفسادِ وجُذامُ الانحلالِ اللذان لهما أبعدُ الأثرِ، ولا سيما في رقعةِ المراهقين والشبابِ من الجنسين، وهذا ما ينذرُ بزلزلةٍ أخلاقيةٍ تضربُ جذورَ المجتمعِ برمتِه، وقد بزغت ملامحُها وما حدثَ في الأيامِ الماضيةِ مِنَ التخريبِ ثمرةٌ مِن ثمارِ الفسادِ الأخلاقيِّ في المجتمعِ؛ والقادمُ شرٌّ إن لم نتداركِ الوضعَ.

أحبابَ رسولِ الله (ﷺ)

إنَّ هناك قلقًا يتمددُ في نفوسِ المحبين لإسلامِهم ووطنِهم وأمتِهم من محلاتٍ تهدفُ إلى تخريبِ البلادِ والعبادِ، المسؤولُ عن فتحِها المصرحون لها بممارسةِ نشاطِها في هذا المجتمعِ المسلمِ، ويحمونها بالقوانينِ إنَّه مِنَ الخزيِ والعارِ أن تظهرَ في أسواقِنا .

أولًا: محلاتُ التبغِ والدخان. **ثانيًا**: محلاتُ ومطاعمُ الشيشةِ، **ثالثًا**: محلاتُ النوادي المرضيةِ، **رابعًا**: السعيُ الحثيثُ لفتحِ دورِ السينماءِ في المجمعاتِ التجاريةِ والمتاجرِ، **خامسًا**: محلاتُ التجميلِ المشبوهةِ.

إنَّ انتشارَ هذه المحلاتِ لا يعبِّرُ عن الوعيِ الحضاريِّ والحصانةِ الثقافيةِ للمجتمعِ، بل تعكسُ المعيَّةَ الغربيةَ، والخرابَ الأخلاقيَّ والانحلالَ اللذين ينخران المجتمعَ حتى يفتكا به. ولمَّا كان: " الدينُ النصيحةُ "، كما ثبت عن الصادقِ المصدوقِ (ﷺ)، وهي سببٌ للفلاحِ، كما قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] فإننا ننبهُ الجهاتِ المسؤولةَ، ونسدي له النصحَ الصِّرفَ، وندعوها لسماعِ رأيِ الحكمةِ والعقلِ، ونطلبُ منها غلقَ المحلاتِ التي يجني منها المجتمعُ الشوكَ والقتادَ وإلا لأصبحت هذه المحلاتُ لعنةً على الحكومةِ ومؤسساتِها، وعلى المجتمعِ عامةً.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤ .

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

إن هذه المحلات أكذبُ من جُحينةَ، ومِن مسيلمة، ومِن قيسِ بنِ عاصمٍ.

وكانَ كمن شكى الطاعونَ يومًا وزيدَ بها على الطاعون دُما

إنَّ هذه المحلاتِ مشبوهةٌ تتخذُ لوائحَ كذَّابة ستارًا لها لممارسةِ الرذيلةِ والفسادِ؛ وللأمورِ دلائلُ وللحقائقِ مخايلُ؛ ولا يخفى الغيهبُ مِنَ الضياءِ، ولا يشتبهُ الغَبشُ مِنَ الصفا.

إخوةَ الإيمان

إنَّ على الجهاتِ المسؤولةِ أن تُغلقَ هذه المحلاتَ في أقربِ فرصةٍ، فالمجتمعُ غنيٌّ عنها، ولا يتسعُ للحثالةِ والآراذلِ وإلا سيكونُ الثمنُ باهضًا عاجلًا أم آجلًا، ولن يجنيَ المجتمعُ من هذه المحلاتِ إلا الأمراضَ الفتاكةَ والدمارَ والبوارَ؛ ولن يرفعَ له الرحمنُ دعاءً، وهو حاصلٌ، ولن تصبَّ السماءُ ماءًا، وهو حاصلٌ بتقاربِ الجفافِ والدبأ وشحِّ المياهِ، ولن يباركَ في الأعمارِ والأرزاقِ والميرةِ، وهو حاصلٌ، وسيسلطُ علينا البلايا والمحنَ والأعاصيرَ المدمرةَ، وقد تقاربت سنواتُها، وكلُّ ذلك بما قدمت أيديكم، وأنَّ اللهَ ليس بظلامٍ للعبيدِ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي ختمَ بالإسلامِ الهدايةَ، وجعلَ في سيرةِ رسولِه وخلفائِه مِن بعدِه آيةً أعظم بها آيةً، لا يحجبُ عنها إلا من أظلمت قلبَه العمايةُ والغوايةُ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه الذين احتلوا مراكزَ القيادةِ وحققوا لأنفسِهم في الدارين منازلَ الزلفةِ والسعادةِ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) سورة الروم الآية: ٤١ .

فيا أيُّها المجتمعُ المسلم

أمَّا المسؤولُ الثاني عنِ الانحرافِ الأخلاقيِّ وظهورِ محلاتِ الرِّيبةِ والشبهةِ المجتمعُ عامةً وطبقةُ المثقفين والمصلحين خاصةً، عليهم أن يقفوا سدًا منيعًا لتداركِ الانفصامِ الأخلاقيِّ الذي يحلُّ بساحةِ المجتمعِ، فإنَّ الفسادَ في الأخلاقِ معناه: فسادٌ في واقعِ الحياةِ، وإنَّ الفطرةَ الإنسانيةَ إذا انفلتت حلَّ الخطبُ على المجتمعِ، وبذلك تنحرُ نفسَها بيدِها، وتفري أديمَها بمديتِها[1].

فاتقوا اللّهَ ـ أيُّها المسؤلون ـ في أولادِكم وبناتِكم ومجتمعِكم فإنَّكم موقوفون ومسؤلون عند ربِّكم عن كلِّ ما يحدثُ فقد أُسندَ إليكم أمرُ المجتمع، وحُمِّلتم أمانةً عظيمةً فضيعتموها، وأبحتُم ما حرَّمَ اللّهُ مِنَ الفسادِ والانحلالِ.

اتقوا اللّهَ ـ أيُّها المصلحون والمثقفون والمتعلمون ـ فإنَّ نبيَّكم (ﷺ) يقولُ: " ما من قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلم يغيروا إلا أوشكَ أن يعمَّهم اللّهُ بالعقابِ"، طالبوا باجتثاثِ بؤرِ الفسادِ لحمايةِ المجتمعِ وصيانتِه وحفظِه .

أيُّها الجيلُ

إنَّكم تدخلون في أيامِ الإجازةِ الصيفيةِ فالبدارَ البدارَ إلى المراكزِ الصيفيةِ، فإنَّها خيرٌ لكم واستغلالٌ لفراغِكم ووقايةٌ مِنَ انحرافِكم .

يا أولياءَ الأمورِ حثوا أولادَكم، فإنَّ هذه المراكزَ مرضاةٌ للربِّ، وسببٌ لستقامةِ المجتمعِ وصلاحِه، ادعموا هذه المراكزَ بأموالِكم وأولادِكم.

هذا وصلوا وسلموا على محمدٍ وآلِه، اللهم صل على محمدٍ وآلِه في الأولين وصل وسلم عليهم في الآخرين، وصل وسلم عليهم في الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

---

(١) أي تشقُّ جلدَها بسكينِها .

الخطبةُ الخمسون

مُصعبُ بنُ عميرٍ (رضيَ اللّهُ عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّهِ الذي جعلنا خيرَ أمةٍ أُخرجت للناسِ، ورفعَ منابرَ تشريفِنا على أركانٍ ثابتةٍ ما بها مِن بأسٍ، وأرسلَ محمدًا (ﷺ) فأقامَ دعائمَ الدينِ بعد طولِ تناسٍ، وشيَّدَ منارَ الهدى بعدَما كانَ في إبلاسٍ، وربى جيلًا مؤمنًا أتعبَ إبليسَ فرتدَّ صاغرًا عنه دونَ مساسٍ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له تعالى عمَّا يقولُ الظالمون الأرجاسُ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا وحبيبَنا أحمدَ عبدُه ورسولُه الأمينُ المأمونُ الطيبُ الأنفاسُ (ﷺ)، وعلى الخليفتين أبي بكرٍ وعمرَ وعلى الناهضين بأعباءِ المناقبِ، الراقين في علياءِ المناصبِ، البالغين في نصرِ الدينِ النجومَ الثواقبَ ابنِ جبلٍ وابنِ عميرٍ وابنةِ خويلدٍ وعائشةَ بنتِ الإمامِ الصديقِ الأكبرِ وعلى سائرِ الصحابةِ المطهرين عن جميعِ الأدناسِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الشبابُ

هل مِن رجعةٍ إلى العزيزِ الدَّيان، هل مِن خوفٍ من نار تلظى أُشعلت ألفَ سنةٍ، فابيضت ثم أُشعلت ألفَ سنةٍ فاحمرَّت ثم أُشعلت ألفَ سنةٍ فاسودَّت؛ فهي الآنَ سوداءُ مظلمةٌ. مسكينٌ أيُّها الشابُ العاصي المحاربُ للّهِ في ليلِك ونهارِك عنِ الجنةِ محجوبٌ، وعنِ الرحمةِ مبعودٌ، وفي جهنمَ مكبوبٌ، ومعَ الشيطانِ مغمومٌ، مقيدةٌ رجلاك، مغلولةٌ يداك، منكشفةٌ عورتُك، متغيِّرٌ لونُك، منطمسةٌ عيناك، ساقطةٌ لسانُك ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ

﴿ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، ويا أيُّها الكهولُ هل مِن استعدادٍ لدارِ السلامِ، دارٍ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سَمِعَت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، حجارتُها اللؤلؤُ والجوهرُ، وترابُها الزعفرانُ والعنبرُ، فيها مِنَ الحورِ العينِ ما لو أطلت واحدةٌ مِن جمالِ وجهِها لأضاءت ما بين المشرقِ والمغربِ ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[3] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

أيُّها الجيلُ

إنَّ منزلةَ الرسولِ (ﷺ) لا تدانيها منزلةٌ بينَ العالمين من الأولين والآخرين، وإنَّ منزلةَ أصحابِه من بعدِه يَقصرُ دونها مناطُ العيُّوقِ؛ ولا تدانيها الثريا، ودوننا خَرْطُ القتادِ؛ ففي أهلِ الشجرةِ، يقولُ الحقُّ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[5]، والآيةُ تدلُ على تزكيةِ بواطنهم وتطهيرِ ما في قلوبِهم؛ قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ (رضيَ اللهُ عنه): " كنتُ من أهلِ الشجرةِ، وكانَ عددُنا ألفًا وأربعمائة "، وفي جميعِ الصحابةِ الأطهارِ نزلت آيةٌ عظيمةٌ تبجلُ منزلتَهم، وتغدقُ عليهم الثناءَ المِعْطَار مِن ربِّ العالمين، وفيها: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى

(١) سورة الروم الآية: ٤١ .
(٢) سورة الصافات الآية: ٦١ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .
(٤) سورة الحشر الآية: ١٨.
(٥) سورة الفتح الآية: ١٨ .

﴿ وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1] إنَّ احتـــرامَ الرســـولِ الكـــريمِ (صـــلواتُ اللهِ وتسليماتُه عليه) ومحبتَه وتوقيرَه وامتثالَ تشريعِه أمرٌ معلومٌ مِنَ الدينِ بالضـرورةِ، وإنَّ احتـرامَ أصـحابِه الميـامين وتـوقيرَهم والترضـيَ عنـهم وقراءةَ سيرتِهم العَبِقَةِ ليكونوا قدوةً لنا أمرٌ دعـا إليـه العزيـزُ الـرحيمُ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2].

عبادَ اللهِ

إنَّ الاســتهتارَ والاســتخفافَ بصــاحبِ الشــفاعةِ العظمــى محمــدٍ(ﷺ) وأصحابِه أمرٌ خطيرٌ مآلُه عقوبةُ الدنيا، ونكالُ الآخـرةِ، وإنَّكـم تعاصـرون تعجيلَ العقوبةِ في كـلِّ زنـديقٍ رعديـدٍ فمَـن سـبَّ ورسـمَ رسـومَ السـخريةِ تعرضوا للسكتةِ، وبعضُـهم لحقـه المـرضُ النفسـيُّ والهلوسـةُ، وكـانَ ياسـرٌ الحبيبُ تعرَّضَ لزوجِ رسولِ اللهِ (صـلى اللهُ عليـه وآلِـه وسـلمَ) ابنـةِ أبي بكرٍ العالمـةِ عائشـةِ (رضـيَ اللهُ عنـها) فسـبَّها وشـتمَها وقـدحَ في عرضِـها فانتقمَ اللهُ منه، سُحبت جنسيتُه، فخرجَ شريدًا طريـدًا إلى ديـارِ الغـربِ، إنَّهم الأسوةُ وعبادُ اللهِ الذين اصـطفى لنصـرةِ نبيِّـه الكـريمِ، قـالَ (ﷺ): " لا تسبوا أحدًا من أصحابي فإنَّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أحدٍ ذهبًا مـا أدركَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه ".

فمعَ نُبذٍ مِن سيرةِ جبلٍ أشم وبحرٍ خضم من صحابةِ رسولِ اللهِ (صلى اللهُ عليه وآلِـه وسـلمَ) إنَّـه ذو الجهـادين الأكـبرِ والأصـغرِ، الطَّـودُ الـذي تظاءلت دونَه الأطوادُ، والبحرُ الذي لا تقاسُ به الثِّمادُ، إنَّه الفتى المـدللُ في صباه، السيدُ الشهيدُ سفيرُ الإسلامِ الأولِ، إنَّه مَن لم تخضـعه العاطفـةُ الأمويةُ ولم تستفزه الأهواءُ المكيـةُ، المبـايعُ للحبيـبِ يـومَ العقبـةِ الفـارُ بدينِه إلى أرضِ الحبشةِ.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية: ٩٠ .

أيُّها المؤمنون

لعلكم عرفتُم المقصودَ، إنَّه الصحابيُّ مُصعبُ بنُ عميرٍ بنِ هاشمٍ القرشيُّ ـ رضيَ اللّهُ عنه وأرضاه ـ نشأَ مُصعبُ في عيشٍ رغيدٍ وأموالٍ طائلةٍ جدًا مع جمالٍ باهرٍ، ولم يكن بين فتيان مكةَ مَن ظفرَ على تدليلِ أبويه بمثلِ ما ظفرَ به مصعبُ، يصفُ المؤرخون شبابَه، فيقولون: " كان أعطرَ أهلِ مكةَ "، علمَ الفتى مُصعبُ بخبرِ النبيِّ، ومَن آمنَ معه أنَّهم يجتمعون في دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ، فذهبَ ـ على الرغمِ من حداثةِ سنهِ ـ إلى دارِ الأرقمِ، فدخلَ في الإسلامِ .

لم يكن مصعبُ يحاذرُ أو يخافُ على ظهرِ الأرضِ قوةً سوى أمِّه خُناسَ بنتِ مالكٍ التي تتمتعُ بقوةٍ فذةٍ في شخصيتِها يَهابُ بطشَها الرجالُ، أخفى مصعبُ إسلامَه عنها، ولكن هيهاتَ عَلِمت بإسلامِه، فغضبت غضبًا شديدًا، وطارَ صوابُها، وجنَّ جنونُها[1]، فأوقفته بين عشيرتِها وأشرافِ مكةَ، فأخذ يتلو القرآنَ فهمَّت أن تسكتَه بلطمةٍ قاسيةٍ على خدِّه، ولكن استرخت وترنحت أمامَ النورِ الذي تسمعُه فأخذته إلى البيتِ، فحبستُه في ركنٍ من دارِها، وقتَّرت عليه الطعامَ والشرابَ ليرجعَ عن الإسلامِ ثم امتنعت هي عن الطعامِ والشرابِ، فقالت له: يا ولدي مصعبُ لن آكلَ ولن أشربَ حتى ترجعَ عن دينِ محمدٍ؛ فقالَ لها هذا الفتى المؤمنُ الذي خالطَ الإيمانُ شَغافَ قلبِه:(يا أماه ولو كانت لك مائةُ نفسٍ وأراها تخرجُ نفسًا نفسًا ما رجعتُ عن دينِ محمدٍ)، فآيست منه فأكلت وشَربت، وحتالَ مصعبُ لنفسه من سجنِ أمِّه، وخرجَ مهاجرًا إلى الحبشة، فلمَّا عادَ أرادت أن تحبسَه مرةً أخرى، فمنعَه اللّهُ منها، فقالت له: اذهب لشأنك لم أعد لك أمًّا، فاقتربَ منها، وقالَ: " يا أمَّاه إني لكِ ناصحٌ وعليكِ شفوقٌ فاشهدي أنَّه لا إلهَ إلا اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّه "، فأجابته غاضبةً مهتاجةً: " قسمًا بالثواقبِ لا أدخلُ في دينك فيُزرى برأيي ويَضعُفُ عقلي "، فودعها مهاجرًا إلى اللّهِ

(١) جنَّ جنونُها: بضم الجيم وفتحها في جنَّ، مبالغة في الجنون .

ورسولِه(ﷺ)، إنَّه الثباتُ على العقيدةِ، الثباتُ على المبدأ، بعضُ أبناءِ الجيلِ يتخلى عن ثوابتِه واستقامتِه لكُليمةٍ أو غمزةٍ .

فكونوا مقتدين بأمثالِ مُصعبَ الخيرِ يحببْكم اللّهُ، ويوفقْكم في دنياكم وآخرتِكم.

أحبابَ المصطفى

يقولُ نبيُّكم الكريمُ: " واللّهِ إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ من سبعين مرةً فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّ ربي رحيمٌ ودودٌ.

★★★

الحمدُ للّهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعدَه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

وهكذا انتقلَ مُصعبُ بنُ عميرٍ (رضيَ اللّهُ عنه) من حياةِ الرفاهيةِ والترفِ والنعيمِ، قالَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ (رضيَ اللّهُ عنه):(لقد رأيت مُصعبَ بنَ عميرٍ قد جهدَ في الإسلامِ جهدًا شديدًا حتى لقد رأيتُ جلدَه يتحشفُ ويتقلصُ مِن شدةِ الجوعِ، كما يتحشفُ ويتطايرُ جلدُ الحيةِ)، وفي معركةِ أحدٍ صالَ وجالَ مُصعبُ كالأسدِ الثائرِ، ثم حملَ لواءَ المعركةِ، فهجمَ عليه ابنُ قمئةَ الليثيّ، فضربَه على يدِه اليمنى فقطعَها، وهو يقولُ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[1] ثم أخذَ اللواءَ بيدِه اليسرى، وحنا عليه، فضربَه ابنُ قمئةَ الليثيّ على يدِه اليسرى فقطعَها، فحنا مُصعبُ على اللواءِ مخافةَ أن يسقطَ وضمَّه بعضديه إلى صدرِه، فهوى عليه ابنُ قمئةَ برمحِه، فوقعَ مُصعبُ شهيدًا، وسقطَ اللواءُ بعد أن خاضَ المعركةَ في استبسالٍ عظيمٍ، وبعد انتهاءِ المعركةِ وجُدَ جثمانُ الشهيد الرشيد راقدًا مضمخًا بدمائِه الزكيةِ، وجاءَ الرسولُ العظيمُ وأصحابُه يتفقدون أرضَ المعركةِ، ويودعون شهدائَها، وعندَ جُثمان مُصعبَ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤٤ .

توقفَ النبيُّ الرحيمُ (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ) وسالت منه دموعٌ غِـزارٌ، فلمَّا أرادَ الصحابةُ تكفينَه وجدوه أنَّه لم يتـرك إلا ثوبًـا واحـدًا قصـيرًا، فكانوا إذا غَطوا رأسَه خرجت رجلاه وإذا غَطوا رجليه خرجَ رأسُـه؛ فقـالَ النبيُّ (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ) والحزنُ يلـفُ قسـماتِ وجهـه الطـاهرِ: " غطوا رأسَه وجعلوا علـى رجليـه الإدخـرَ "، والإِدخِـرُ: حشـيشٌ معـروفٌ طيبُ الرائحةِ.

وهكـذا ودَّعَ مُصـعبُ الخـيرُ الـدنيا، تـركَ الـدنيا ومتاعَهـا وزخرفَهـا وزينتَها؛ وخرجَ منها بكفنٍ لم يغط جسدَه؛ فهنيئًـا لـه الشـهادةُ مـع الـذين أنعمَ اللّٰهُ عليهم مِنَ النبيين والصديقين والشهداءِ وحَسُنَ أولئك رفيقًـا ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1] رضيَ اللّٰهُ تعالى عن مُصعبَ بنِ عميرٍ وعن سائرِ شـهداءِ معركةِ أحدٍ وأرضاهم، وجعلَ الجنةَ مستقرَّهم ومأواهم، آمين.

ألا وصلوا وسلموا على منَ أرسلَه اللّٰهُ رحمةً للعالمين .

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣ .

الفهرسُ

الخطبةُ الأولى ٥

١. خلقُ الحبيبِ (ﷺ) وواقعُ الأمةِ ٥

الخطبةُ الثانيةُ ١٢

٢. نماذجُ من جيلِ الشبابِ المؤمنِ وجيلِ اليومِ ١٢

الخطبةُ الثالثةُ ١٩

٣. نماذجُ من جيلِ النساءِ المؤمناتِ وجيلِ اليومِ ١٩

الخطبةُ الرابعة ٢٦

٤. صورةٌ من ذلك الجيلِ ٢٦

الخطبةُ الخامسةُ ٣٤

٥. موتُ العلماءِ وهضمُ حقّهم ٣٤

الخطبةُ السادسةُ ٣٩

٦. انتصارًا لرسولِ اللهِ (ﷺ) من حُثالةِ الزَّيغِ والعنادِ ٣٩

الخطبةُ السابعةُ ٤٦

٧. القنواتُ الفضائيةُ ومسلسلُ نورٍ التركيِّ ٤٦

الخطبةُ الثامنة ٥٥

٨. معَ الإجازةِ الصيفيةِ ٥٥

الخطبةُ التاسعةُ ٦٢

٩. النوادي المَرَضيةُ ٦٢

الخطبةُ العاشرة ٦٨

١٠. انحباسُ القطرِ ٦٨

الخطبةُ الحاديةَ عشرَ ٧٤

١١. وداعُ شهرِ رمضانَ لسنةِ ١٤٢٩ هجريةِ ٧٤

الخطبةُ الثانيةَ عشرَ ٧٩

١٢. مشكلاتُ الزواجِ ٧٩

الخطبةُ الثالثةَ عشرَ ٨٦

١٣. ثاني اثنينِ إذ هما في الغارِ ٨٦

الخطبةُ الرابعةَ عشرَ ٩٤

١٤. الإعصارُ الماليُّ في العالمِ ٩٤

الخطبةُ الخامسةَ عشرَ ١٠١

١٥. البعدُ السياسيُّ للحجِ ١٠١

الخطبةُ السادسةَ عشرَ ١٠٨
١٦. تدهورُ التعليمِ في العالمِ الإسلاميِّ ١٠٨
الخطبةُ السابعةَ عشرَ ١١٥
١٧. لنُصرةِ أهلِ غزةَ مِنَ الصلفِ اليهوديِّ ١١٥
الخطبةُ الثامنةَ عشرَ ١٢٢
١٨. الإسراءُ والمعراجُ ١٢٢
الخطبةُ التاسعةَ عشرَ ١٢٦
١٩. انفولنزا الخنازيرِ ١٢٦
الخطبةُ العشرون ١٣٠
٢٠. الحثُّ على استغلالِ إجازةِ الصيفِ ١٣٠
الخطبةُ الحاديةُ والعشرون ١٣٥
٢١. الوقايةُ مِنَ الأمراضِ المعديةِ ١٣٥
الخطبةُ الثانيةُ والعشرون ١٤٠
٢٢. صوتُ الشيطانِ ١٤٠
الخطبةُ الثالثةُ والعشرون ١٤٥
٢٣. مخالفاتٌ في شهرِ رمضانَ ١٤٥
الخطبةُ الرابعةُ والعشرون ١٥٠
٢٤. فاروقُ الأمةِ عمرُ بنُ الخطابِ (ﷺ) ١٥٠
الخطبةُ الخامسةُ والعشرون ١٥٥
٢٥. حُرماتُ المقابرِ ١٥٥
الخطبةُ السادسةُ والعشرون ١٦٠
٢٦. اقتحامُ المسجدِ الأقصى المباركِ ١٦٠
الخطبةُ السابعةُ والعشرون ١٦٥
٢٧. المنافعُ الاقتصاديةُ للحجِ ١٦٥
الخطبةُ الثامنةُ والعشرون ١٧٠
٢٨. أبو الشعثاءِ جابرُ بنُ زيدٍ (رضيَ اللهُ عنه) ١٧٠
الخطبةُ التاسعةُ والعشرون ١٧٦
٢٩. صلاةُ الفجرِ ١٧٦
الخطبةُ الثلاثون ١٨٢
٣٠. واقعُ المجتمعِ المسلمِ ١٨٢
الخطبةُ الحاديةُ والثلاثون ١٨٧
٣١. السيدةُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ القرشيةُ رضيَ اللهُ عنها. ١٨٧

الخطبةُ الثانيةُ والثلاثون ١٩٢
٣٢. تنبيهاتٌ مهمةٌ ليومِ الجُمُعة والمسجدِ ١٩٢
الخطبةُ الثالثةُ والثلاثون ١٩٧
٣٣. الهاتفُ المحمولُ (١) ١٩٧
الخطبةُ الرابعةُ والثلاثون ٢٠٢
٣٤. الهاتفُ المحمولُ (٢) ٢٠٢
الخطبةُ الخامسةُ والثلاثون ٢٠٧
٣٥. استقبالُ شهرِ رمضانَ ١٤٣١هـ ٢٠٧
الخطبةُ السادسةُ والثلاثون ٢١٢
٣٦. مواقفُ من غزوةِ بدرٍ الكُبرى ٢١٢
الخطبةُ السابعةُ والثلاثون ٢١٨
٣٧. بمناسبةِ بدءِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ ٢١٨
الخطبةُ الثامنةُ والثلاثون ٢٢٣
٣٨. الردُّ والانتصارُ لأمِّنا عائشةَ بنتِ أبي بكرٍ (رضيَ اللهُ عنها) ٢٢٣
الخطبةُ التاسعةُ والثلاثون ٢٢٨
٣٩. التلاعبُ بالأهلةِ ٢٢٨
الخطبةُ الأربعون ٢٣٤
٤٠. كانوا قرآنًا يمشي على الأرضِ ٢٣٤
الخطبةُ الحاديةُ الأربعون ٢٤٠
٤١. الحَثُّ على استِنْزالِ الغَيْثِ ٢٤٠
الخطبةُ الثانيةُ الأربعون ٢٤٦
٤٢. الإعجازُ العلميُّ في القرآنِ الكريمِ ٢٤٦
الخطبةُ الثالثةُ والأربعون ٢٥٣
٤٣. بمناسبةِ الانقلابِ الشعبيِّ التونسيِّ على زينِ العابدينَ بنِ عليٍّ ٢٥٣
الخطبةُ الرابعةُ والأربعون ٢٦٠
٤٤. الوحدةُ الإسلاميةُ ونبذُ الفرقةِ ٢٦٠
الخطبةُ الخامسةُ والأربعون ٢٦٧
٤٥. بمناسبةِ الثورةِ الليبيةِ وتنبيهاتٌ للمتعصمين في عُمان ٢٦٧
الخطبةُ السادسةُ والأربعون ٢٧٤
٤٦. الإنكارُ على محلاتٍ ومطاعمِ بيعِ وشربِ الشيشةِ ٢٧٤
الخطبةُ السابعةُ والأربعون ٢٨٠
٤٧. الردُّ على الشبهاتِ المتعلقةِ بمحلاتِ الخمورِ والشيشةِ والمراقصِ والنوادي والدخان (١) ٢٨٠

الخطبةُ الثامنةُ والأربعون..... ٢٨٦
٤٨. الردُّ على الشبهاتِ المتعلقةِ بمحلاتِ الخمورِ والشيشةِ والمراقصِ والنوادي المرضيةِ والدخان (٢) ٢٨٦
الخطبةُ التاسعةُ والأربعون..... ٢٩٣
٤٩. محلاتٌ مشبوهةٌ..... ٢٩٣
الخطبةُ الخمسون..... ٢٩٨
٥٠. مُصعبُ بنُ عميرٍ (رضيَ اللهُ عنه)..... ٢٩٨
الفهرسُ..... ٣٠٤
الخاتمةُ..... ٣٠٨

الخاتمة

وبهذا الجهدِ المباركِ تكونُ مراجعةُ الجزء الأول من موسوعة " النفحات المسكيةِ مِنَ الخطبِ المنبريةِ " قد تمت بموضعِ سكناي المسمى (المدَاس) بمحلةِ ضوت مِن أعمالِ ولايةِ نَزْوَى، وذلك بتاريخِ ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين مِن شهرِ رمضان المباركِ من شهورِ سنة ١٤٣٥هجرية، الموافقِ العشرين مِن شهرِ يوليو من شهورِ سنةِ ٢٠١٤ ميلادية.

وفي التاريخِ المذكورِ شلَّت جنود صبري من كلِّ مكانٍ، وترادفت على قلبي الهمومُ والأحزانُ، واشتعلَ مِن الهولِ شعري بياضاً لحالِ الأمةِ الإسلاميةِ ممزعةِ الأشلاءِ حيثُ قامَ العدوُّ الصهيونيُّ الغاشمُ باجتياحِ مدينةِ غزةَ الصامدةِ الصابرةِ مِن دولةِ فلسطين المحتلةِ، ودخلَ حيَّ الشجاعيةِ ودمَّره تدميراً، وأبادَ في هذا الحيِّ أُسراً كاملةً، وكان الناسُ يحتمون بالأشجارِ والجدران والسياراتِ، فوجدت جثثُهم حيث احتموا، فللهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ.

أسأل اللّهَ الإخلاصَ والتوفيقَ والسدادَ لإتمام الجزء الثاني، ولكلِّ عملٍ صالحٍ أتقربُ به إلى مولايَ، وأن يرزقَني الجنةَ دارَ القرارِ، وأن يحرِّمَ جسدي على النارِ.

والحمدُ للّه ربِّ العالمين.

بقلمِ كاتبِه الفقيرِ إلى رحمةِ ربِّه

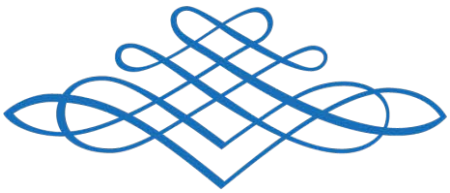
محمدِ بنِ عبدِ اللّه بنِ سعيدٍ السيفيِّ

النزويِّ الإباضيِّ

(عاملَه اللّهُ بلطفِه)



الجزء الأول ويليه الجزء الثاني





حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

للاستفسار وحجز النسخ

٩٩٢٠٨٤٢٦

